إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والعشرين من القرآن الكريم

[سـورة يوسف مـن الآيــة (53-111)، إلى سـورة الرعـد مـن الآيــة (1-18)]

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: — اسم الطالب: حنان حسن سمور

Signature: — التوقيع:

Date: — التاريخ: 03 / 11 / 2015

الجامعـــــة الإســـــلامية - غــــزة
عمـــــادة الدراســـــات العليـــــا
كليـــــة أصـــــول الـــــدين
قســـم التفســـير وعلـــوم القـــرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والعشرين من القرآن الكريم

[ســـورة يوســف مــن الآيـــة (53-111)، إلى ســـورة الرعــد مــن الآيـــة (1-18)]

إعداد الطالبة
حنان حسن محمود سمور
220100221

إشراف الدكتور
صبحي رشيد حسن اليازجي

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1436هـ - 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة

The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم.................... Ref

ج س غ/35/

التاريخ.................... Date

2015/06/16م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **حنان حسن محمود سمور** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والعشرين من القرآن الكريم

(سورة يوسف من الآية 53 إلى سورة الرعد من الآية 1-18)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 29 شعبان 1436هـ، الموافق 2015/06/16م الساعة الثانية مساءً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. صبحي رشيد اليازجي	**مشرفاً و رئيساً**	....
د. رياض محمود قاسم	**مناقشاً داخلياً**	....
أ.د. عبد السميع خميس العرابيد	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من ربياني على الفضيلة والديّ الكريمين حفظهما الله

إلى زوجي الحبيب

إلى أبنائي وبناتي الغوالي

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء

إلى كل من له فضل عليّ وأعانني في إنجاز هذا البحث

الباحثة

حنان حسن سمور

شكر وتقدير

الحمد لله الذي خلق الأرض والسموات العلا, الذي رفع الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات, وجعلنا من أهل الرباط, وأكرم الأمة بأن جعل منهم العلماء الثقات, الذين كانوا لغيرهم على مر الزمان منارات, فأناروا الطريق لمن أراد الفوز والنجاة, والصلاة والسلام على أشرف خلقه مصباح الدجى، وعلم الهدى، سيدنا محمد عليه أفضل صلاةٍ، وأتم تسليم، وأحمده جلَّ في علاه على عظيم فضله وامتنانه وإحسانه, أن منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث امتثالاً لقوله تعالى: **{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ}** [النمل:19].

وانطلاقاً من قوله تعالى: **{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ}** [الرَّحمن:60]، وقوله **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}** [لقمان:12]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1].

ثم أتوجه بخالص شكري وامتناني العظيم إلى:

أستاذي الجليل، ومشرفي، فضيلة الدكتور: صبحي رشيد اليازجي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في قسم التفسير، حفظه الله، ورعاه، على ما حظاني به من صبر جميل, وإشراف وتوجيه سديد, فقد كان له الدور البارز والفعال والمتميز في إثراء هذا البحث، وتصحيحه ومراجعته, فبارك الله فيه.

وأتوجه بالشكر إلى أستاذيّ الفاضلين عضويّ لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدكتور: عبد السميع العرابيد، حفظه الله.

وفضيلة الدكتور: رياض قاسم حفظه الله.

الذَيْن تفضلا مشكورين بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة, وتجميلها وتحسينها بإرشاداتهم السديدة, فجزاهم الله عني خير الجزاء, وجعل هذا العمل في ميزان حسناتهم.

كما أتقدم بالشكر الموصول إلى منارة العلم جامعتي الغراء الجامعة الإسلامية, والعاملين فيها, متمثلة برئيسها، وعميد كلية أصول الدين، وأساتذتي الكرام، وأعضاء الهيئة التدريسية، وعمادة الدراسات العليا.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الخاص لمكتبة الجامعة الإسلامية والعاملين فيها.

فالشكر كل الشكر لكل من أعانني على استكمال هذه الرسالة حتى خرجت بثوبها القشيب.

سائلةً المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعاً، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الأدب, باب في شكر المعروف (ص4811/872), قال عنه الألباني: صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم الوهاب، المعطي بغير حساب، الهادي إلى الخير من أناب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي من قالها من العذاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الهادي إلي الحق والصواب، المبعوث بخير كتاب، ليكشف به ظلمات الجهل، وأسباب العذاب، وأخلص به العبادة لله العزيز الوهاب، وأغلق باتباعه والعمل به دون الشر جميع الأبواب، وصلي اللهم وسلم عليه وعلى آله وصحبه أولي الألباب، وسلم إلى يوم الفصل والمآب، وبعد:

إن منْ نعم الله تعالى على الأمة الإسلامية، بل هو من أعظم ما خص به هذه الأمة من الفضيلة والشرف، حفظ دينها بحفظ كتابه العزيز، فإن الله تعالى تولى حفظه بنفسه ولم يكلْ ذلك إلى أحدٍ من خلقه فقال: **{إنّا نَحْنُ نَزّلنا الذِّكرَ وإنّا لهُ لحافظون}** [الحجر: 9]، فظهر مصداق ذلك مع طول المدة، وامتداد الأيام، وتوالي الشهور، وتعاقبِ السنين، وانتشار أهل الإسلام، واتساع رقعته, فبقي هو المعجزة الخالدة لهذا الدين، وسيظل معجزة يدركها اللاحقون بعد السابقين ويراها المتأخرون كما رآها المتقدمون، وتلك هي معجزة تتناسب وطبيعة هذا الدين الذي أراد الله له أن يكون آخر الأديان وتتناسب مع القرآن الذي أراد الله له أن يكون آخر كتاب ينزل من السماء.

ومما لاشك فيه أن علم التفسير، بل وكافة علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم، وأشرفها على الإطلاق لتعلقها بكلام الله تعالي، ألا وهو القرآن الكريم ، وتكمن أهمية هذا العلم في أنه يحقق المقاصد الأساسية للقرآن الكريم في حياة المسلمين، لذلك فإن الناظر في آيات القرآن الكريم يجد أن كل سورة بل كل آية في كتاب الله تعالى تحتوي على الكثير من المقاصد والأهداف التي تمثل منهاج حياة للمسلمين في جميع مجالاتها، لإصلاح شتى نواحيها، تشخص مشاكلهم وهمومهم، وتقدم العلاج الشافي لتلك المشاكل والهموم، بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية.

لذلك كانت رسالتي: **[الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والعشرين من القرآن الكريم** "سورة يوسف من الآية (53-111) إلى سورة الرعد من الآية (1-18)"**]**.

أولاً: أسباب اختيار البحث:

1- خدمة لكتاب الله تعالى وابتغاء رضوانه .

2- إبراز مقاصد وأهداف الآيات التي تناولتها الدراسة كون كتاب الله تعالى كتاب هداية وإرشاد للبشرية جمعاء.

3- إبراز ما تناولته سورتا يوسف والرعد من موضوعات متنوعة، في التربية الإيمانية، من خلال ربطها بالواقع.

4- زيادة الخبرة في التعامل مع المنهج القرآني والتدبر في آياته لاستخلاص العبر والعظات.

ثانياً: أهمية موضوع البحث :

1- تكمن أهمية الموضوع في تناوله العمل الدعوي في المجال الاجتماعي والسياسي.

2- لأنَّه يؤدي إلى معرفة أفضل الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الترابط الأسري.

3- يساعد في الاطلاع على سيرة من أنعم الله عليهم من الناس، وكيف كان تعاملهم مع هذا الإنعام.

4- لأنه يسليط الضوء على بعض المظاهر الكونية الدالة على عظمة الله ووحدانيته.

5- لأنه يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، ويعين على فهم آيات الله تعالى فهما دقيقا.

ثالثاً: أهداف البحث:

1- إظهار المقاصد والأهداف الأساسية لسورة يوسف من آية 53 إلى آية111 ، وسورة الرعد من الآية 1 إلى آية 18.

2- بيان الوحدة الموضوعية لآيات الدراسة، من خلال الدراسة التحليلية لهذه الآيات.

3- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي محكم يتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد، والأهداف المستنبطة من آيات الدراسة.

4- صقل الخبرة الذاتية للباحثة بالدراسة التحليلية الدقيقة، والمتعمقة لآيات الدراسة.

5-فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي ستخرج بها الباحثة في الخاتمة إن شاء الله.

رابعاً: الدراسات السابقة:

هذا البحث استكمالا لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد، والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم، وكان نصيبي من هذه الدراسة (سورة يوسف من آية 53 إلى آية111 ، وسورة الرعد من الآية 1 إلى آية 18).

خامساً: منهج البحث :

اتبعت المنهج الموضوعي في التفسير، وتحليل الأهداف والمقاصد للآيات، وذلك ضمن الخطوات الآتية:

1- تقسيم آيات الدراسة إلى مباحث مختلفة، جاعلة لكل مبحث آياته المناسبة له، وسأقوم بتحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها.

2- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث.

3- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها، وذلك حسب الأصول المتبعة في البحث العلمي.

4- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة في البحث.

5- التوثيق بذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة فقط، وسأترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع.

6- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها بذكر اسم السورة ورقم الآية خلفها مباشرة في متن البحث تجنباً لإثقال الحواشي.

7- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها الأصيلة تخريجاً علمياً، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن، إلا إذا كانت في الصحيحين.

8- الرجوع للمصادر الأصلية المتعلقة بموضوع البحث.

9- عمل الفهارس العلمية اللازمة.

سادساً: خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة

وتشتمل على: أسباب اختيار البحث، وأهمية الموضوع ، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث ، وخطة البحث.

التمهيد

تعريف عام بسورتي يوسف والرعد

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بسورة يوسف.

ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

المطلب الثاني: ترتيب السورة ، وزمان ومكان نزوله وعدد آياتها، ومكية أو مدنية.

المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه السورة.

المطلب الرابع: سبب نزول السورة.

المطلب الخامس: فضائل السورة.

المطلب السادس: المحور الأساس للسورة.

المطلب السابع: الأهداف العامة للسورة.

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة الرعد.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، وزمن نزول السورة ومكية أو مدنية.

المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه .

المطلب الرابع: فضائل السورة.

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة.

المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة.

المبحث الثالث: المناسبات في سورتي يوسف والرعد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المناسبة في سورة يوسف.

المطلب الثاني: المناسبة في سورة الرعد.

المبحث الرابع: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الخامس: التعريف بالدراسة التحليلية.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (53-111)

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (53-57)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: أحوال النفس البشرية.

المقطع الثاني: التمكين ليوسف عليه السلام بعد السجن والاستضعاف.

المقطع الثالث: حنكة يوسف عليه السلام وفطنته وحسن تدبيره.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (58-80)

ويشتمل على أربعة مقاطع:

المقطع الأول: العناية الإلهية في لمّ شمل يوسف عليه السلام بعائلته.

المقطع الثاني: التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب.

المقطع الثالث: استخدام المكيدة في تحقيق هدف مشروع.

المقطع الرابع: تحمل الأذى وعدم رد الإساءة.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (81-101)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: أشد الابتلاءات التي تسبق مرحلة الفرج.

المقطع الثاني: الأمل وعدم القنوط من رحمة الله.

المقطع الثالث: فضيلة التقوى والصبر.

المقطع الرابع: الاعتراف بالفضل والعفو عند المقدرة.

المقطع الخامس: العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (102-111)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: من دلائل صدق الوحي والنبوة.

المقطع الثاني: دعوة الإنسان إلى التفكر والتأمل في ملكوت السموات والأرض.

المقطع الثالث: الدعوة إلى الله على بصيرة.

المقطع الرابع: تحقيق النصر عند اشتداد الكرب.

المقطع الخامس: وجوه الاعتبار بقصة يوسف عليه السلام.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (1-18)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (1-7)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: الثناء على القرآن الكريم والإشارة إلى إعجازه.

المقطع الثاني: الحث على التأمل والتفكر في مخلوقات الله.

المقطع الثالث: أقوال المشركين في شأن البعث والرد عليهم.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (8-15)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: من دلائل علم الله وعظيم سلطانه.

المقطع الثاني: مصير الدعوات.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (16-18)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: ضرب المثل للحق والباطل.

المقطع الثاني: الترغيب والترهيب.

الخاتمة

وتشتمل على: أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

الفهارس العلمية

وتشتمل على :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

التمهيد

تعريف عام بسورتي يوسف والرعد

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بسورة يوسف.

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة الرعد.

المبحث الثالث: المناسبات في سورتي يوسف والرعد.

المبحث الرابع: التعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها.

المبحث الخامس: التعريف بالدراسة التحليلية.

المبحث الأول

التعريف العام بسورة يوسف

ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: زمن نزول السورة، والجو الذي نزلت فيه.

المطلب الرابع: سبب نزول السورة.

المطلب الخامس: فضائل السورة.

المطلب السادس: المحور الأساسي للسورة.

المطلب السابع: الأهداف العامة للسورة.

المطلب الأول

أسماء السورة، ووجه التسمية

1-"سميت سورة يوسف"(1)، قال ابن عاشور:" الاسم الوحيد لهذه السورة اسم سورة يوسف" (2).

وجه التسمية: "سميت سورة يوسف لإيراد قصة النبي يوسف عليه السلام فيها" (3)، "ويوسف اسم عبراني، ومنعه من الصرف دليل على بطلان قول من ذهب إلى أنه عربي مشتق من الأسف"(4).

قال ابن عاشور: "ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها. ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام:84]، {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر:34]" (5).

وقد وردت في سورة يوسف حياة يوسف عليه السلام منذ أن كان طفلاً حتى أصبح عزيز مصر، وهكذا نرى أن الحق سبحانه وتعالى حين يشاء أن يأتي بالقصة كتاريخ يأتي بها محبوكة كاملة، وحين يريد أن يلفتنا إلى أمور فيها مواقف وعظات، يوزع لقطات القصة على مواقع متعددة في سور متعددة تتناسب وتتوافق مع تلك المواقع، في سور القرآن الكريم، لتأكيد وخدمة الأهداف والمقاصد التي من أجلها وردت هذه القصص(6).

"وفِي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتتحة بحروف الــر"(7).

2-"قيل: (الر) اسم للسورة، أي: هذه السورة المسمَّاة: (الر)" (8)."ولكن الأول أقوى لأن الثاني لم يذكره معظم المفسرين المشهورين ممن يعتد بقولهم في تفاسيرهم، ولأن كثيراً من السور بدأت ب (المر) ولم يرد تسميتها بذلك" (9).

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (188/1).

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور (197/12).

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (188/1).

(4) إعراب القرآن، لابن سيده (1/6).

(5) التحرير والتنوير، لابن عاشور (197/12).

(6) انظر: تفسير الشعراوي (4197/7).

(7) التحرير والتنوير، لابن عاشور (197/12).

(8) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص الحنبلي (3/11).

(9) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (503/4).

المطلب الثاني

ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية

أولا: ترتيب السورة:

هذه السورة "نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور" [1]، "والسورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف، وتقع في الجزء الثاني عشر أيضاً" [2].

ثانيا: عدد آياتها:

"وهي مائة وإحدى عشرة آية" [3]، وقد ذكر الثعلبي [4]في تفسيره: "أنها ألف وسبعمائة وستة وسبعون كلمة، وسبعة آلاف وستة وسبعون حرفا" [5].

ثالثا: مكية أو مدنية:

وهي مكية باتفاق القراء [6]، والسورة مكية بجملتها، على خلاف ما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (1، 2، 3، 7) منها مدنية، ذلك أن الآيات الثلاث الأولى هي مقدمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من البدء في قصة يوسف عليه السلام، وكذلك هذه الأحرف المقطعة (الر) و أنها آيات الكتاب المبين، ثم تقرير أن الله أنزل هذا الكتاب قرآناً عربياً، هو كذلك من جو القرآن المكي، أما الآية السابعة فالسياق لا يستقيم بدونها أصلاً ولا يتأتى أن تكون السورة قد نزلت في مكة وهي ليست من سياقها ثم أضيفت إليها في المدينة! ذلك أن في الآية الثامنة ضميراً يعود على يوسف وإخوته [7].

قال السيوطي في تفسيره: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة يوسف بمكة[8].

---

[1]التحرير والتنوير، لابن عاشور (197/12).

[2]سورة يوسف دراسة تحليلية، د. أحمد القطان (ص24).

[3]بحر العلوم، للسمرقندي (178/2).

[4]أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتأريخ، من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و(الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الثعلبي، الأعلام للزركلي (212/1).

[5]الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي اسحق الثعلبي (196/5).

[6]تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (5/3).

[7]انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (1949/4-1950).

[8]الدر المنثور، للسيوطي (4/ 494)، ولم تعثر الباحثة على الرواية مسندة في أي من مصادر السنة.

المطلب الثالث

زمن نزول السورة، والجو الذي نزلت فيه

أولاً: زمن نزول السورة:

نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر، بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة، سَنَدَي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وللعصبة المسلمة معه، وللدعوة الإسلامية فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة [1].

ثانياً: جو نزول السورة:

وعلى هذا فالسورة واحدة، من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والعصبة المسلمة معه في مكة، فلا عجب أن تكون هذه السورة بما احتوته من قصة ذلك النبي الكريم، ومن التعقيبات عليها بعد ذلك، مما يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة المسلمة معه في مكة، في هذه الفترة بالذات، تسلية وتسرية، وتطميناً كذلك وتثبيتاً للمطاردين المغتربين الموحشين [2].

"ففي الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش منذ عام الحزن وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة، كان الله سبحانه يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات: محنة كيد الإخوة، ومحنة الجب والخوف والترويع فيه، ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه، ولا حماية ولا رعاية من أبويه ولا من أهله، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة، وقبلها ابتلاء الإغراء والشهوة والفتنة، ومحنة السجن بعد رغد العيش وطراوته في قصر العزيز، ثم محنة الرخاء والسلطان المطلق في يديه، وهو يتحكم في أقوات الناس وفي رقابهم، وفي يديه لقمة الخبز التي تقوتهم، ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقى بعد ذلك إخوته الذين ألقوه في الجب وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والابتلاءات كلها" [3].

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (4/1949).

[2] انظر: المرجع السابق (4/1949).

[3] المرجع السابق (4/1950).

المطلب الرابع

سبب نزول السورة

وقد ورد في سبب نزولها قولان:

أولاً: روى الحاكم بسنده، عن سعد بن أبي وقاص، في قول الله عز وجل **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}** [يوسف: 3]، قال: نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله عز وجل **{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}** [يوسف: 1]، إلى قوله **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}** [يوسف: 3]، فتلا عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله عز وجل **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا}** [الزمر: 23]، كل ذلك يؤمر بالقرآن[(1)].

ثانياً: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهودُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل **{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}** [يوسف: 1] [(2)].

ثالثاً: قيل: "سبب نزولها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف" [(3)].

والظاهر من خلال هذه الروايات أن سورة يوسف لم تنزل لسبب نزول معين، ولكن نرجع ذلك إلى أن في سورة يوسف عبراً للسائلين والباحثين عن الحكمة والسنة في أخبار الماضين، ولمن يتطلعون في الكون والأنفس والخلق والصراط السوي والهدى [(4)].

المطلب الخامس

فضائل السورة

لم تتفرد سورة في كتاب الله بما تفردت به سورة يوسف عليه السلام، وما كان ذلك ليكون إلّا لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسرّ، وتعبير

---

(1) المستدرك على الصحيحين (2/ 345)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (510/2). لم تعثر الباحثة على الرواية مسندة في مصادر السنة، وعليه فالرواية الأولى أرجح لصحة الإسناد.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (218/3).

(4) سورة يوسف دراسة تحليلية، د. أحمد القطان (ص26)، بتصرف.

الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم والعزّ، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب [1].

وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء، ففيها حجة على من اعترض بأن الفصاحة تمكنت بترداد القول، وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه: لو كررت لفترت فصاحتها [2].

قال العلماء: "وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل"[3].

كما أنَّ القصة التي تمحورت حولها السورة، كانت لنبي كريم ابن سلسلة كريمة من الكرماء، فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: "إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله"[4].

وقد وردت عدة أحاديث في فضل السورة، أعرضت عنها لأنها كلها واهية، كما ذكره الفيروزآبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز[5].

المطلب السادس

المحور الأساسي للسورة

"هذه السورة ذات طابع متفرد في احتوائها على قصة يوسف كاملة، فالقصص القرآني غير قصة يوسف يرد حلقات، تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها وجوها، وحتى القصص الذي ورد كاملا في سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب ورد مختصرا مجملا، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها في سورة واحدة، وهو طابع متفرد في السور القرآنية جميعاً ، يوسف عليه السلام آية خالدة على وجه الدهر، تتلى في صحائف الكون بكرة وعشيا، تفسّر طيب نجاره[6]، وطهارة إزاره، وعفته في شبابه، وقوّته في دينه، وإيثاره لآخرته

[1] انظر: زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي (413/2).

[2] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (218/3).

[3] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (118/9).

[4] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف، رقم (3390)، (184/4).

[5] انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 184).

[6] "النَّجْر، ويقال: النِّجار والنُّجار: الأصل والحسب"، تاج العروس، للزبيدي (176/14)، لسان العرب، لابن منظور (193/5).

على دنياه، وأفضل هداية تمثل للنساء والرجال المثل العليا في العفة والصيانة التي لا تتم لأحد من البشر إلا بصدق الإيمان بالله ومراقبته له في السر والعلن" (1).

"وسورته منقبة عظمى له، وآية بينة في إثبات عصمته، وأفضل مثل عملي يقتدى به النساء فالرجال، فبتلاوتها يشعر القارئ بما للشهوة الخسيسة على النفس من سلطان، ويسمع بأذنه تغلّب الفضيلة في المؤمن على كل رذيلة، بقوة الإرادة ووازع الشرف والعصمة ففيها أحسن الأسوة للمؤمنين من الرجال والنساء، فيها قصة شاب كان من أجمل الناس صورة، وأكملهم بنية، يخلو بامرأة ذات منصب وسلطان وهى سيدة له وهو عبدها، يحملها الافتتان بجماله على أن تذلّ نفسها له، وتخون بعلها فتراوده عن نفسه، وقد جرت العادة حتى في الطبقات الدنيا منزلة وتربية أن يكون النساء مطلوبات لا طالبات، فيسمعها من حكمته، ويريها من كماله وعفته ما هو أفضل درس في الإيمان بالله والاعتصام بحبله المتين، وفي حفظه أمانة سيده الذي أحسن مثواه فيقول: **{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}** [يوسف: 23] فتشعر حينئذ بالذل والمهانة، والتفريط في الشرف والصيانة، وتحقير مقام السيادة والكرامة، إلا أن فيها أعظم دليل على صبره وحلمه وأمانته وعدله، وحكمته وعلمه، وعفوه وإحسانه" (2).

وفي هذه السورة أسلوباً خاصاً من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فقد كان النضر بن الحارث وغيره يفتنون قريشاً بأن ما يقوله القرآن في شأن الأمم هو أساطير الأولين اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان النضر يتردد على الحيرة فتعلَّم أحاديث من فارس، فكان يحدث قريشا بذلك ويقول لهم: أنا والله أحسن حديثاً من محمد فهلم أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم بأخبار الفرس، فكان ما في بعضها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموه به عليهم بأنه أشبع للسامع، فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة تحدياً لهم بالمعارضة، على أنها مع ذلك قد طوت كثيراً من القصة من كل ما ليس له كبير أثر في العبرة (3).

والذي يبدو لي أن المحور الأساسي لسورة يوسف عليه السلام هو: تحقيق الأحلام، ولكن ما بين الحلم وتحقيقه آلام ومعاناة طويلة وشاقة، ففي الوقت الذي نزلت فيه السورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش.

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب (1951/4).

(2) تفسير المراغي، لأحمد ابن مصطفى المراغي (106/12).

(3) التحرير والتنوير، لابن عاشور (200/12)، بتصرف.

نزلت السورة في الوقت الذي كانت تعاني فيه الجماعة المسلمة ألواناً من الشدة والاضطهاد ومع ذلك نزلت على قلب النبي بالبشرى والأمل لتبين للمسلمين أن نهاية المطاف الفرج والتمكين وتحقيق النصر.

ولكن ما بين الحلم الذي رآه يوسف عليه السلام في منامه ، حيث قال تعالى: **{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}**، [يوسف:4].

وما بين تحقيق هذا الحلم حيث مكن الله له في الأرض حيث قال تعالى: **{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}**، [يوسف:99-100].

فقد أصبح الحلم حقيقة ولكن بعد محن وآلام عظيمة.

وهذا ما تميل إليه النفس، والذي يخدم الوحدة الموضوعية لسورة يوسف، وخاصة أن السورة تحمل التسلية، والتسرية، والتلميح بالفرج للنبي صلى الله عليه وسلم، والدعاة من بعده حيث كانت كثير من الظروف تشبه ظروف يوسف عليه السلام من حيث الضيق والشدة.

المطلب السابع

الأهداف العامة للسورة

من أهم أغراض هذه السورة:

1- "بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواحٍ مختلفة، ومشاهد متعددة تصل في نهايتها إلى فتح أبواب الفرج على مصراعيها.

2-تجلي الإيمان العميق بالله الذي ينصر الحق على الباطل ولو طال الأمد، والثقة بهذا الانتصار، وأن فيه الخير ، والعزم عليه لا يولد في النهاية إلا خيراً" [(1)].

3- المراد بهذه القصص تثبيته صلى الله عليه وسلم وتسلية فؤاده إشارة إلى البشارة بما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من ملك قيادهم ورد عنادهم ومنه عليهم وإحسانه إليهم.

4- ومن فوائد ذكرها التنبيه على أن الحسد داء عظيم شديد التمكن في النفوس [(2)].

---

(1) سورة يوسف دراسة تحليلية، د. أحمد القطان (ص29-30)، بتصرف.

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي(3/10).

5- تضمنت هذه السورة قصة يوسف عليه السلام، بجميع فصولها المثيرة، المفرحة حينا والمحزنة حينا آخر، فبدأت ببيان منزلته عند أبيه يعقوب وصلته به، ثم علاقته بإخوته (مؤامرتهم عليه، وإلقاؤه في البئر، وبيعه لرئيس شرطة مصر، وشراؤهم الطعام منه في المرة الأولى ومنحهم إياه دون مقابل، ومنعهم شراء الطعام في المرة الثانية إن لم يأتوه بأخيهم (بنيامين) وإبقاء أخيه بنيامين لديه في حيلة مدروسة وسرقة مزعومة، حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم، ثم تعريفه نفسه لإخوته) ، ومحنة يوسف وجماله الرائع، وقصة يوسف مع امرأة العزيز، وبراءته المطلقة، يوسف في غياهب السجون يدعو لدينه، بوادر الفرج وتعبير رؤيا الملك، توليته وزيرا للمالية والتجارة ورئاسة الحكم، إبصار يعقوب حين جاء البشير بقميص يوسف، لقاء يوسف في مصر مع أبويه وجميع أسرته.

6- ثم إيراد العبرة من هذه القصة، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وتسليته، وبشائر الفرج بعد الضيق، والأنس بعد الوحشة، فإن يوسف عليه السلام انتقل من السجن إلى القصر، وجعل عزيزاً في أرض مصر، وكل من صبر على البلاء فلا بد من أن يأتيه الفرج والنصر.

7- تحذير المشركين من نزول العذاب بهم كما حدث لمن قبلهم.

8- الدروس والأخلاق المستفادة من قصة يوسف عليه السلام، وأهمها نصر الرسل بعد الاستيئاس[1].

[1] انظر: التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، للزحيلي (12/189-190).

المبحث الثاني

التعريف العام بسورة الرعد

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: الزمان، و الجو الذي نزلت فيه السورة.

المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب الأول

أسماء السورة، ووجه التسمية

1-"**سميت سورة الرعد**" [1]، قال ابن عاشور: " هكذا سميت من عهد السلف، وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي صلى الله عليه وسلم" [2].

وجه التسمية: "سميت سورة الرعد للكلام فيها عن الرعد والبرق والصواعق وإنزال المطر من السحاب"[3]، "وسمّيت به لما فيها من قوله عزّ وجلّ: **{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ}**: [الرعد: 13]" [4]، "وسميت هذه السورة نسبة لتلك الظاهرة الكونية، وهي الرعد، الذي يجمع بين النقيضين، فهو على كونه مخيفاً في ظاهره إلاّ أنه فيه الخير كله من الماء الذي ينزل من السحاب للإحياء، وفيه من الصواعق التي تأتي للإفناء والهلاك" [5].

2-"**{المر} اسم للسورة**" وذكر ذلك أبو السعود في تفسيره [6].

المطلب الثاني

ترتيب السورة وعدد آياتها ومكية أو مدنية

أولا: ترتيب السورة، وعدد آياتها:

"نزلت بعد سورة محمد" [7]، "وعدد آياتها ثلاث وأربعون عند الكوفيين، وأربع وأربعون في عدد المدنيين، وخمس وأربعون عند الشاميين" [8]، "وهي ثمانمائة و ثلاث وخمسون كلمة، و ثلاثة آلاف وخمسمائة وست أحرف" [9].

ثانيا: مكية أو مدنية:

اختلف فيها هل هي مدنية أم مكية؟ فذهب الطبري إلى أنها مدنية [10].

---

[1] التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، للزحيلي (96/13).

[2] التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/ 75).

[3] التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، للزحيلي (96/13).

[4] محاسن التأويل، للقاسمي (6/ 253).

[5] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (5/ 2).

[6] المرجع السابق.

[7] جامع البيان عن تأويل آى القرآن، للطبري (405/13).

[8] التحرير والتنوير، لابن عاشور (76/13).

[9] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (267/5).

[10] انظر: جامع البيان عن تأويل آى القرآن، للطبري (405/13).

وقيل: إنها مكية سوى قوله تعالى: **{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ}** [الرعد: 31] وقوله: **{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}** [الرعد: 43]، وقال الرازي: قال الأصم: "هي مدنية بالإجماع سوى قوله تعالى: **{ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ }** [الرعد: 31]" [1].

"وروى النحاس في كتابه، عن ابن عباس، قال: سورة الرعد نزلت بمكة فهي مكية، وقال: روى حميد، عن مجاهد، قال: سورة الرعد مكية ليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وقال: روى سعيد، عن قتادة، قال: سورة الرعد مدنية إلا آية واحدة، قوله تعالى: **{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ}** [الرعد: 31] ويرجح النحاس أنها مكية، فيقول: والقول الأول أولى، لأنه المتعارف، كما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال: حدثنا أحمد بن داود قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر قال: قلت لسعيد بن جبير **{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}** أهو عبدالله بن سلام؟ قال: كيف يكون عبدالله بن سلام؟ والسورة مكية، قال: وكان سعيد بن جبير يقرأ **{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}**، قال أبو جعفر: أنكر هذا سعيد بن جبير، لأن السورة مكية وعبدالله بن سلام إنما أسلم بالمدينة" [2].

قال ابن عاشور: "ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية وتقريع المشركين وتهديدهم، والأسباب التي أثارت القول بأنها مدنية أخبار واهية" [3].

قال سيد قطب: "إن افتتاح السورة، وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيرا من التوجيهات فيها، كل أولئك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية، وليست مدنية كما جاء في بعض الروايات والمصاحف" [4].

"ولا مانع من أن تكون مكية، ومن آياتها آيات نزلت بالمدينة وألحقت بها، فإن ذلك وقع في بعض سور القرآن، فالذين قالوا: هي مكية لم يذكروا موقعها من ترتيب المكيات سوى أنهم ذكروها بعد سورة يوسف وذكروا بعدها سورة إبراهيم.

والذين جعلوها مدنية عدوها في النزول بعد سورة القتال وقبل سورة الرحمن وعدوها سابعة وتسعين في عداد النزول، وإذ قد كانت سورة القتال نزلت عام الحديبية أو عام الفتح تكون سورة الرعد بعدها"[5].

---

[1] مفاتيح الغيب، للرازي(524/18).

[2] الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس (ص535).

[3] التحرير والتنوير (13/ 76).

[4] في ظلال القرآن (2066/4).

[5] التحرير والتنوير (76/13).

والذي تراه الباحثة ما ذكره الشيخ الغزالي حيث قال: "والذي أميل إليه أنها مكية وأسلوبها يرجح ما أرى، لا سيما المشركون يلحُّون فيها على طلب معجزة حسية مثل ما حكت سورة الأنعام ويونس والإسراء" (1).

ويزيد هذا تأكيداً ما سيأتي بيانه في زمان نزول السورة والجو الذي نزلت فيه حيث إنها نزلت في الفترة التي أعقبت موت أبي طالب، والسيدة خديجة رضي الله عنها (2).

المطلب الثالث

الزمان، والجو الذي نزلت فيه السورة

أولا: زمان نزول السورة:

قال محمد طنطاوي في تفسيره: "نزولها على الراجح، كان في الفترة التي أعقبت موت أبى طالب، والسيدة خديجة رضى الله عنها... والذي جعلنا نرجح أن نزولها كان في هذه الفترة، ما اشتملت عليه السورة الكريمة، من أدلة متنوعة على وحدانية الله تعالى، وقدرته، ومن تسلية له صلى الله عليه وسلم عما أصابه من قومه ... وقد رجحنا عند تفسيرنا لسورة يونس، وهود، ويوسف عليهم السلام، أن هذه السور قد نزلت في تلك الفترة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ونرجح هنا أن نزول سورة الرعد كان في تلك الفترة– أيضا– لمناسبة موضوعاتها لأحداث هذه الفترة " (3).

ثانيا: جو نزول السورة:

"نزلت في فترة اشتد فيها الإعراض والتكذيب والتحدي من المشركين"، (4)وهي الفترة التي لقى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ما لقى من أذى المشركين وعنتهم، وطغيانهم،(5) "كما كثر فيها طلب الخوارق من الرسول صلى الله عليه وسلم، واستعجال العذاب الذي ينذرهم به مما اقتضى حملة ضخمة تستهدف تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن معه على الحق الذي أنزل إليه من ربه، في وجه المعارضة والإعراض، والتكذيب والتحدي والاستعلاء بهذا الحق،

(1)نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، لمحمد الغزالي (ص188).

(2)انظر: هذه الرسالة (ص22).

(3)التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (432/7).

(4)في ظلال القرآن، لسيد قطب (2066/4).

(5)التفسير الوسيط للقرآن الكريم (432/7).

والإلتجاء إلى الله وحده وإعلان وحدانيته إلهاً ورباً والثبات على هذه الحقيقة والاعتقاد بأنها هي وحدها الحق، مهما كذب بها المشركون" (1).

المطلب الرابع

المحور الأساسي للسورة

إن موضوعها الرئيسي كموضوع السور المكية كلها (2)، هو إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه (3)، والعقيدة وقضاياها، من توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الدينونة لله وحده في الدنيا والآخرة جميعاً، ومن ثم قضية الوحي وقضية البعث، وما إليها، ولكن هذا الموضوع الواحد ذا القضايا الواحدة، لم يتكرر عرضه قط بطريقة واحدة في كل تلك السور المكية وفي غيرها من السور المدنية (4).

وهذا ما أكده عبد الحميد كشك في تفسيره مبيناً مقصود السورة قائلاً: "بيان حجة التوحيد في تخليق السموات والأرض، واستخراج الأنهار والأشجار والثمار، وتهديد الكفار ووعيدهم، وذكر تخليق الأولاد في أرحام أمهاتهم، على تباين الدرجات، ومن النقصان والزيادات في الأيام والساعات، واطلاع الحق سبحانه وتعالى على بواطن الأسرار، وضمائر الأخيار، والأشرار...، وذكر السحاب والرعد، والبرق والصواعق والأمطار..." (5).

"وهذه السورة تطوف بالقلب البشري في مجالات وآفاق وآماد وأعماق وتعرض عليه الكون كله في شتى مجالاته الأخاذة: في السماوات المرفوعة بغير عمد، وفي الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، وفي الليل يغشاه النهار، وفي الأرض الممدودة وما فيها من رواسٍ ثابتة، وأنهار جارية، وجنات وزرع ونخيل مختلف الأشكال والطعوم والألوان، ينبت في قطع من الأرض متجاورات، ويسقى بماء واحد، وفي البرق يخيف ويُطمِع، والرعد يسبح ويحمد، والملائكة تخاف وتخشع، والصواعق يصيب بها من يشاء، والسحاب الثقال والمطر في الوديان، والزبد الذي يذهب جفاء، ليبقى في الأرض ما ينفع الناس" (6).

---

(1) في ظلال القرآن (2066/4).

(2) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2039/4).

(3) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (76/13).

(4) انظر: في ظلال القرآن (2039/4).

(5) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك (1847/3).

(6) في ظلال القرآن (2039/4-2040)، باختصار.

المطلب الخامس

الأهداف العامة للسورة

1-"تبدأ السورة بقضية عامة من قضايا العقيدة: قضية الوحي بهذا الكتاب، والحق الذي اشتمل عليه" [1]،"ثم بعد ذلك بيّن اللَّه سبحانه وتعالى ما في الكون مما يدل على قدرة القادر ووحدانيته"[2].

2-"التنويه بأن القرآن منزل من الله، والاستدلال على تفرده تعالى بالإلوهية بدلائل خلق العالمين، و انفراده بتمام العلم والقدرة [3].

3-خضوع جميع الكائنات لمشيئة الله تعالى بالسجود، وهو أقصى رمز للعبودية، فإن الكائنات كلها تسجد لله تعالى، ويسجد ظلها معها" [4].

4- "تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديدهم أن يحل بهم ما حل بأمثالهم، والتذكير بنعم الله على الناس، وإثبات أن الله هو المستحق للعبادة دون آلهتهم" [5].

5-"التأكيد أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، والمؤمن الحق هو الذي يشعر بمراقبة الله في أقواله وأفعاله في السر والعلن" [6].

6-التهديد بالحوادث الجوية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حل بالأمم قبلهم، والتخويف من يوم الجزاء، والتذكير بأن الدنيا ليست دار قرار.

7-"بيان مكابرة المشركين في اقتراحهم مجيء الآيات على نحو مقترحاتهم، ومقابلة ذلك بيقين المؤمنين، وما أعد الله لهم من الخير، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لقي من قومه إلا كما لقي الرسل عليهم السلام من قبله، والثناء على فريق من أهل الكتاب يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله" [7].

8-"أوضحت السورة أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وهو من دعائم قواعد التوحيد الذي دعت إليه السورة، وتظهر أهمية الدعوة، في أنها وظيفة الرسل الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته، وتبليغها إلى الناس، فالداعية حسب منطوق سورة الرعد المُضمر يقوم بأشرف عمل، وهو حمل

---

(1) في ظلال القرآن (2043/4).

(2)زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد (3883/7).

(3) التحرير والتنوير(76/13)، باختصار.

(4)انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د:عبد الله شحاتة (ص:156).

(5) التحرير والتنوير(76/13)، باختصار.

(6) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (565/4).

(7) التحرير والتنوير(77/13)، باختصار.

رسالة الإسلام، من خلال توجيه نظر المدعو، أو المجادِل إلى ما في مظاهر الكون من عبر بكلمات مؤثرة بالترغيب والترهيب" [1].

9-الإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر والأمثال[2].

10-وختاماً: تدور هذه السورة حول محور مهم، هو أن الحق واضح بيّن راسخ وثابت، والباطل ضعيف زائف خادع مهما ظهر وعلا على الحق، ببهرجته وزيفه وعلينا ألا ننخدع ببريق الباطل الزائف لأنه زائل لا محالة ويبقى الحق يسطع بنوره على الكون كله، ولهذا عرضت السورة للمتناقضات الموجودة في الكون في آيات عديدة منها.

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (565/4).

(2) التحرير والتنوير(77/13)، باختصار.

المبحث الثالث

المناسبات في سورتي يوسف والرعد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المناسبة في سورة يوسف.

المطلب الثاني: المناسبة في سورة الرعد.

المطلب الأول

المناسبة في سورة يوسف

أولاً: مناسبة سورة يوسف لما قبلها (سورة هود):

1-بعد أن ذكر سبحانه من القصص والآيات القاطعة في سورة هود، بأن القرآن من عنده وبإذنه نزل، وأنَّه لا يؤمن إلا من شاء إيمانه، وأنَّه لا يقع في كونه سبحانه إلَّا ما شاء، وبين كذلك عظيم قدرته على مثل ما عذَّب به الأمم، وأشار إلى أنه حكم بالنصرة لعابديه فلا بد أن يكون ما أراد لأنه إليه يرجع الأمر كله.

فبينت ما لقي من أقرب الناس إليه ومن غيرهم من الغربة وشتات الشمل، ثم كانت له العاقبة فيه على أتم الوجوه، لما تدرع به من الصبر على شديد البلاء والتفويض لأمر الله جل وعلا، وفيه تسلية لهذا النبي الأمين وتأسية بمن مضى من إخوانه المرسلين فيما يلقى في حياته من أقاربه الكافرين، كما وقع ليوسف عليه السلام من تعذيب، وقد وقع بالفعل ما همَّ به الكفار من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم فنجا منهم، مثلما نصر الله يوسف عليه السلام على إخوته الذين فعلوا به ذلك [1].

2-سورة يوسف تعد متممة لما في سابقتها من قصص الرسل دالاً على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين [2].

3- أن سورة هود ذكرت قصة إبراهيم عليه السلام، بينما سورة يوسف ذكرت قصة أحفاده، وورد فيها اسم ابراهيم أكثر من مرة، بل إن سورة هود بشرت بيعقوب، الذي تدور قصة يوسف حوله، وحول ابنه الكريم يوسف.

4- في سورة هود قصة نوح مع ابنه، وفي سورة يوسف قصة يعقوب مع ابنه، مع الفارق أن ابن نوح عليه السلام أغرق بالطوفان ظالماً، ويوسف عليه السلام ألقي في قعر الجب مظلوماً.

5-"في سورة هود **{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** [هود:115]، وفي سورة يوسف **{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** [يوسف:90]، وفي ذلك حثٌّ على التقوى والصبر علي الابتلاءات التي تعتبر طريق الاختبار لكل الدعاة على مر العصور"[3].

---

[1] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (10/ 3).

[2] انظر: تفسير المراغي (111/12).

[3] انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية، د. أحمد القطان(ص50-51).

ثانيا: مناسبة سورة يوسف لما بعدها (الرعد):

1-أنه سبحانه أجمل في سورة يوسف الآيات السماوية والأرضية فى قوله:**{ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}** [يوسف:105]، ثم فصلها أتم تفصيل في سورة الرعد.

2-أنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله **{أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}** [يوسف:39] ثم فصل الأدلة في سورة الرعد بإسهاب لم يذكر في سالفتها.

3-أنه ذكر في كلتا السورتين أخبار الماضين مع رسلهم، وأنهم لاقوا منهم ما لاقوا، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله والمؤمنين، وفى ذلك تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلّم وتثبيتاً لقلبه [(1)].

4-اختتمت سورة يوسف بوصف القرآن في قوله تعالى: **{ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [يوسف:111]، الآية الكريمة تنفى عن القرآن الكريم أن يكون قد شابهُ شيء من الكذب أو الشك، إذ كان مصدّقا لما تقدمه من الكتب السماوية، شاهدا لها بأنها من عند الله.

وابتدأت سورة الرعد بوصفه في قوله تعالى: **{تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ}** [الرعد:2]، وهذه الآية هي توكيد لنفى الشّبه والرّيب عن القرآن الكريم، وتقرير بأنه الحقّ من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد [(2)].

5-لقد اختتمت سورة يوسف بالدليل على أحقية القرآن وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون بعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه من آياته في السموات والأرض مع الإعراض...، وابتدأت سورة الرعد ببيان الأنباء المتلوّة والأقاصيص المجلوة والدلائل العجيبة في التأدية إلى معرفة كتاب الله المنزل على رسول الله، الذي لا يطرقه مرية ولا فرية لما له من الإعجاز [(3)].

ثالثاً: مناسبة أول سورة يوسف بآخرها:

لقد كان ختام سورة يوسف بقوله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [يوسف:111]، وهذا من باب رد العجز على الصدر في هذه السورة، فكانت هذه الآية ناظرة إلى قوله تعالى في أول السورة: **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ**

[(1)]انظر: تفسير المراغي (60/13).

[(2)]انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (64/7).

[(3)]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (117/1-118)، باختصار.

كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: 3]، فكما سماه الله أحسن القصص في أول السورة نفى عنه الافتراء في هذه الآية [1].

وترى الباحثة: أن القرآن الكريم هو وحي من الله تعالى، كما بينت بداية السورة **{بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}** [يوسف: 3]، وليس حديثاً يفترى، إنما هو تصديق للكتب السماوية السابقة التي هي وحي من الله، كما بينت نهاية السورة **{ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}** [يوسف:111]، وكذلك القصص القرآني وصفه الله سبحانه في بداية السورة بأحسن القصص **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}** [يوسف: 3]، وذلك لما فيها من عظيم العبرة والعظة كما بين ذلك سبحانه في نهاية السورة **{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}** **[يوسف:111]**.

المطلب الثاني
المناسبة في سورة الرعد

أولاً: مناسبة سورة الرعد لما بعدها (إبراهيم):

"لما ختم الرعد بأنه لا شهادة تكافيء شهادة من عنده علم الكتاب إشارة إلى أن الكتاب هو الشاهد بإعجازه ببلاغته وما حوى من فنون العلوم، وأتى به في ذاك السياق معرفا لما تقدم من ذكره في البقرة وغيرها ثم تكرر وصفه في سورة يونس وهود ويوسف والرعد بأنه حكيم محكم مفصل مبين، وأنه الحق الثابت الذي تزول الجبال الرواسي وهو ثابت لا يتعتع شيء منه، ولا يزلزل معنى من معانيه، ذكره في أول هذه السورة منكرا تنكير التعظيم فقال: {كتاب} أي عظيم في درجات من العظمة، لا تحتمل عقولكم الإخبار عنها بغير هذا الوصف" [2].

ذكر سبحانه في سورة الرعد أنه أنزل القرآن حكماً عربياً ولم يصرح بحكمة ذلك **{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الرعد:1] ، وصرح بها في سورة إبراهيم **{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}** [إبراهيم:1].

كما ذكر في سورة الرعد قوله: **{وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}** [الرعد:38] وفي سورة إبراهيم ذكر أن الرسل قالوا: **{ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}** [إبراهيم:11]

---

[1] انظر: التحرير والتنوير (13/71-72).

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (10/369-370).

ذكر في سورة الرعد أمره عليه السلام بالتوكل على الله، وفي سورة إبراهيم حكى عن إخوانه المرسلين أمرهم بالتوكل عليه جل شأنه، كذلك اشتملت سورة الرعد على تمثيل الحق والباطل، كما اشتملت عليه سورة إبراهيم أيضاً، وذكر في السورتين مكر الكفار.

ذكر في سورة الرعد رفع السماء بغير عمد ومدّ الأرض وتسخير الشمس والقمر، وذكر نحو ذلك في سورة إبراهيم [1].

ثانياً: مناسبة أول سورة الرعد لآخرها:

1-تناسب الحديث في أول السورة عن الكتب السابقة للإسلام، والحديث عن أهل الكتاب في خاتمة السورة.

حيث بدأت السورة بذكر الكتب السماوية التي أنزلت قبل القرآن، مبينة أنها وهذا الكتاب الذي أنزل عليك يا محمد تخرج من مشكاة واحدة، قال الطبري: "وقوله: يقول تعالى ذكره: "تلك آيات الكتاب" تلك التي قصصت عليك خبرَها، آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك"[2].

وختمت السورة بشهادة من عنده علم هذه الكتب التي تشهد بصدق رسالة هذا النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: **{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}**،[الرعد: 43]، قال مجاهد: **{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}**، [الرعد: 43] "هو عبد الله بن سلام" [3].

2-"تناسب الحديث عن مد الأرض في مطلع السورة بالحديث عن نقصانها في نهاية السورة.

ففي قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ}** [الرعد: 3]، حديث عن بداية الخلق وهو ما يتناسب مع بداية السورة قال الطبري: يقول تعالى ذكره: والله الذي مَدَّ الأرض، فبسطها طولاً وعرضًا"[4].

وناسب الحديث عن خراب الأرض في نهاية السورة فتزداد روعة الآيات جمالاً، وأكثر إيقاعاً ووقعاً في القلوب، يقول الطبري في حديثه عن قوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا}**، [الرعد: 41]، قال: "نخرِّب من أطرافها"[5].

3-تناسب الحديث عن جنات الدنيا في أول السورة بالحديث عن جنات الخلد في آخرها.

---

[1] تفسير المراغي (122/13)، بتصرف.

[2] جامع البيان، للطبري(320/16).

[3] تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي (ص: 409)

[4] تفسير الطبري (328/16).

[5] المرجع السابق (495/16).

حيث يبين سبحانه قدرته في خلقه بما يحدث في الزروع وأن هذه الجنات في الدنيا مهما عظمت فهي لا تتساوى مع الجنات الحقيقية يوم القيامة فتأمل هذا التناسب الذي يرعد بالقلوب المتأملة لهذه السورة العظيمة، يقول تعالى: **{وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ}** [الرعد: 41].

يقول الطبري: "ولو شاء لسوَّى بين جميعهم، كما لو شاء سوَّى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربًا واحدًا، وتسقى سقيًا واحدًا، وهي متفاضلة في الأكل"[1].

وترى المقارنة بين آخر السورة عند الحديث عن الجنات الدائمة والمفضلة عن جنات الدنيا في كل شيء.

قال الماتريدي: "أي: ثمار الجنة دائمة لا تزول ولا تنقطع، ليس كثمار الدنيا، ونعيمها، ليس من ثمرة من ثمار الدنيا إلا وهي تزول وتنقطع في وقت؛ فأخبر أن ثمار الآخرة وما فيها من النعيم غير زائلة ولا منقطعة، وكذلك عذابها دائم، لا يزول، وَظِلُّهَا أيضًا، أخبر أن ظل الجنة لا يزول ولا ينقطع، لا يكون فيها شمس يزول ظلها بزوالها، وصف جميع ما فيها بالدوام والمنفعة، والظل شيء لا أذى فيه؛ وفيه منافع، والشمس فيها أذى ومنافع، وكذلك جميع ما يكون من الأشياء في الدنيا، يكون فيها منافع ومضار، وأنها تزول وتنقطع، فأخبر أن ظل الآخرة وما فيها من النعم دائمة باقية، غير زائلة ولا منقطعة، ولا مضرة فيها، ليس كنعيم الدنيا وظلها، واللَّه أعلم"[2].

---

[1] المرجع السابق (346/16).

[2] تأويلات أهل السنة، للماتريدي (6/ 348).

المبحث الرابع

التعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الأول

تعريف المقاصد لغة، واصطلاحاً

أولاً: تعريف المقاصد لغةً:

"**(قصد)**: قصدته قصداً ومقصداً، والقصد: استقامة الطريق، وقوله تعالى: **{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}** [النحل: 9]، أي: على الله تبيين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين، وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب، وفي التنزيل: **{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ}** [التوبة:194]" [(1)]، "والقصد في المعيشة ألا يسرف ولا يقتر" [(2)] "والقصد استقامة الطريقة، وقصد يقصد قصدا فهو قاصد"[(3)].

مَقْصِد مفرد، جمعه مقاصِد وهوُ: اسم مكان من قصَدَ، أو هو بمعنى: غاية، فحوى "مَقْصِدي من فعل كذا مساعدته، ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها[(4)].

ثانياً: تعريف المقاصد اصطلاحاً:

للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية منها:

1-"هي الأهداف والغايات المرادة من تشريع الأحكام"[(5)]

2-عرفها الأستاذ علال الفاسي بقوله: "بأنها الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" [(6)].وعرفها الأستاذ يوسف حامد العالم بقوله: "هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المنافع، أو عن طريق دفع المضار" [(7)].

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن المرسي (6/184-185)، باختصار.

(2) تهذيب اللغة، للهروي (8/274).

(3) العين، للفراهيدي (5/54).

(4) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 1820).

(5) مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد(95/311).

(6) قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني (ص46).

(7) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف العالم، ص79.

3-وعرفها الدكتور يوسف القرضاوي بقوله: "الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات وأمة" [1].

4-وعرفها الدكتور أحمد الريسوني بقوله: "هي الغايات التي وضعت الشرعية لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد" [2].

المقاصد الشرعية: "هي جملة ما أراده الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية، كمصلحة الصوم والتي هي بلوغ التقوى، ومصلحة الجهاد التي هي درء العدوان والذب عن الأمة، ومصلحة الزواج والتي هي غض البصر وتحصين الفرج وإنجاب الذرية وإعمار الكون.

وهذه المصالح كثيرة ومتنوعة، وهي تجمع في مصلحة كبرى وغاية كلية: هي تحقيق عبادة الله، وإصلاح المخلوقين وإسعادهم في الدنيا والآخرة" [3].

المقاصد القرآنية: "هي النتائج المقصودة بعد تحقيق الأهداف والغايات للأحكام والمعاني العامة والخاصة للمنهج القرآني، وهي الأسرار الكامنة المستنبطة من كل جزئية من جزئيات الأهداف والغايات والأحكام التي تندرج ضمن الكليات الخمسة، والتي تعتمد في الأساس على جلب النافع و دفع المضار كل حسب استطاعته" [4].

وقد عرف الدكتور محمد الربيعة علم مقاصد السور فقال: "هو علم يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها" [5].

وقد عرف البقاعي هذا العلم فقال: " هو علم يعرف منه مقاصد السور، وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حيالها" [6].

---

[1] دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي (ص20).

[2] نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني (ص7).

[3] علم المقاصد الشرعية، لنور الدين الخادمي (ص17).

[4] رسالة ماجستير بعنوان "مقاصد وأهداف سورة التوبة"، للطالب حسن الخطيب (ص39).

[5] علم مقاصد السور، د. محمد عبد الله الربيعة (ص7).

[6] نظم الدرر، للبقاعي (155/1)

المطلب الثاني

تعريف الأهداف لغة، واصطلاحاً

أولاً: تعريف الأهداف لغةً:

هَدَف: من أَهْدَفْتُ ودنوت منك، يقال: أَهْدَفَ لي الشيء، أهدف القوم أي قرُبوا، والهدف: كل شيء عظيم مرتفع، وكل بناء مرتفع مشرف؛ أو كثيب رمل؛ أو جبل ومنه سمي الغرض هدفاً، وأهدف على التل أي أشرف وأسرع, وأهدَف إليه لَجَأَ [1]، والهدف: الغرض، والهدف من الرجال: الجسيم الطويل العنق، العريض الألواح، والهدف: كل شيء عريض مرتفع، وأهدف الشيء، إذا انتصب [2].

والجمع أهداف، لا يكسر على غير ذلك، ومنه سمي الغرض هدفاً، وهو المنتضل فيه بالسهام، والهدف: ما رفع وبنى من الأرض للنضال، والقرطاس: ما وضع في الهدف ليرمي، ويسمى القرطاس غرضا، وهدفا، على الاستعارة [3]، والهدف: الرجل العظيم، والثقيل النؤوم، الوخم الذي لا خير فيه.

وهَدَفْ هَدَفْ: دعاء للنعجة إلى الحلب، والهادفة: الجماعة، وهدف إليه: دخل، وللخمسين: قاربها، والهدف، بالكسر: الجسيم، وأهدف عليه: أشرف، واستهدف: انتصب وارتفع، وركن مستهدف: عريض [4].

ثانياً: تعريف الأهداف اصطلاحاً:

للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية منها:

1-الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها: "هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد [5].

2-فالأهداف هي: "الغايات والرغبات التي نسعى لتحقيقها، منذ نقطة البداية، لأي مخطط أو منهج، عاجلة كانت الأهداف أم آجلة، واضحة كانت أم خفية، معلومة أم مجهولة" [6].

أما الأهداف التربوية فهي: "تلك التغييرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد، وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية، فهي تصف الصفات العقلية

---

[1] لسان العرب، لابن منظور (345/9).

[2] العين، للفراهيدي (29/4).

[3] تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي (487/24).

[4] القاموس المحيط، للفيروز أبادي (862/1).

[5] المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم (ص79).

[6] الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم (ص14)، بتصرف.

والنفسية والشخصية التي يتمتع بها الفرد المثقف تثقيفًا عاليًا، وهي تصف أيضا الاتجاهات والخصائص الاجتماعية التي يتصف بها المجتمع الراقي المتحضر. وهذه الأهداف هي الثمرات النهائية للعملية التربوية" [1].

ولقد عرفها البعض من الناحية القرآنية بأنها:

1-الاستفادة من دلالات النص القرآني في تصحيح السلوكيات، وبيان المنهج القرآني في تربية الفرد والجماعة.

2-اكتساب القدرة على تحليل النص القرآني.

3-المقدرة على المناقشة والبحث والحوار.

4-معرفة أسرار، ومكنونات القرآن بالوقوف على فهم الآيات، ومناسباتها، ووجه الإعجاز، والبلاغة فيها [2].

أما الأهداف القرآنية: فهي تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى **من** خلال تحقيق كافة المقاصد القرآنية: العقدية والشرعية والتربوية والأخلاقية، والنفسية والاجتماعية، للسمو بالنفس البشرية بعيداً عن فساد الهوى وإغواء الشيطان.

المطلب الثالث

الفرق بين المقاصد والأهداف

1-"الأهداف هي نقطة البداية لأي عمل في إطار تعبدي أو تربوي، وتكون قبل وضع الخطط"[3]، "أما المقاصد فهي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد" [4]، فمثلا المسلم مأمور بالصلاة وهي فرض عليه، فتكون الصلاة مقصداً والوضوء لها هدف حتى يستطيع القيام بها.

---

[1] أهداف التربية الإسلامية، د. ماجد الكيلاني (ص13).

[2] انظر: جامعة الأزهر، كلية العلوم الإسلامية للوافدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، بوابة التعليم الإلكتروني، الرابطة العالمية لخريجي الأزهر.

[3] الأهداف السلوكية، د. مهدي سالم (ص14).

[4] موقع الشبكة الإسلامية.

2-"الأهداف تكون قبل نتاج أي عمل، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق" [1]، أما المقاصد فهي الحق المقصود لذاته [2].

3-الأهداف العامة والخاصة لا بد أن ترتبط بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان [3]، أما المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها استخلف الإنسان على الأرض، وهي (التوحيد والتزكية والعمران) [4].

4-"مصطلح مقاصد السور له مرادفات في كلام المفسرين وغيرهم، منها: سياق السورة، وغرض السورة، والوحدة الموضوعية، الوحدة السياقية للسورة، وموضوع السورة العام، وعمدة السورة، وهدف السورة، ومحور السورة، ومضمون السورة، ومدار السورة، وفلك السورة، وجو السورة، و شخصية السورة، وروح السورة.

وكلها تصب في معنى واحد هو أن تكون السورة ترجع إلى معنى واحد يجمعها" [5].

وقد تبين لي من خلال البحث في كتب التفسير، وعلوم القرآن، ومن خلال الاطلاع على الرسائل العلمية في هذا الموضوع أنه لا فرق يذكر بين الأهداف والمقاصد بالنسبة لآيات القرآن الكريم، وأن الفوارق التي ذكرت إنما هي من كتب التربية وليست من كلام المفسرين.

المطلب الرابع

أهمية معرفة مقاصد و أهداف السور والآيات

تتجلى أهمية هذا العلم فيما يلي:

أولاً: "إن معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات يمثل الروح التي تسري في كيان السورة، فتربط بين أجزائها، وتجعل كل جزء فيها آخذاً بالآخر، في سبيل تحقيق المقصد الأعظم" [6].

ثانياً: "إن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن الكريم، وهو التدبر والهداية، فهذا القرآن أنزل لهداية الناس، وهداية الناس لا تتحقق على وجه الكمال إلا بالتأمل الدقيق في القرآن الكريم، ومعرفة ما أنزل القرآن من أجله، وذلك لا

---

(1) انظر: الأهداف السلوكية، د. مهدي سالم (ص14).

(2) موقع الشبكة الإسلامية.

(3) الأهداف السلوكية، د. مهدي سالم (ص15).

(4) انظر: مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، حوار مع د. طه جابر العلواني، (ص82).

(5) علم مقاصد السور، د. محمد عبدالله الربيعة (ص9).

(6) علم مقاصد السور، د. محمد عبدالله الربيعة (ص7).

يتحقق ويتبين إلا بالنظر في مقصود سور القرآن، فعندما ننظر إلى تفاصيل ما في هذه السور، نهتدي إلى المقصود منها، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده من كلامه والعمل به" [1].

ثالثاً: إن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، واستخراج مقصدها [2] .

رابعاً: "أنه يعين على فهم كتاب الله تعالى فهماً صحيحاً، و يوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله تعالى، والتبحر في دلالاته وهداياته، ودقائق معانيه" [3].

خامساً: "إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بألا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء وجزء منه إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة؛ فإن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية" [4].

سادساً: "أن مقاصد السور من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقاصد السورة يعايش السورة معايشة تبعثه على التفاعل والعمل والتطبيق، فالقارئ لسورة الإخلاص مثلاً حين يدرك ما تهدف إليه السورة من تحقيق الإخلاص والتوحيد يستحضر هذا المقصد في آياتها وكلماتها فيبعثه ذلك على تحقيق المقصود"[5].

سابعاً: "أن هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلب، وقرار العين بما يتضح من روائع هذا العلم العظيم، ويحصل معه من اللذة والمتعة والسرور ما لا يحصل في غيره، ذلك أنه علم يبحث في الحكم والمقاصد" [6].

---

[1] أهمية علم المقاصد، د. محمد بن عبد العزيز الخضيري، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، باختصار.

[2] انظر: الموافقات، للشاطبي (415/3).

[3] علم مقاصد السور، د. محمد عبدالله الربيعة (ص12).

[4] النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز (192/1).

[5] علم مقاصد السور، د. محمد عبدالله الربيعة (ص12).

[6] المرجع السابق

المبحث الخامس

التعريف بالدراسة التحليلية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الأول
المقصود بالدراسة التحليلية

أولاً: تعريف الدراسة التحليلية لغةً:

الدراسة لغةً:

الدَّرْس: بقية أثر الشيء الدارس، ودرسته الرياح أي عفته، والدرس: درس الكتاب للحفظ، ودرس دراسةً، ودارست فلانا كتابا لكي أحفظ [1].

والدَّرْس: الطريق الخفي والخلِق البالِي من الثياب وغيرها والجرب وذنب البعير والمقدار من العلم يدرس في وقت ما، ويجمع على: دروس وأدراس.

درس درساً، ودَروساً: أي عَفا، وَذهب أَثَره، وتقادم عهده، والثوب ونحوه أخلق وبلي، والبعير جرب والمرأة حاضت فهي دارس، والجمع: دُرَس ودَوارس.

والشيء درس غيره أو محا أثره، والثوب أخلقه، والدابة راضها وذللها، والفراش وطأه ومهده، والكتاب ونحوه درساً ودراسةً: قرأه وأقبل عليه ليحفظه، ويفهمه، ويقال: درس العلم والفن والحنطة داسها والطعام أكله.

أدرَس الكتاب ونحوه درسه، وفلاناً الكتاب ونحوه جعله يدرسه، ودارس الكتاب ونحْوه مدارسة ودراسا درسه وَفُلَانًا قارأه وذاكره والذنُوب قارفها [2].

"وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء، درست القرآن إذا قرأته وتعهدته لتحفظه" [3].

التحليلية لغة:

حلَّلَ يحلِّل، تحليلاً وتَحِلَّةً، فهو مُحلِّل، والمفعول مُحلَّل.

حلل اليمين: بررها، جعلها حلالا ومباحا، و حلل الشيء:

- أحله، رخصه وأباحه (حلل النبي صلى الله عليه وسلم أكل ميتة البحر من السمك، حلل الله عز وجل الزواج وحرم الزنا) [4].

---

[1] العين، للفراهيدي (227/7).

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (279/1).

[3] غريب الحديث، لأبي سليمان الخطابي (583/1).

[4] أخرجه الترمذي (69)، والنسائي في "الكبرى" (58) و (4843)، وابن ماجه (386) و (3246). وهو في "مسند أحمد" (7233).

- رده إلى عناصره (حلل الناقد القصيدة تحليلا دقيقا، حلل الطبيب دم المريض، حلل المشكلة: أمعن في بحثها والتدقيق فيها).

و حلل الحيوان: ذبحه حسب الشريعة الإسلامية، و حلل نفسيته: درسها لكشف خباياها [1].

"حلَّ العقدة يَحُلُّها حلاً: فتحها ونقضها فانحلت" [2]، "و تحليليَّة (مفرد): اسم مؤنَّث منسوب إلى تَحْليل، دراسة تحليليّة: تتَّخذ التحليلَ أساسًا لها" [3].

ثانياً: تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

"هي دراسة الآيات القرآنية دراسةً مستفيضة من جميع نواحيها، بحيث يسير الباحث في هذه الدراسة مع الآيات آية آية، شارحاً مفرداتها، وموجهاً إعرابها، وموضحاً معانى جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبوية، وبما صح عن الصحابة والتابعين، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني وتوضيحه للقراء، مازجا ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته" [4].

ولقد عرفتها الطالبة سمية دويدار بأنها: "الكشف والبيان عن أجزاء الكلام لمعرفة خباياه، مع المجيء بلفظ أيسر، وأسهل من لفظ الأصل" [5].

وبذلك تكون الدراسة التحليلية المتعلقة بالقرآن الكريم هي: العلم الذي يكشف فيه الباحث عن المعاني الدقيقة للآيات من خلال امتلاكه لأدوات التفسير التي يجب أن يتسلح بها أي مفسر.

---

[1] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر (549/1).

[2] لسان العرب، لابن منظور (203/11).

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر (550/1).

[4] الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (ص287).

[5] الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي عشر من القرآن الكريم، للطالبة سمية دويدار (ص30).

المطلب الثاني

متطلبات الدراسة التحليلية

إن الباحث في دراسة آيات القرآن الكريم دراسة تحليلية لا بد أن تعتمد دراسته على ما يلي:

أولاً: الدراسة التحليلية تنصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية.

ثانياً: التعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السورة.

ثالثاً: التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم، وغيرها من الوجوه التي تساعد على إجلاء المعنى وتوضيح المراد.

"فالذي يريد تفسير الآيات القرآنية لا يستطيع أن يعبر عن موضوع الآيات التي يريد التعبير عنها بأسلوبه الخاص لتقريب المعاني وإبراز جوانب الهداية منها ما لم يلم بهذه التفصيلات لاستجلاء المعنى المراد ثم صياغته بأسلوب يتناسب مع المدارك الثقافية للمخاطبين"[1].

[1] مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم (ص52).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية 53-111

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (53-57)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (58-80)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (81-101)

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (102-111)

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (53-57)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: أحوال النفس البشرية.

المقطع الثاني: التمكين ليوسف عليه السلام بعد السجن والاستضعاف.

المقطع الثالث: حنكة يوسف عليه السلام وفطنته وحسن تدبيره.

المقطع الاول

أحوال النفس البشرية

قال تعالى: **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [يوسف:53].

أولاً: المناسبة:

"هذه الآية من تتمة كلام امرأة العزيز، متصلة بما قبلها" [1]، والظاهر أن هذا كلام امرأة العزيز، والمعنى: ذلك الإقرار والاعتراف بالحق، ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته، والذب عنه، وأرميه بذنب هو منه بريء، ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها: وما أبرئ نفسي، والنفوس مائلة إلى الشهوات، أمارة بالسوء [2] "وهذا القول أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك" [3].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{أُبَرِّئُ}:** (بَرَأ) "أصل البُرء والبَرَاء والتَبَري: التقصي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: بَرَأت من المرض وبرئت من فلان وتبرأت وأبرأته من كذا، وبرّأته، ورجل بريء، وقوم بُرَّآء وبريئون" [4].

***{النَّفْسُ}:** "النفس: الرُوحُ في قوله تعالى: **{أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ}**، [الأنعام:93]، **{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}**، [البقرة:235]" [5]، والنفس أيضا: الدم، والنفس: الجسد، والنفس: العين، أصابته نفس أي: عين، والنافس: العائن، ونفس الشيء: عينه، يؤكد به يقال: رأيت فلانا نفسه، وجاءني الملك بنفسه [6].

***{أمّارة}:** "صيغة مبالغة من فعل أمر الثلاثيّ، وزنه فعّالة، والتاء إمّا للتأنيث فمذكّره أمّار، وإمّا للمبالغة مثل فهّامة" [7].

***{السُّوء}:** هي من باب القبح، تقول رجل أَسْوَأ، أي قبيح، وامرأة سَوْآءُ، أي قبيحة، وسميت النار سوأى لقبح منظرها، قال تعالى: **{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى}**

---

[1] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والحياة، لوهبة الزحيلي (13/5).

[2] انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (288/6).

[3] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (338/4).

[4] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (121/1).

[5] المرجع السابق (818/1).

[6] انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز ابادي (98/5).

[7] الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود عبد الرحيم صافي (10/13).

[الروم:10] [1]، والسُّوءُ: "كلّ ما يغمّ الإنسان من الأمور الدّنيويّة، والأخرويّة، ومن الأحوال النّفسيّة، والبدنيّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم" [2].

"والمراد به هنا، كل ما يغضب الله تعالى من المعاصي، لأنها تسوء صاحبها وتحزنه في الحال أو المآل" [3].

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى: **{إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}**، يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: "إلّا: أداة استثناء، ما: اسم موصول في محلّ نصب على الاستثناء المتّصل" [4]،

الوجه الثاني: أو هو استثناء منقطع مِمّا قبله [5]،

{وما أبرّئ ... }: جملة في محلّ نصب معطوفة على جملة مقول القول، وجملة: **{إنّ النفس لأمّارة ... }**: لا محلّ لها تعليليّة، أي تعليل لجملة **{وما أبرئ نفسي... }**: أي لا أدعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب، لأن النفس كثيرة الأمر بالسوء.

{رحم ربّي ... }: لا محلّ لها صلة الموصول (ما)" [6].

معاني الإعراب:

المعنى الأول: قوله: **{إلا ما رحم ربي}** قيل: "ما" بمعنى الذي، وقيل: مصدرية، وعلى التقديرين فلابد من حذف مضاف، أما على الأول: فالتقدير: إلا نفس من رحم ربي، وعلى الثاني: إلا وقت رحمة ربى، والمعنى: إن النفس أمارة بالسوء في كل وقت وأوان، إلا وقت العصمة، فعلى الوجهين(ما): نصب على الاستثناء، وهو متصل" [7].

المعنى الثاني: أما إذا كان الاستثناء منقطع "فما مصدرية: أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء" [8].

جملة: **{ما أبرّئ ... }** في محلّ نصب معطوفة على جملة مقول القول، "أي جملة: (قلت) ذلك ليعلم أنّي لم أخنه" [9].

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (113/3).

[2] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (441/1).

[3] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (344/1).

[4] الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود عبد الرحيم صافي (10/13)

[5] انظر: معاني القرآن، للفراء (48/2).

[6] الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود عبد الرحيم صافي (10/13)

[7] إعراب القرآن العظيم، لزكريا الأنصاري، زين الدين السنيكي (ص344).

[8] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (4/7).

[9] الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود عبد الرحيم صافي (11/13)

رابعاً: القراءات:

{إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}: فتح الياء نافع وأبو عمرو، وأرسلها الباقون [(1)].

قرأ نافع في غير رواية ورش وابن كثير في رواية البزّي وابن فليح (بالسوء إلا ما رحم ربي) بتسهيل الهمزة الأولى وقبلها واواً مكسورة وإدغام الواو الساكنة التي قبلها فيها، وتحقيق الهمزة الثانية [(2)].

خامساً: البلاغة:

{إن النفس لأمارة بالسوء}: "هذه استعارة، لأن النفس لا يصحّ أن تأمر على الحقيقة، ولكن الإنسان لما كان يتبع دواعيها إلى الشهوات، وينقاد بأزمّتها إلى المقبّحات، كانت بمنزلة الآمر المطاع، وكان الإنسان بمنزلة السامع المطيع" [(3)].

{لأمارة}: "مبالغة في صفتها بكثرة الدفع في المهاوي، والقود إلى المغاوي" [(4)].

سادساً: التفسير الإجمالي:

بعد أن مكث يوسف عليه السلام في السجن عدة سنين وقد ظهرت براءته بعد أن راجع الملك جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطباً لهن كلهن، وهو يريد امرأة العزيز، **{ما خطبكن}**: أي شأنكن وخبركن، **{إذ راودتن يوسف عن نفسه}** فكان الرد والجواب للملك: **{حاش لله ما علمنا عليه من سوء}**، وإذا بلسان الصدق، والله ما علمنا عليه من سوء، فحينها نطقت امرأة العزيز قائلة: **{أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين}**.

قال تعالى: **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [يوسف:53].

اختلف المفسرون هل هذا القول من تتمة كلام امرأة العزيز، أو هو من قول يوسف عليه السلام، أو هو من قول العزيز.

وقد أرجع ابن القيم أن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف لعدة وجوه:

1-أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها: **{الآن حصحص الحق}**.

2-أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها، والسياق صحيح صريح في ذلك [(5)].

[(1)] معاني القراءات، للأزهري (47/2).

[(2)] جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (1231/3).

[(3)] الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين (180/4).

[(4)] انظر: المرجع السابق.

[(5)] انظر: التفسير القيم، لابن القيم (ص317).

"وهذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف عليه السلام إذ ذاك في السجن لم يحضر" [1]، ويدل ذلك على أن هذا من قول امرأة العزيز أثناء التحقيق معها.

يقول الرازي [2] في تفسيره لهذه الآية: "وهذا الكلام من بقية كلام المرأة وفيه وجهان:

الأول: وما أبرئ نفسي عن مراودته، ومقصودها تصديق يوسف عليه السلام في قوله: هي راودتني عن نفسي.

الثاني: أنها لما قالت: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، قالت وما أبرئ نفسي عن الخيانة مطلقا فإني قد خنته حين قد أحلت الذنب عليه وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم، وأودعته السجن كأنها أرادت الاعتذار مما كان" [3].

أحوال النفس البشرية:

"تصرح هذه الآية بحقيقة كبرى في ذات الانسان وهى نفسه التي تناول علم النفس دراستها وكشف ما في النفوس البشرية من عوالم مكنونة حافلة بالأسرار وبالعجائب والغرائب من السلوك والمشاعر ومن تقلبات بين طمأنينة وقلق وبين انشغال واستقرار وبين هدوء وانفعال، وكيف أن النفس لها حالات من الرشد والهداية مع النفس اللوامة وحالات من الفجور والطغيان مع النفس الامارة" [4]، "واختلف الحكماء في أن النفس الأمارة بالسوء ما هي؟ والمحققون قالوا إن النفس الإنسانية شيء واحد، ولها صفات كثيرة فإذا مالت إلى العالم الإلهي كانت نفسا مطمئنة، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت أمارة بالسوء، وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها، فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه، فذلك لا يحصل إلا نادرا" [5].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الحمن السعدي (ص400).

[2] الفخر الدين الرازي: هو محمد بن عمر بن حسن بن الحسين التميمي البكري، أبو عبد الله، الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وعلم الأوائل، وهو قرشي النسب، وأصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبه، وكان يحسن الفارسية، ومن تصانيفه: مفاتيح الغيب، معالم أصول الدين، انظر: الأعلام، للزركلي (313/6).

[3] مفاتح الغيب، للرازي (470/18).

[4] القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إبراهيم (112/1).

[5] مفاتح الغيب، للرازي (471/18).

وللإنسان ثلاث نفوس: مطمئنة، وأمارة، ولوامة، وكلها في القرآن، أما المطمئنة ففي قوله تعالى: **{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}** [الفجر: 27] . وأما الأمَّارة بالسوء ففي قوله تعالى: **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [يوسف: 53] . وأما اللوامة ففي قوله تعالى: **{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [القيامة: 2] .

والإنسان يحس بهذه الأنفس؛ يرى في نفسه أحياناً نزعة خير يحب الخير ويفعله وهذه هي النفس المطمئنة، ويرى أحياناً في نفسه نزعة شر فيفعله، وهذه النفس الأمارة بالسوء، وتأتي بعد ذلك النفس اللوامة التي تلومه على ما فعل فتجده يندم على ما فعل من المعصية، أو لوامة أخرى تلومه على ما فعل من الخير، فاللوامة نفس تلوم الأمارة بالسوء مرة، وتلوم المطمئنة مرة أخرى، فهي في الحقيقة نفس بين نفسين تلوم النفس الأمارة بالسوء إذا فعلت السوء، وتُندِم الإنسان، وقد تلوم النفس المطمئنة إذا فعلت الخير [1]، وخير النفوس النفس المطمئنة، وشرها النفس الأمَّارة بالسوء، وبينهما النفس اللوَّامة [2].

براءة يوسف عليه السلام:

هكذا انتصر الحق وظهر أمر الله وخرج يوسف عليه السلام من السجن، ونور الإيمان يتلألأ على محياه، وبين القرآن براءته من الوقوع فيما لا ينبغي بشهادة الشهود:

أولاً: شهادة المرأة: **{وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}** [يوسف:32].

ثانياً: شهادة النسوة: **{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ}** [يوسف:51].

ثالثاً: شهادة الشاهد من أهلها: **{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ}** [يوسف:26-27].

رابعاً: شهادة زوج المرأة (العزيز): **{وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}** [يوسف:29].

خامساً: شهادة يوسف عليه السلام لنفسه: **{هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي}** [يوسف:26].

سادساً: شهادة رب العالمين: **{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}**[يوسف:24] [3].

---

[1]انظر: تفسير جزء عم، لمحمد بن صالح العثيمين (ص54).

[2]انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (270/2).

[3]قصص القرآن دروس وعبر، لسعد يوسف أبو عزيز(ص167-168).

سابعا: مقاصد الآيات:

1-إعلان براءة يوسف عليه السلام، والثناء عليه بموقفه الذي وقفه أمام سيدته بقوله عز وجلّ: **{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ}** وهذا التثبت الذي ثبتناه حتى عن الهمّ بالسّوء والفحشاء نصرفه عنه أيضا، إنه عبدنا ونبينا من عبادنا المخلصين الذين، اخترناهم لعبادتنا وخلافتنا في أرضنا[1].

2-الاعتراف بالخطأ فضيلة، فالإنسان عندما يدرك خطأه، ويتدارك ما وقع منه من ذنبٍ يسرع إلى التوبة والاستغفار إذا كان هذا الخطأ في حق الله عزّ وجلّ، وإذا أخطأت في حق شخص أنت تعرفه، فبالإضافة إلى التوبة والاستغفار إذا اعترفت له بخطئك، وأبديت له أسفك، فسرعان ما تتآلف القلوب وتصفو النفوس، وهذا لاشك خلقٌ عظيمٌ من أخلاق الإسلام لا بد أن نتحلى به جميعاً كي يعيش المجتمع حياةً مستقرةً بعيدةً عن الشحناء والحسد والتباغض.

3-التحلي بخلق التواضع شيمة عظيمة من شيم الإسلام لابد لكل مسلم أن يتحلى بها، ويربي أبناءه عليها.

4-فيها دليل على: أن أكثر النفوس نزاعة للشهوة، ميالة للهوى، ذات نزعة شريرة، تحتاج إلى مجاهدة ومكافحة ومراقبة وتحذير.

5-أن الطاعة والإيمان لا يحصلان إلا من الله، وأن انصراف النفس من الشر لا يكون إلا برحمته.

6-مدى فضل الله وإحسانه فهو غفور لذنوب عباده، رحيم بهم إذا هم تابوا وأنابوا وأحسنوا العمل، أي يغفر للمستغفر لذنوبه، المعترف على نفسه، ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه [2].

7-خطورة الاستعجال وأهمية التأني.

8-الحرص على نقاء العرض, وتبرئة النفس من التهم الكاذبة.

9-الصبر مفتاح الفرج.

10-كل خائن لابد أن تعود خيانته ومكره على نفسه.

---

[1] انظر: بيان المعاني، لعبد القادر بن ملّا العاني (197/3).

[2] انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (7/13).

المقطع الثاني

التمكين ليوسف عليه السلام بعد السجن والاستضعاف

قال تعالى: **{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}** [يوسف:54].

أولاً: المناسبة:

لما رأى الملك نزاهة الصديق، وعلم براءته، أراد أن يمكن له في الحكم، وظهر ذلك جلياً في قول الزحيلي في تفسيره: "بعد أن تحقق الملك الأكبر من أمر النسوة بناء على طلب يوسف عليه السلام، وظهرت له براءته وعفته، طلب إحضاره إليه من السجن، ليصطفيه لنفسه، فلما سمع منه تعبير رؤياه، أعجب به وبعلمه وحسن أدبه، وأعزه وأنزله لديه مكانة عالية، وآمنه على نفسه، وائتمنه على كل شيء، وسلمه مقاليد الحكم والسلطة، وفوض إليه تصريف وإدارة الأمور السياسية والمالية في جميع أنحاء مصر " [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{المَلِكُ}**: "المَلْكُ: ما ملكت اليد من مال" [(2)]، "والمُلك ضربان: مُلْكٌ: هو التملك والتولي، ومُلْكٌ: هو القوة على ذلك، تولى أو لم يتول، والمَلِك: من ملوك الأرض، ويقال له مَلْك، بالتخفيف" [(3)]، "ومَلِك مفرد، والجمع مُلُوك: وهي صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من ملَكَ: أي صاحب الأمر والسّلطة، وهو شخص يحكم أو يتولّى الملك في منطقة بحكم الوراثة أو لمدى الحياة" [(4)].

***{أَسْتَخْلِصْهُ}**: "خَلَصَ الشَّيء: صار خالصاً وبابه دخل، و خَلَص إليه الشَّيء وصل واسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ: اسْتَخَصَّهُ" [(5)]، "استخلصه لنفسه: أي جعله خالصاً لها" [(6)]، "استخلصه: أخلصه وأختاره وأختصه" [(7)]، "أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي" [(8)].

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (8/13).

(2) العين، للفراهيدي (380/5).

(3) تاج العروس، للزبيدي (346/27)، باختصار.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد عمر، بمساعدة فريق عمل، بتصرف يسير (2123/3).

(5) مختار الصحاح، لزين الدين الحنفي الرازي، بتصرف يسير (94/1).

(6) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد اليمني (1910/3).

(7) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (249/1).

(8) انظر: تفسير ابن كثير (395/4).

*{**مَكِينٌ**}: مفرد: والجمع، مُكَنَاءُ وهو: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من مكُنَ أي: ذو منزلة ورفعة شأن [1]،" مَكن فلان عند الناس مكانةً، عظم عندهم فهو مكين" [2].

*{**أمين**}: الأَمْنُ نقيض الخوف أَمِن أمناً، وأمنةً، وأماناً فهو آمن، قال تعالى: {**وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**} [التين:3] أي: الآمن، وأمن من باب فَهِمَ وسَلِمَ [3]، "والأمين: القوي، والمُؤْتَمِنُ، والمُؤْتَمَنُ" [4].

ثالثاً: الإعراب:

قال تعالى: {**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**} [يوسف:54].

{**أستخلصه**}: "مضارع مجزوم بجواب الطلب، و الهاء ضمير في محلّ نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، لنفسي جارّ ومجرور متعلّق ب {**أستخلصه**}، وجملة: {**أستخلصه ...** } لا محلّ لها جواب شرط مقدّر غير مقترنة بالفاء" [5].

{**فلما كلمه**}: "الفاء: عاطفة، لمّا: ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشرط مبنيّ في محلّ نصب متعلّق ب {**قال**} ، كلّمه: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، أي الملك" [6].

{**فلما كلمه**}: "جملة مفرعة على جملة محذوفة دل عليها قوله: {**وقال الملك ائتوني به**}، والتقدير: فأتوه به، أي بيوسف عليه السلام فحضر لديه وكلمه فلما كلمه، والضمير المنصوب في كلمه عائد إلى الملك، فالمكلِّم هو يوسف عليه السلام، والمقصود من جملة فلما كلمه إفادة أن يوسف عليه السلام كلم الملك كلاما أعجب الملك بما فيه من حكمة وأدب، ولذلك فجملة {**قال إنك اليوم لدينا مكين أمين**} جواب {**لما**}، والقائل هو الملك" [7].

---

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد عمر، بمساعدة فريق عمل، بتصرف يسير (2116/3).

[2] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (881/2).

[3] انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن المرسي (492/10)، و مختار الصحاح، لأبي بكر الرازي (ص22).

[4] القاموس المحيط، للفيروز ابادي (1176/1).

[5] الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود صافي (12،11/13).

[6] المرجع السابق (11/13).

[7] التحرير والتنوير، لابن عاشور (7/13).

رابعاً: البلاغة:

"السين والتاء في أستخلصه للمبالغة، مثلها في استجاب واستأجر، والمعنى أجعله خالصاً لنفسي، أي خاصاً بي لا يشاركني فيه أحد، وهذا كناية عن شدة اتصاله به والعمل معه" (1).

خامساً: التفسير الإجمالي:

أولاً: من السجن إلى الملك:

لا تزال أسهم يوسف ترتفع في نظر الملك مرة بعد مرة، وفي موقف بعد موقف، أولاً: بتفسير رؤياه، وثانياً: برفضه الخروج، وثالثاً: بهذه الشهادة التي أدانت بها النسوة أنفسهن، والآن الموقف الرابع: وهو أهم من كل ما سبق: أن يجلس إلى يوسف مباشرة ويستمع إلى هذا المنطق السديد، والفكر الثاقب الخصيب.

والأمر الأهم: أن يرسل الملك مرة ثانية إلى يوسف لا ليأتيه بل ليستخلصه لنفسه، وليصطفيه من بين الناس ليكون مستشاراً له، والعقل المفكر إلى جواره (2).

"بعد انتهاء التحقيق في أمر النسوة وظهور براءة يوسف عليه السلام من كل سوء، طلب الملك إحضاره إليه من السجن بعد أن وفّى له بما اشترط لمجيئه فلما جاءه وسمع كلامه فهم من فحوى حديثه، ومن أمانته على مال العزيز وعرضه وحسن تصرفه، ومن سيرته الحسنة في السجن، ومن علمه وفهمه في تأويله للرؤيا، ومن حرصه على إظهار شرفه وكرامته في مسألة النسوة ما دل على أنه أهل لأن يرفع إلى أعلى المراتب، ويولّى أسمى المناصب وذلك هو ما فعله الملك لحصافة رأيه وبصره بأقدار الرجال، ولم يصرفه عن ذلك كونه غريباً أو فقيراً أو مملوكاً" (3)، "فلما كلم الملك يوسف، وعرف براءته وعظم أمانته، قال له: إنك يا يوسف لدينا مكين أمين، أي متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قبلنا، لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا، أمين على ما اؤتمنت عليه من شيء" (4).

وهنا نجد شخصية يوسف عليه السلام، وقد استقامت مع نشأتها والأحداث التي مرت بها، والابتلاءات التي اجتازتها، في ظل التربية الربانية للعبد الصالح، الذي يعد ليمكن له في الأرض، وليقوم بالدعوة إلى دين الله وهو ممكن له في الأرض، وهو قابض على مقاليد الأمور وأول ملامح هذه المرحلة هي: الاعتزاز بالله، والاطمئنان إليه، والثقة به، والتجرد له، والتعري من كل قيم الأرض، والتحرر من كل أوهاقها، واستصغار شأن القوى المتحكمة فيها، وهو ان تلك القيم وهذه القوى في النفس

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور (7/13).

(2) سورة يوسف دراسة تحليلية، د أحمد القطان (ص446).

(3) تفسير المراغي، لأحمد المراغي (5،4/13).

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (215/13).

الموصولة الأسباب بالله سبحانه وتعالى، تبدو هذه الظاهرة الواضحة في موقف يوسف، ورسول الملك يجيء إليه في سجنه يبلغه رغبة الملك في أن يراه، فلا يخف يوسف عليه السلام، لطلب الملك ولا يتلهف على مغادرة سجنه الظالم المظلم إلى رحاب الملك الذي يرغب في لقائه ولا تستخفه الفرحة بالخروج من هذا الضيق [1].

ثانياً: أسباب التمكين ليوسف عليه السلام، وتعظيمه في نفس الملك:

1-أن الملك عظم اعتقاده في علم يوسف عليه السلام، وذلك لأنه لما عجز القوم عن الجواب وقدر هو على الجواب الموافق الذي يشهد العقل بصحته مال الطبع إليه.

2- أنه عظم اعتقاده في صبره وثباته، وذلك لأنه بعد أن بقي في السجن بضع سنين لما أذن له في الخروج ما أسرع إلى الخروج بل صبر وتوقف وطلب أولا ما يدل على براءة حاله عن جميع التهم [2].

3-لما خاطبه الملك وتعرف عليه، رأى فضله وعلمه وبراعته، وحسن أدبه، وسمو أخلاقه [3].

4-أنه عظم اعتقاده في حسن أدبه، وذلك لأنه اقتصر على قوله: **{مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ}** [يوسف:50]، وإن كان غرضه ذكر امرأة العزيز فستر ذكرها، وتعرض لأمر سائر النسوة مع أنه وصل إليه من جهتها أنواع عظيمة من البلاء، وهذا من الأدب العجيب.

5-براءة حاله عن جميع أنواع التهم فإن الخصم أقر له بالطهارة والنزاهة والبراءة عن الجرم.

6-جده في الطاعات واجتهاده في الإحسان إلى الذين كانوا معه في السجن.

7-أنه بقي في السجن بضع سنين، وهذه الأمور كل واحد منها يوجب حسن الاعتقاد في الإنسان، فكيف مجموعها، فلهذا السبب حسن اعتقاد الملك فيه وإذا أراد الله شيئا جمع أسبابه وقواها، فلما ظهر للملك هذه الأحوال من يوسف عليه السلام رغب أن يتخذه لنفسه فقال: "ائتوني به أستخلصه لنفسي" [4].

---

[1] في ظلال القرآن، لسيد قطب (2001/4-2002).

[2] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (471/18)

[3] انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (9/13).

[4] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (472/18)

سادساً: المقاصد والأهداف:

1-بيان أهمية السلطان في التغيير، لأنه إذا أمر يطاع وإذا قال يسمع لقوله، ليس كسائر الناس، فعلى من يتولى شيء من أمور الناس أن يتقي الله تعالى فيه.

2-القدرة التي ابتلى الله تعالى بها الملوك على الإصلاح، أو الإفساد لأن الغالب عليهم هو الإفساد، كما قال الله تعالى على لسان بلقيس: **{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}** [النمل:34]، لذلك كان ممن أصلح من الملوك قلة على خلاف المفسدين منهم وهم الكثرة.

3-الحذر من فتنة الدخول على السلاطين، لأن التعامل مع السلطان، وبريق الأموال قد يلجم الإنسان عن قول الحق احياناً.

4-إن الحوار وسيلة التعارف والتعرف على فضائل الإنسان ومعارفه، وبه يزن العاقل مقادير الرجال.

5-إن المقومات العالية من علم، وخلق، وأدب، وحسن تصرف، تبوئ صاحبها المنزلة السامية والمكانة الرفيعة [(1)].

6-"فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة ، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته" [(2)].

7-ضرورة إخبار الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال، دون أن يقصد بذلك الرياء.

[(1)] انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (11/13).

[(2)] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص410).

المقطع الثالث

فطنة يوسف عليه السلام وفطنته وحسن تدبيره

قال تعالى: **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}** [يوسف:55-57].

أولاً: التحليل اللغوي:

***{حفيظ}**: الحفظ: "نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة، والحفيظ: الموكل بالشيء يحفظه، يقال: فلان حفيظنا عليكم وحافظنا" (1)، "وهو من الحفاظ، واستحفظه مالاً أو سراً، وحافظ على الشيء، واحتفظ به، وتحفظ به: عني بحفظه، والتحفظ من الناس وهو: التوقي، وهو حفيظ عليه: رقيب، وتقلدت بحفيظ الدر أي بمحفوظه ومكنونه لنفاسته، وهو من أهل الحفيظة والحفظة، وهم أهل الحفائظ والمحفظات: وهي الحمية والغضب عند حفظ الحرمة" (2)، والحفيظ: القادر على ضبط ما أوكل إليه (3).

***{عليم}**: يقال للإنسان الذي علمه الله علماً من العلوم: عليم؛ وكذلك صفة يوسف كان عليماً بأمر ربه إلى ما علمه الله من تأويل الأحاديث الذي كان يقضي به على الغيب، فكان عليماً بما علمه الله، ويقال: رجل علامة إذا بالغت في وصفه بالعلم، والعلم نقيض الجهل (4).

***{يتبوأ}**: "[بوأ] المباءة: منزل القوم في كل موضع، وتبوَّأْتُ منزلاً: أي نزلتُه، وبوَّأت للرجل منزلاً وبوّأته منزلاً بمعنى: هيَّأته ومكّنت له فيه، واستباءه، أي اتخذه مباءة وبوَّأت الرمح نحوه، أي سدَّدته نحوه" (5)، "يقال: بوأته منزلا، وأثويته منزلا، سواء، معناهما: أنزلته، وأبأت بالمكان: أقمت به، وقوله تعالى: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا}** [يونس: 87]، أي: اتخذا، وتبوأ: هيأ وأصلح، وتبوأ: نزل وأقام، والمعنيان قريبان" (6).

(1) تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي (265/4).

(2) أساس البلاغة، لأبي القاسم الزمخشري، بتصرف يسير (200/1).

(3) التحرير والتنوير، لابن عاشور (9/13).

(4) تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي (253/2).

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الفارابي (37/1،36).

(6) تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي (429/15).

ثانياً: الإعراب:

قوله تعالى: **{ليوسف}**: "يجوز في هذه اللام أن تكون متعلقة ب **{مكنا}** على أن يكون مفعول **{مكنا}** محذوفا تقديره: مكنا ليوسف الأمور، أو على أن يكون المفعول به **{حيث}**، قوله: **{يتبوأ}** جملة حالية من **{يوسف}**، و**{منها}** يجوز أن تتعلق ب**{يتبوأ}**، ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنها حال من **{حيث}**، و**{حيث}** يجوز أن يكون ظرفا ل**{يتبوأ}**، ويجوز أن يكون مفعولاً به" [(1)].

معاني الإعراب:

{مكنا ليوسف}: "أي جعلنا له مكانا" [(2)]، "أو مكنا له الأمور" [(3)] في أرض مصر، وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مسندا إلى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام، والمبالغة في كمال ولايته، والإشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر لا أنه حصل بعد السؤال.

{يتبوأ منها}: ينزل من بلادها حيث يشاء، ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله [(4)].

ثالثاً: القراءات:

قوله تعالى: **{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}**:

القراءة الأولى: {حيث يشاء} بالياء.

القراءة الثانية: قرأ ابن كثير (نشاء) بالنون [(5)].

معاني القراءات:

-القراءة الأولى: (حيث يشاء): كناية عن تصرفه في جميع مملكة مصر.

-القراءة الثانية: (حيث نشاء): أي حيث يشاء الله، أي حيث نأمره [(6)].

رابعاً: البلاغة:

قوله تعالى: **{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}**: تعليل لما قبلها.

{نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}: تذييل لمناسبة عمومه لخصوص ما أصاب يوسف عليه السلام من الرحمة في أحواله في الدنيا، وما كان له من مواقف الإحسان

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (515/6).

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (287/4).

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (515/6).

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (287/4).

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (168/3)، والمرجع السابق (287/4).

(6) التحرير والتنوير (10/13).

التي كان ما أعطيه من النعم، وشرف المنزلة جزاء لها في الدنيا، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}: التعبير في جانب الإيمان بصيغة الماضي وفي جانب التقوى بصيغة المضارع، لأن الإيمان عقد القلب الجازم فهو حاصل دفعة واحدة وأما التقوى فهي متجددة بتجدد أسباب الأمر والنهي واختلاف الأعمال والأزمان [1].

خامساً: التفسير الإجمالي:

قال اجعلني على خزائن الأرض: ولّني أمرها والأرض: أرض مصر، إني حفيظ لها ممن لا يستحقها، عليم بوجوه التصرف فيه [2]، ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض، إنما كان حصيفاً في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة وليكون مسؤولاً عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات [3].

كيف طلب يوسف عليه السلام الإمارة من السلطان؟

إن ذلك التصرف كان واجباً عليه لوجوه:

الأول: أنه كان رسولاً حقاً من الله تعالى إلى الخلق، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان.

الثاني: وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم، فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.

الثالث: أن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول.

الرابع: إنه عليه السلام كان مكلفاً برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، فكان هذا الطريق واجباً عليه [4].

لذلك كان على يوسف عليه الصلاة والسلام طلب الإمارة لأنه مرسل من الله تعالى والرسول أعلم بمصالح الأمة من غيره وإذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك إلا بطلب الإمارة وجب عليه طلبها، وقيل إنه علم أنه سيحصل قحط وشدة إما بطريق الوحي من الله أو

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/9_11).

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (168/3).

[3] في ظلال القرآن، لسيد قطب (2005/4) .

[4] انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب (117/2).

بغيره وكان في طلب الإمارة إيصال الخير والراحة إلى المستحقين، فوجب عليه طلب الأمارة لهذا السبب [1].

كيف مدح يوسف عليه السلام نفسه بقوله: (إني حفيظ عليم)، والله تعالى يقول: (فلا تزكوا أنفسكم)؟

يكره تزكية النفس إذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوسل به إلى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية النفس، أما إذا قصد بتزكية النفس ومدحها إيصال الخير والنفع إلى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فإنه يجب عليه أن يقول أنا عالم، ولما كان الملك قد علم من يوسف أنه عالم بمصالح الدين ولم يعلم أنه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله إني حفيظ عليم على أنه عالم بما يحتاج إليه في مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح الدين [2].

"وليس هذا مما نهي عنه من تزكية النفس، بل يذكر الإنسان ما فيه من الفضائل عند الحاجة إذا لم يقصد التزكية" [3].

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض: في أرض مصر، يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى، يتخذ منها المنزل الذي يريد، والمكان الذي يريد، والمكانة التي يريد، في مقابل الجب وما فيه من مخاوف، والسجن وما فيه من قيود.

نصيب برحمتنا من نشاء، فنبدله من العسر يسرا، ومن الضيق فرجا، ومن الخوف أمنا، ومن القيد حرية، ومن الهوان على الناس عزا ومقاما عليا، فانتقل من كونه مملوكا إلى أن أصبح مالكا آمرا ناهيا، ذا نفوذ وسلطة، مطاعا بعد أن كان تابعا لغيره مطواعا، حرا طليقا بعد أن كان سجينا أسيرا، وذلك لما تحلى به من صبر، وإطاعة لله عز وجل، وعفة وخلق وعقل حكيم، فإنه صبر على أذى إخوته، وفي الحبس بسبب امرأة العزيز، وعف عن السوء والفحشاء، وامتنع من اقتراف المنكر، فأعقبه الله النصر والتأييد.

ولا نضيع أجر المحسنين الذين يحسنون الإيمان بالله، والتوكل عليه، والاتجاه إليه، ويحسنون السلوك، والعمل، والتصرف مع الناس بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا.

ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك، والفواحش، فلا ينقص منه المتاع في الدنيا، وإن كان خيرا من متاع الدنيا، متى آمن الإنسان واتقى، فاطمأن بإيمانه إلى ربه، وراقبه بتقواه في سره وجهره.

---

[1] انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (536/2).

[2] انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

[3] تفسير آيات من القرآن الكريم، لمحمد عبد الوهاب (ص156).

وهكذا عوض الله يوسف عليه السلام عن المحنة، تلك المكانة في الأرض، وهذه البشرى في الآخرة جزاء وفاقا على الإيمان والصبر والإحسان [1].

ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون: شرح حال يوسف عليه السلام فوجب أن يصدق في حقه أنه من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهذا تنصيص من الله عز وجل، على أنه كان من المتقين [2]، "وأنه جمع بين الإيمان والتقوى، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات" [3]، وأيضا قوله: ولا نضيع أجر المحسنين: شهادة من الله تعالى على أنه عليه السلام كان من المحسنين [4].

مقاصد وأهداف الآيات:

1-"إذا حل بالمسلم البلاء وصبر فإن معية الله سبحانه وتعالى تكون معه، فيأتيه الفرج والنصر والتمكين، فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية، لذا خرج من محنته سليماً معافاً في خلقه وفي دينه، ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية، أن يختار العقوبة الدنيوية على مواقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة" [5].

2-"لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك مصلحة ولم يقصد به العبد الرياء وسلم من الكذب، وكذلك لا تذم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجوداً غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها والتعرض لها" [6].

3-أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الدنيا له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو

---

[1] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (168/3)، و في ظلال القرآن، لسيد قطب (2014/4)، والتفسير المنير، للزحيلي (10/13).

[2] انظر: مفاتح الغيب، للرازي (476/18).

[3] تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص401).

[4] انظر: مفاتح الغيب، للرازي (476/18).

[5] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (525/4).

[6] المرجع السابق (539/4)، و تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص410)

نفسه ، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم [1].

4-معية الله ونصره وتأييده لعبده ورسوله، واضحة المعالم في هذا المقطع، ظهور البراءة، واستلام الحكم عند ملك مصر، وفي هذا درس لكل من يؤمن بالله ويعتصم به، ويخلص دينه لله وهو محسن، ففرج الله آتٍ، ونصره قريب [2].

5-"أن جباية الأرزاق، إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم لابأس بها، لأن يوسف عليه السلام أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدبة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه" [3].

6-قال تعالى: **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}**، [يوسف:55]، "في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه، فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز له ذلك" [4].

7-هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحظور الداخل في قوله عز وجل: **{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}**، [النجم:32].

8-ودليل أيضاً على جواز تولي القضاء من جهة الباغي الظالم [5].

9-يجوز للمسلم الكفؤ أن يتقدم لطلب الوظيفة، أو المنصب أو المكانة إذا وجد في نفسه المقدرة على آداء تلك المهام بكفاءة تامة كما طلب يوسف عليه السلام من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة.

10-إذا انعدمت الكفاءات، وساد الظلم، فلا مانع من تزكية النفس ليس طمعاً في المنصب ولكن أملاً في إصلاح الأوضاع، وردها إلى أصولها بما يتوافق مع شرع الله [6].

---

[1] انظر: المرجعين السابقين، نفس الصفحات

[2] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (539/4).

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (539/4). ، وتيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص410)

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (256/3).

[5] غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم برهان الدين الكرماني (542/1).

[6] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (539/4).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (58-80)

ويشتمل على أربعة مقاطع:

المقطع الأول: العناية الإلهية في لمّ شمل يوسف عليه السلام بعائلته.

المقطع الثاني: التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب.

المقطع الثالث: استخدام المكيدة في تحقيق هدف مشروع.

المقطع الرابع: تحمل الأذى وعدم رد الإساءة.

.

المقطع الأول

العناية الإلهية في لم شمل يوسف عليه السلام بعائلته

قال تعالى: **{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**، [يوسف:58-63].

أولاً: المناسبة:

نجح يوسف عليه السلام حين تولى خزائن الأرض، فدبرها أحسن تدبير، وزرع في أرض مصر جميعها في السنين الخصبة زروعاً هائلة، واتخذ لها المحلات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئاً كثيراً وحفظه، وضبطه ضبطاً تاماً، فلما دخلت السنون المجدبة وسرى الجدب، حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه إلى مصر، لما أصابهم القحط ليمتاروا، وهذا من اختصار القرآن المعجز [1].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{منكرون}**: النُّكْر: الدهاء، والنكر: نعت للأمر الشديد، والرجل الداهي، يقال: فعله من نُكره، ونكارته. والنَّكِرة: نقيض المعرفة، وأنْكرته إنكاراً، والاستنكار: استفهامك أمراً تُنكِرُهُ، ورجل مُنْكرٌ: داه ورجال مُنْكَرون، ويجمع بالمناكير أيضاً، والتَّنَكُّر: التغير عن حال تسرك إلى حال تكرهها، والنَّكيرُ اسم للإنكار الذي يعنى به التغير [2]، "نكَّرَ ينكِّر، تنكيرًا، فهو مُنكِّر، والمفعول مُنكَّر، نكَّر الشّيءَ: غيّره حتى أصبح لا يُعرف، أنكرَ يُنكر، إنكارًا، فهو مُنكِر، والمفعول مُنكَر، أنكر الشَّيءَ: جهلَه مع علمٍ به" [3].

***{جهزهم}**: "جَهَّزْتُ القوم إذا تكفلت لهم جهاز السفر وهو ما يحتاج إليه فيه، والجَهاز بالفتح" [4]، "ويقولون لما يحمله المسافر، ولما تحمله العروس معها إلى بيتها من متاع مما تحتاج إليه:

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (542/4)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (220/9).

[2] العين، للفراهيدي (355/5).

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة، د: أحمد مختار عمر (2280/3).

[4] مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن عمرون اليحصبي السبتي (161/1).

جهاز (بخفض الجيم بدل فتحها)، فيوهمون لأن الجهاز (بالخفض): هو الآلة كالهاتف والمذياع والمرياء، بينما الصواب أن يقال جَهاز العروس (بالفتح)" [1].

*{**الكيل**}: "الكيل: كيل البر ونحوه، تقول: كَال يَكِيل كَيْلاً، وبُرٌ مَكِيل، ويجوز في القياس: مَكْيول، والمِكيال: ما يكال به" [2]، "والكَيْل: المِكيال، والكَيْل: مصدر كلْتُ الطعامَ كَيلاً ومَكالاً ومَكيلاً أيضا" [3]، الكيل: "كيلك الطعام، وكلتُ فلاناً: أعطيته الشيء كيلاً، واكتلت عليه، إذا أخذت منه" [4].

*{**سنراود**}: راودَ يُراود، مُراوَدَةً ورِوادًا، فهو مُراوِد، والمفعول مُراوَد، راود فلانًا: لها معنيان:

1 – راجعه وناقشه وردَّه، **{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ}**، [يوسف:61]، وراودته الفكرة: خطَرت بباله وشغلته.

2 – خادَعه وراوَغه، راود المرأةَ عن نفسها، راودت الرَّجُلَ عن نفسه: طلَب أن يفجُر بها، أغراها، أغرته بفعل الفاحشة عن طريق الاحتيال، **{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ}**، [يوسف:30] [5].

*{**فتيانه**}: "فتاي وفتاتي قيل: هو بمعنى عبدي وأمتي وإنما نهى عن ذكر لفظ العبودية المحضة إذ العبودية حقيقة لله، ولفظ الفتوة مشترك للملك، ولفتاء السن، والفتى الشاب مقصور، والفتاء ممدود الشباب، وقال لفتيانه: أي لعبيده" [6]، والفتية: "الخدم، والفتيان: المماليك" [7].

*{**بضاعتهم**}: البِضاعَة: طائفةٌ من مالِكَ تبعثها للتجارة، تقول: أبضعت الشيء، واستبضعته، أي جعلته بضاعةٍ، وبضعت اللحم بضعاً بالفتح: قطَّعته، وبضَعْتُ الجُرح: شققته، والمِبْضَعُ: ما يُبْضَعُ به العِرْقُ والأديمُ، وبَضَعْتُ من الماء بَضْعاً: رَويتُ [8].

---

(1) درة الغواص في أوهام الخواص، للقاسم بن عثمان (ص263).

(2) تهذيب اللغة، للهروي (194/10).

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الفارابي (1814/5).

(4) انظر: مجمل اللغة، لابن فارس (775/1).

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، د: أحمد مختار عمر (958/2).

(6) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن عمرون اليحصبي السبتي (146/2).

(7) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (258/6).

(8) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الفارابي (1185/3_1186).

***{رحالهم}:** "الرَّحْل: مَرِكِب للبعير، والناقة، وهو أصغر من القتب، وهو من مراكب الرجال دون النساء، الرَّحل: متاعك الذي تأوي إليه، والرَّحل: ما يوضع على البعير للركوب، ثم يعبر به تارة عن البعير، وتارة عما جلس عليه من المنزل، والجمع رحال" [1].

ثالثاً: الإعراب:

{وَلا تَقْرَبُونِ}: "في موضع جزم بالنهي فلذلك حذفت منه النون، وحذفت الياء لأنه رأس آية، ولو كان خبرا لكان ولا تقربون بفتح النون" [2]،لأنها نون الجماعة كما قال: **{فَبِمَ تُبَشِّرُونَ}**، [الحجر: [الحجر: 54] بفتح النون، ويكون وَلا تَقْرَبُونِ لفظه لفظ الخبر، ومعناه: معنى النهي [3]، "و(النون) في موضع نصب، وكسرت لما حذفت ياؤها، والكلام: ولا تقربُوني" [4].

"**{من أبيكم}:** حال من (أخ لكم) أي أخوته من جهة أبيكم، وهذا من مفهوم الاقتصار الدال على عدم إرادة غيره، أي من أبيكم وليس من أمكم، أي ليس بشقيق" [5].

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: **{لفتيانه}**، فيه قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ الجمهور: (لفتيته) بوزن فعلة جمع تكسير (فتى) مثل أخ وإخوة .

القراءة الثانية: قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف: (لفتيانه) بوزن إخوان.

معنى القراءتان:

الأول صيغة قلة والثاني صيغة كثرة وكلاهما يستعمل في الآخر، وعدد الفتيان لا يختلف.

قوله تعالى: **{نكتل}:** فيه قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ الجمهور: نكتل بنون المتكلم المشارك.

القراءة الثانية: قرأه حمزة، والكسائي، وخلف: بتحتية عوض النون.

معنى القراءتان:

الأول: نكتل بنون المتكلم المشارك، والثاني: بتحتية عوض النون، على أنه عائد إلى أخانا أي: (يكتل معنا) [6].

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (54/29).

[2] إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (206/2).

[3] بحر العلوم، للسمرقندي (200/2).

[4] جامع البيان، للطبري (153/16).

[5] التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/13).

[6] انظر: المرجع السابق (15/13).

خامساً: البلاغة:

{فعرفهم وهم له منكرون}: بين عرف وأنكر: طباق [1].

{وهم له منكرون}: وقع الإخبار عنهم بالجملة الاسمية للدلالة على أن عدم معرفتهم به أمر ثابت متمكن منهم، وكان الإخبار عن معرفته إياهم بالجملة الفعلية المفيدة للتجدد للدلالة على أن معرفته إياهم حصلت بحدثان رؤيته إياهم دون توسم وتأمل. وقرن مفعول منكرون الذي هو ضمير يوسف عليه السلام (له) بلام التقوية (له منكرون) ولم يقل (وهم منكرونه) لزيادة تقوية جهلهم بمعرفته.

{وأنا خير المنزلين}: هذه الجملة كناية عن الوعد بأن يوفي لهم الكيل ويكرم ضيافتهم إن أتوا بأخيهم [2]، وهو إخبار منه يؤكد ما استقبلهم به من عدل، وتوفية للكيل، وحسن الضيافة [3].

{وإنا له لحافظون}: تأكيد للحفظ، بالجملة الاسمية الدالة على الثبات، وبحرف التوكيد (إن)، وباللام [4].

سادساً: التفسير الإجمالي:

اللقاء الأول بين يوسف وإخوته:

قال تعالى: **{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ}**، [يوسف:58].

لما باشر يوسف عليه السلام الوزارة بمصر، ومضت السبع سنين الخصبة، ثم تلتها السبع سنين المجدبة، وعم القحط بلاد مصر بكاملها، ووصل إلى بلاد (كنعان) وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده، وحينئذ احتاط يوسف للناس في غلاتهم، وجمعها أمن جمع، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم، يمتارون لأنفسهم وعيالهم، وكان من جملة من ورد للميرة إخوة يوسف، عن أمرٍ من أبيهم لهم في ذلك، لأنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمن، فلما دخلوا غلى يوسف وهو جالس في أبهته ورياسته وسيادته عرفهم حين نظر إليهم، وهم له منكرون [5].

"أخبر تعالى أن يوسف عرفهم وهم ما عرفوه البتة، أما أنه عرفهم فلأنه تعالى كان قد أخبره في قوله: لتنبئنهم بأمرهم بأنهم يصلون إليه ويدخلون عليه، وأيضا الرؤيا التي رآها كانت دليلا على أنهم يصلون إليه، فلهذا السبب كان يوسف عليه السلام مترصدا لذلك الأمر، وكان كل من وصل إلى بابه من البلاد البعيدة يتفحص عنهم ويتعرف أحوالهم ليعرف أن هؤلاء

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي (14/13).

(2) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (11/13).

(3) انظر: تفسير الشعراوي (7009/11).

(4) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (11/13).

(5) قصص القرآن دروس وعبر، لسعد يوسف أبو عزيز (ص170-171)، بتصرف.

الواصلين هل هم إخوته أم لا، فلما وصل إخوة يوسف إلى باب داره تفحص عن أحوالهم تفحصا ظهر له أنهم إخوته" [(1)]، وأما أنهم لم يعرفوه: لطول العهد، ومفارقته إياهم في سنّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحاً في البئر، مشرياً بدراهم معدودة، حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم، ولأنّ الملك مما يبدّل الزىّ ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف، فما خطر ببالهم أنه هو [(2)].

{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ}، [يوسف:59،60].

{ولمّا جهزهم بجهازهم} وذلك أنه كال لهم الطعام, وحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدَّتهم، **{قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم}** يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه، فأدخلهم الدار وقال: أخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيوناً , فذكروا حال أبيهم، وحالهم، وحال يوسف، وحال أخيه وتخلفه مع أبيه, فقال: إن كنتم صادقين فائتوني بهذا الأخ الذي لكم من أبيكم, وأظهر لهم أنه يريد أن يستبرىء به أحوالهم، وقيل: بل وصفوا له أنه أَحَبُّ إلى أبيهم منهم, فأظهر لهم محبة رؤيته [(3)].

{ألا تروْن أني أوفي الكيلَ} يحتمل وجهين:

الأول: أنه أرخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل.

الثاني: أنه كال لهم بمكيال واف.

{وأنا خير المنزلين} فيه وجهان:

الأول: يعني خير المضيفين، وهو مأخوذ من النزل وهو الطعام.

الثاني: وهو محتمل , خير من نزلتم عليه من المأمونين، مأخوذ من المنزل وهو الدار.

{فإن لم تأتوني به فلا كيْل لكم عندي}: يعني فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال[(4)]، وتلطف يوسف في استحضار بنيامين بالترغيب والترهيب.

أما الترغيب ففي ماله الذي أوصله إليهم وهو يقول: **{ألا ترون أني أوفي الكيل}** وفى إقباله عليهم وفى إكرامه لهم وهو يقول: **{وأنا خير المنزلين}** .

وأما الترهيب فبمنع المال وهو يقول: **{فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون}**

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (477/18).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (483/2-484).

(3) النكت والعيون، للماوردي (54/3).

(4) المرجع السابق (54/3).

أي فإن لم تؤامنونى عليه فلا كيل لكم عندى، وأمنع الإكرام والإقبال عنكم [1].

{ولا تقربون} أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب [2]، إن لم تأتوني به فلا طعام لكم عندي إن جئتم، ولا تقربوا بلادي ولا داري [3].

{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ}، [يوسف:61]، "لما علم يوسف من حالهم أنهم باعوه بثمن بخس علم أنهم يأتونه بأخيهم طمعا في إيفاء الكيل، فلن يصعب عليهم الإتيان به" [4]. "قالوا سنرجع إلى أبيه، فنسأله في أن يوجه به (معنا)، وإنا لفاعلون ذلك" [5]،سنجتهد ونحتال على أن ننزعه من يده، وإنا لفاعلون كل ما في وسعنا من هذا الباب [6].

{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، [يوسف:62-63].

{لفتيانه}: لغلمانه الكيالين جمع فتى، وهو جمع الكثرة ليوافق قوله: **{اجعلوا بضاعتهم في رحالهم}**، فإنه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام، وإنما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم، وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به، **{لعلهم يعرفونها}**: لعلهم يعرفون حق ردها، أو لكي يعرفوها **{إذا انقلبوا}**: انصرفوا ورجعوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم، **{لعلهم يرجعون}**: لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع [7].

{فلما رجعوا إلى أبيهم}: رجعوا من مصر ممتارين، بادروا بما كان أهم الأشياء عندهم من التوطئة لإرسال أخيهم معهم، وذلك قبل فتح متاعهم وعلمهم بإحسان العزيز إليهم من رد بضاعتهم، وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز، وأنه استدعى منهم أن يأتوا بأخيهم حتى يتبين صدقهم أنهم ليسوا جواسيس، وقولهم: **{منع منا الكيل}**: إشارة إلى قول يوسف: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي، وإلا فقد كيل لهم، وجاؤوا أباهم بالميرة، لكن لما أنذروا بمنع الكيل قالوا: منع، وقيل: أشاروا إلى بعير بنيامين الذي منع من الميرة، ولقولهم: فأرسل معنا أخانا نكتل، ويقويه قراءة يكتل بالياء أي: يكتل أخونا، فإنما منع كيل بعيره لغيبته، أو يكن سببا للاكتيال، وقرأ

---

[1] لطائف الإشارات، للقشيري (192/2).

[2] النكت والعيون، للماوردي (55/3).

[3] تفسير القرآن، للسمعاني (44/3).

[4] لطائف الإشارات، للقشيري (192/2).

[5] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب (3590/5).

[6] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (478/18).

[7] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (196/3).

باقي السبعة بالنون أي: نرفع المانع من الكيل، أو نكتل من الطعام ما نحتاج إليه، وضمنوا له حفظه وحياطته [1].

الأسباب التي لأجلها أمر يوسف عليه السلام بوضع بضاعتهم في رحالهم:

1-أنهم متى فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه، علموا أن ذلك كان كرما من يوسف وسخاء محضا فيبعثهم ذلك على العود إليه والحرص على معاملته.

2-خاف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى.

3-أراد به التوسعة على أبيه لأن الزمان كان زمان القحط.

4-رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع شدة حاجتهم إلى الطعام لؤم.

5-أنهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم وقع في قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد الأنبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه، أو رجعوا ليردوا المال إلى مالكه.

6-أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم به عيب ولا منة.

7-أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء والظلم ولا لطلب زيادة في الثمن.

8-أراد أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الإكرام فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه.

9-أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان، وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق، فوضع تلك الدراهم في رحالهم حتى تبقى مخفية إلى أن يصلوا إلى أبيهم.

10-أراد أن يقابل مبالغتهم في الإساءة بمبالغته في الإحسان إليهم [2].

سابعاً: المقاصد والأهداف:

1-"يوسف عليه السلام لم يكشف لإخوته عن نفسه، رغم أنه أنزلهم منزلاً طيباً، وهذا امر مهم للدعاة؛ فعليهم التخفي وعدم الظهور، إذا اقتضى الأمر ذلك، فالتخفي والحيطة والحذر في الوقت المناسب، والظهور في الوقت المناسب" [3].

2-"قد لا يعرف الأخ أخاه بسبب طول العهد والمدة، لا سيما إذا تبدل حال الأخ من أدنى درجات الحال إلى أعلاها، مما يبعد عن التصور في الذهن احتمال معرفته" [4].

---

[1] انظر: البحر المحيط في التفسير، لابي حيان الأندلسي (295/6).

[2] مفاتيح الغيب، للرازي (479/18)، (باختصار).

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (550/4).

[4] مفاتيح الغيب، للرازي (17/13).

3-"حسن تدبير يوسف عليه السلام، لما تولى خزائن الأرض، كثرت عندهم الغلات جداً حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا بمقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله" [1].

4-كان إكرام يوسف لإخوته ورده ثمن الطعام إليهم عاملا مرغبا قويا في عودتهم إليه مرة أخرى، مصطحبين معهم أخاهم بنيامين.

5-تحقيق الغايات قد يستعمل من أجله الترغيب والترهيب معا، كما فعل يوسف من أجل إحضار أخيه بنيامين [2].

6-دلت الآيات على مشروعية الضيافة، وإكرام الضيف، وأنها من سنن المرسلين [3].

7-استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه، لأنه يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاءًا ليعقوب، ليعظم له الثواب، فاتبع أمره فيه، وربما كان السبب تنبيه أبيه على حاله، أو لتتضاعف المسرة لأبيه برجوع ولديه عليه، أو إيثارا لأخيه بالاجتماع معه قبل إخوته، لميله إليه [4].

8- لابد من تيسير أعمال الناس.

9- إكرام الضيف والمسافر.

10- جواز اتخاذ الحيلة المباحة لهدف شرعي.

11- الإكرام وسيلة لدعوة الناس.

---

[1]تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص411).

[2]انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (22/13).

[3]انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (550/4).

[4]انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (18/13).

المقطع الثاني

التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب

قال تعالى: **{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [يوسف:64-68].

أولاً: المناسبة:

"الكلام وثيق الصلة بما قبله، فبعد أن ذكر الله تعالى مطالبة يوسف عليه السلام إخوته بإحضار أخيه بنيامين، ذكر هنا مفاوضتهم أباهم لإنجاز المطلوب، وإبداءه مخاوفه عليه كمخاوفه القديمة التي أظهرها عند ما تآمروا على أخذ يوسف عليه السلام للصحراء بقصد الرتع واللعب" [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{آمَنُكُمْ}**: من أَمِنَ: "والأَمْن: ضد الخوف، والفعل منه: أَمِنَ يأمَنُ أمناً، والمأمن: موضع الأمن، والأَمَنَة من الأمن، اسم موضوع من أمنت" [(2)]، "والأَمانُ والأَمانَةُ بمعنىً، وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ، وآمَنْتُ غيري، من الأمن والأمان، والله تعالى المُؤْمِنُ، لأنّه آمَنَ عبادَه من أن يظلمهم، وأصل آمَنَ أَأْمَنَ بهمزتين، ليّنت الثانية، وأَمِنْتُهُ على كذا وائْتَمَنْتُهُ بمعنىً" [(3)].

***{مَتَاعَهُم}**: (مَتَعَ) الميم والتاء والعين أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير، منه استمتعت بالشيء، والمتعة والمتاع: المنفعة، والمتاع من أمتعة البيت: ما يستمتع به الإنسان في حوائجه، ومتع الله به فلانا تمتيعا، وأمتعه به إمتاعا بمعنى واحد: أي أبقاه ليستمتع به فيما أحب من السرور والمنافع، والمتاع: الانتفاع بما فيه لذة عاجلة [(4)]، "والمتاع أيضا: المال" [(5)].

[(1)] التفسير المنير، للزحيلي (19/13).

[(2)] العين، للفراهيدي (388/8).

[(3)] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لابن حماد الفارابي (2071/5).

[(4)] معجم مقاييس اللغة (293/5-294).

[(5)] المخصص، لأبي الحسن المرسي (10/2).

*{**نَمِيرُ**}: "المَيْرُ مصدر قولهم: مَارَ أهلَهُ يميرُهُم مَيْراً: إذا حمل إليهم الميرَةَ" [1]، "والميرَةُ: جلب القوم الطعام للبيع، وهم يمتارون لأنفسهم، ويميرون غيرهم ميراً [2]، والميرة: هي الطعام المجلوب" [3].

*{**مَوثِقاً**}: "الميثاق: العهد، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع المواثيق على الأصل، والمياثق والمياثيق أيضا، والمَوثِق: الميثاق، والمواثقة: المعاهدة، والوثيق: الشئ المحكم، وقد وَثُق وَثَاقةً: أي صار وثيقا" [4].

*{**يُحَاطَ بكم**}: "أحاط القومَ، أحاط بالقوم: منعهم {**إلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ**}: أشرفتم على الهلاك أو مُنِعْتم من فعل الشَّيء" [5].

*{**تَوَكَّلْتُ**}: "التَّوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم (التُّكْلان)، واتكل على فلان في أمره إذا اعتمده" [6]، "والتوكل هو: الثقة بما في يد الله، واليأس عما في أيدي الناس، ومحله القلب، والحركة في الظاهر، لا تنافي التوكل بالقلب بعد تحقيق العبد أن التقدير من قبل الله عز وجل، وهو ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، والاسترسال مع الله تعالى على ما يريد" [7].

ثالثاً: الإعراب:

"{**إلا كمآ أمنتكم**} فيه ووجهان:

الأول: "منصوب على نعت مصدر محذوف، **الثاني:** أو على الحال منه.

والمعنى: أي: إلا ائتماناً كائتمانه لكم على أخيه" [8].

"{**ما نبغي**} في «ما» هذه وجهان:

أظهرهما: أنها استفهامية فهي مفعول مقدم واجب التقديم؛ لأن لها صدر الكلام، أي: أي شيء نبغي.

الثاني: أن تكون نافية ولها معنيان.

---

[1] الإتباع، لعبد الواحد الحلبي (ص91).

[2] العين، للفراهيدي (295/8).

[3] التحرير والتنوير (17/13).

[4] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الفارابي (1563/4).

[5] معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (583/1).

[6] مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص344).

[7] المطلع على ألفاظ المقنع، لأبي الفضل البعلي (ص117-118).

[8] اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص الحنبلي (146/11).

أحدهما: ما بقي لنا ما نطلب.

الثاني: ما نبغي، من البغي، أي: ما افتريناه ولا كذبنا على هذا الملك في إكرامه وإحسانه" [1]، "ويجوز أن يكون للاستفهام الإنكاري بتنزيل المخاطب منزلة من يتطلب منهم تحصيل بغية فينكرون أن تكون لهم بغية أخرى، أي ماذا نطلب بعد هذا، ويجوز كون ما نافية، والمعنى واحد لأن الاستفهام الإنكاري في معنى النفي" [2].

{ونمير} معطوفة على الجملة الاسمية **{هذه بضاعتنا}**، وإذا كانت، **{ما}** نافية جاز أن تعطف على **{نبغي}** فيكون عطف جملة فعلية على مثلها [3]، أو "هو معطوف على محذوف، أي ردت إلينا، فنستظهر بها، ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك" [4].

قوله **{إلا أن يحاط بكم}** في هذا الاستثناء أوجه:

الأول: أنه منقطع، فيكون تقدير الكلام: لكن إذا أحيط بكم خرجتم من عتبي، وغضبي عليكم إن لم تأتوني به؛ لوضوح عذركم.

والثاني: أنه متصل، وهو استثناء من المفعول له العام، معناه: لا تمتنعون من الإتيان به؛ إلا للإحاطة بكم، أو لا تمتنعون منه لعلة واحدة وهي **{أن يحاط بكم}.**

الثالث: أنه مستثنى من أعم العام من الأحوال : تقديره لتأتنني به على كل حال، إلا في حال الإحاطة بكم.

الرابع: أنه مستثنى من أعم العام في الأزمان، والتقدير: لتأتنني به في كل وقت إلا في وقت الإحاطة بكم [5].

قوله: **{إلا حاجة}**، فيه وجهان:

الأول: أنه استثناء منقطع تقديره: ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

الثاني: أنه مفعول من أجله [6].

رابعاً: القراءات: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم **{خير حِفْظاً}** وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم **{خير حافظاً}** ونصب ذلك في القراءتين على التمييز [7].

---

[1] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (519/6).

[2] التحرير والتنوير، لابن عاشور (17/13).

[3] انظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص الحنبلي (148/11).

[4] التفسير المنير، للزحيلي (19/13).

[5] انظر: المرجع السابق (149/11-150)

[6] انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (523/6).

[7] بحر العلوم، للسمرقندي (201/2).

"والحافظ الاسم، والحفظ المصدر" [1].

خامساً: البلاغة:

"**{قالوا يا أبانا}**: جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لترقب السامع أن يعلم ماذا صدر منهم حين فجأهم وجدان بضاعتهم في ضمن متاعهم، لأنه مفاجأة غريبة، ولذلك لم يعطف بالفاء" [2].

"**{لتأتنني به}**: "جواب للقسم المضمر في قوله **{موثقا}**؛ لأن معناه حتى تحلفوا لي لتأتنني به"[3].

"**{لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة}**: فيه إطناب وهو زيادة اللفظ على المعنى، وفائدته تمكين المعنى من النفس، وفيه أيضا من المحسنات البديعية ما يسمى (طباق السلب)" [4].

"**{إن الحكم إلا لله}**: "جملة في موضع التعليل لمضمون وما أغني عنكم من الله من شيء" [5]، **{ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم}**: "جملة معترضة، والواو اعتراضية" [6].

{وإنه لذو علم لما علمناه}: "تأكيد الجملة بإن واللام، وتنكير العلم، وتعليله بالتعليم المسند إلى الله سبحانه، فيه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام، وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى" [7].

سادساً: التفسير الإجمالي:

{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:64].

"لقد جاء الرد من أبيهم ساخناً متوقعاً على شكل استفهام استهجاني تعجبي فكان لكلماته وقع السياط على ظهورهم، وهم لذلك أهل، والذي يعذبهم أكثر أنهم الآن صادقون، ولا يستطيعون إقناع أبيهم بصدقهم، مثلهم كمثل الذي كذب مرةً حين أخبر عن ذئبٍ عدا على غنمه، فلما عدا الذئب حقيقة فاستصرخ الناس لم يصدقوه" [8].

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (260/3).

[2] التحرير والتنوير، لابن عاشور (17/13).

[3] اللباب في علوم الكتاب (146/11)

[4] صفوة التفاسير، للصابوني (54/2).

[5] التحرير والتنوير، لابن عاشور (23/13).

[6] المرجع السابق (24/13).

[7] فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان (371/6).

[8] سورة يوسف دراسة تحليلية (ص472).

{هل آمنكم عليه}: "يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك، ثم قال: **{فالله خير حافظا}**: فتوكل على الله فيه، ودفعه إليهم" [(1)]، "وقيل: معناه وثقت بكم في حفظ يوسف عليه السلام فكان ما كان، فالآن أتوكل على الله في حفظ بنيامين" [(2)]، **{وهو أرحم الراحمين}**: فأرجو أن يرحمني بحفظه، ولا يجمع علي مصيبتين وهذا ميل منه عليه السلام إلى الإيذان والإرسال، لما رأى فيه من المصلحة [(3)]، "وظاهر هذا الكلام يدل على أنه أرسله معهم، وإنما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف، لأنه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف، أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم، أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه إلى ذلك" [(4)].

{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ} [يوسف:65].

{ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم} "هذا دليل على أنه قد كان معلوما عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها" [(5)]، **{قالوا يا أبانا ما نبغي}** ما نكذب بما قلنا من إحسان الرجل ولطفه بنا، ويقال ما طلبنا هذا منه **{هذه بضاعتنا}** دراهمنا التي أعطيناه ثمن الطعام، ردت إلينا مع الطعام، وهذا من إحسانه إلينا قال لهم أبوهم بل جربكم الرجل بهذا ردوا هذه الدراهم إليه [(6)]، **{ونمير أهلنا}**: "نأتي بالميرة لهم وهي الطعام، وهو معطوف على محذوف، أي ردت إلينا، فنستظهر بها، ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك، ونحفظ أخانا من المخاوف في ذهابنا وإيابنا" [(7)]، **{ونزداد كيل بعير}**: "يعني ونزداد لأجل أخينا على أحمالنا حمل بعير من الطعام، **{ذلك كيل يسير}**: يعني إن ذلك الحمل الذي نزداد من الطعام هين على الملك لأنه قد أحسن إلينا، وأكرمنا بأكثر من ذلك، وقيل: معناه أن الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلنا" [(8)].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (485/2).

(2) مفاتيح الغيب، للرازي (479/18).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (290/4).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (539/2).

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (ص401).

(6) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروز أبادي (ص200).

(7) التفسير المنير، للزحيلي (19/13).

(8) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (540/2).

{قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف:66-67].

{قال لن أرسله معكم حتى تؤتون}: أي تعطوني **{موثقاً}** ما أثق به وأركن إليه (من) جهة (الله) سبحانه وهو الحلف به والموثق العهد المؤكد باليمين، وقيل: هو المؤكد بإشهاد الله عليه، واللام في **{لتأتنني به}** جواب القسم أي تحلفون بالله لتردن بنيامين أي لتأتُنَّني به [1]، "**{إلا أن يحاط بكم}**: معنى **{يحاط بكم}**: يحيط بكم محيط، والإحاطة: الأخذ بأسرٍ، أو هلاك مما هو خارج عن قدرتهم، وأصله إحاطة الجيش في الحرب، فاستعمل مجازا في الحالة التي لا يستطاع التغلب عليها" [2]، **{فلما آتوه موثقهم}**: أي أعطوه ما طلبه منهم من اليمين والعهد **{قال: الله على ما نقول وكيل}**: أي قال يعقوب: الله على ما قلناه من طلبي الموثق منكم، وإعطائكم لي ما طلبته منكم مطّلِع رقيب لا يخفى عليه منه خافية، فهو المعاقب لمن خان في عهده [3]، لما سمع أبوهم هذه المواثيق يقطعها الإخوة على أنفسهم مشهدين الله، متخذينه وكيلاً، وكفيلاً... استبشر خيراً بفتح صفحة جديدة، وقال: الله على ما نقول وكيل، فهو الذي يقدر على الذي نعجز عنه نحن، فهو حسبنا ونعم الوكيل [4].

{وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة} "وقد قال يعقوب عليه السلام ذلك الكلام في المرة الثانية لذهابهم إلى مصر، بعد أن علم بحسن استقبال يوسف لهم، وأن بضاعتهم ردت إليهم، وعلم بذلك أنهم صاروا أصحاب حظوة عند عزيز مصر، وساعة ترى إنسانا له شأن؛ فترقب أن يعادى، لذلك توجس يعقوب خيفة أن يدبر لهم أحد مكيدة؛ لأنهم أغراب، ومن هنا أمرهم أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة، وكانت المدن قديما لها أبواب؛ تفتح وتقفل في مواعيد محددة، وحين يدخلون فرادى فلن ينتبه أحد أنهم جماعة.

وقد خاف يعقوب عليه السلام على أبنائه من الحسد، ونعلم أن الحسد موجود، وقد علمنا سبحانه أن نستعيد به سبحانه من الحسد؛ لأنه سبحانه قد علم أزلا أن الحسد أمر فوق طاقة دفع البشر له، وهو القائل: **{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}** [الفلق:5]" [5].

---

[1] انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان (367/6).

[2] التحرير والتنوير، لابن عاشور (19/13).

[3] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان (367/6).

[4] انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية (ص477).

[5] تفسير الشعراوي (7014/11).

"**{إن الحكم إلا لله}**: أي ما الحكم إلا لله وحده، يصيبكم لا محالة إن قضي عليكم سوء، ولا ينفعكم ذلك، **{عليه توكلت}**: به وثقت، **{فليتوكل}**: الفاء لإفادة التسبب، فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم" [1].

{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:68].

{ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيءٍ}: أي لا يرد حذر المخلوق قضاءَ الخالق، **{إلاَّ حاجة في نفس يعقوب قضاها}** وهو حذر المشفق وسكون نفس بالوصية أن يتفرقوا خشية العين، **{وإنه لذو علم لما علمناه}**: لتعليمنا إياه، وللذي علّمناه من الأنبياء، وفيه ثلاثة أوجه: **الأول**: إنه لعامل بما علم, **الثاني**: لمتيقن بوعدنا , **الثالث**: إنه لحافظ لوصيتنا [2].

***تعريف الحسد والعين والعلاقة بينهما:**

الحسد: وهو مطلق تمني زوال النعمة عن الغير، وهو داء نفسي عضال بغيض، يستقر في نفس الحاسد، ومرده إلى أمرين؛ الأول: كراهة وبغض أن يرى الحاسد هذه النعمة على غيره، فيتمنى زوال النعمة عنه، والثاني: إضافة إلى ما سبق، مودته البالغة بانتقال هذه النعمة والفضل إليه، واعتقاده بأنه أحق بها من صاحبها.

العين: هي النظر باستحسان مشوب بحسد، من خبيث الطبع، يحصل للمنظور منه ضرر، فإن خبيث الطبع المتشهي لزوال النعمة عن غيره، الكاره لتوجهها إليه، إذا نظر إلى منعم عليه، خرج من نفسه سهام، تصيب المعيون تارة، وتخطئة تارة، فإن صادفت تلك السهام نفس المعيون مكشوفة، غير متحصنة، ولا وقاية عليها بذكر الله والتبريك، أثرت فيه تلك النظرة [3].

***العلاقة بين الحسد والعين:**

1-الحسد، أعم من العين: لذا، فقد جاءت الاستعاذة في سورة الفلق، بما هو أعم، وهو الحسد، واستغني عن ذكر العين لتضمن الحسد لها، فالعين إذاً نوع من أنواع الحسد، فكل عائن حاسد إن كان خبيث الطبع قاصدا الإضرار، وإلا فهو عائن فقط، لكن ليس

---

[1]التفسير المنير، للزحيلي (24/13).

[2]انظر: النكت والعيون، للماوردي (59/3)، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور، لعبد القاهر الجرجاني(139/2).

[3]انظر: التحصين من كيد الشياطين، د خالد الجريسي (ص47).

كل حاسد عائنا، فقد يحسد المرء لكرهه حصول نعمة ما على غيره، دون أن يوقع نظره عليه، والحاصل أن الحسد يقع بالكلام ويقوم بالنفس ويحصل بالنظر، ولا تقع العين بالنفس، ولا يتصل شرها إلا بالنظر إلى المعيون، أو بالكلام بعد النظر إليه، واستحسان ما عنده.

2-العين تقع بمجرد النظر باستحسان، وقد يقع ذلك من الصالح وغيره. أما الحسد فلا يقع إلا من ضعيف الإيمان غافل عن ذكر ربه.

3-العين قد تقع من صاحب النعمة، ومن غيره، أما الحسد فلا يقع إلا من الغير.

4-العين والحسد يشتركان في أمور ثلاثة: في السبب، وهو التشهي للنعمة، وفي وجوب الرقية منهما عند حصولهما، وفي الأثر فإن كلاهما مهلك موقع للضرر [1].

***أسباب الحسد:**

السبب الأول: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان أبغضه قلبه وغضب عليه، وذلك الغضب يولد الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن التشفي بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، فمهما أصاب عدوه آفة وبلاء فرح، ومهما أصابته نعمة ساءته، وذلك لأنه ضد مراده.

السبب الثاني: التعزز، فإن واحدا من أمثاله إذا نال منصبا عاليا ترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك، فيريد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر، بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد يرضى بمساواته ولكنه لا يرضى بترفعه عليه.

السبب الثالث: أن يكون في طبيعته أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض، ومن هذا الباب كان حسد أكثر الكفار للرسول عليه الصلاة والسلام إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا؟ فقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، وهذا من باب الاستحقار والأنفة منهم.

السبب الرابع: الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الباب تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصل إلى مقاصد المال والكرامة.

السبب الخامس: حب الرياسة وطلب الجاه نفسه من غير توسل به إلى مقصوده، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة.

---

[1] انظر: التحصين من كيد الشياطين، د خالد الجريسي (ص49).

السبب السادس: شح النفس بالخير على عباد الله، فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك، وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته، ويقال: البخيل من بخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع، لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته. فهذه هي أسباب الحسد، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد ويقوى قوة لا يقوى صاحبها معها [1].

***علاج الحسد:**

1"- يجب على الحاسد أن يتوب إلى الله تعالى؛ ويعلم أن الله الذي يعطي ويمنع، ويعز ويذل، وكل ذلك بحكمة بالغة، فلا يُعطي إلا لحكمة، ولا يمنع إلا لحكمة يعلمها سبحانه.

2- يقطع نظره عن الناس, ويعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى، ويسأله من فضله.

3- إذا رأى من ينافسه في الدنيا فلينافسه في الأعمال الصالحة التي ترتفع بها منزلته عند الله يوم القيامة.

3- التربية منذ الطفولة على حب الخير للناس.

4- أن يدرب نفسه على قول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إذا أعجبه شيء.

5- إذا وجد في نفسه شيئاً من الحسد المذموم بادر بالدعاء للمحسود بالزيادة من فضل الله تعالى؛ لأن الإنسان قد يكون عنده حسد ويخفيه،

ولا يترتب على حسده أذىً بأي وجه من الوجوه:

لا بفعله، ولا بلسانه، ولا بيده، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله ورسوله, وهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصم الله؛ ولهذا قيل: ما خلا جسدٌ من حسدٍ، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه؛ ولهذا الحسد مرض من أمراض القلوب لا يخلص منه إلا القليل، ولكن على المؤمن أن يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويدعو للمحسود بصدقٍ وإخلاصٍ، ويتمنى زيادة الخير له، ولا يُرتِّب على ذلك أذىً للمحسود: لا بالقول، ولا بالفعل، ولا بأي أذىً بوجه من الوجوه, ولا يضره ذلك الذي وقع في نفسه" [2].

---

[1] مفاتيح الغيب، للرازي (649/3)، باختصار.

[2] سلامة الصدر، د. سعيد القحطاني (ص18).

سابعا: مقاصد وأهداف الآيات:

1-قوله تعالى: **{لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به}**: "دليل على جواز الكفالة، وللعلماء فيها رأيان: رأي الجمهور: هي جائزة إذا كان المكفول به مالا، ولا تجوز الكفالة بالحدود والقصاص في رأي المذاهب الأربعة، وأجاز الشافعية الكفالة بالقصاص، والقذف، والتعزير، لما فيها من حق العبد" [(1)].

"وقال بعضهم: لا تجوز الكفالة بالنفس، لتعذر إحضار المكفول بنفسه، ولقوله تعالى على لسان العزيز في قصة يوسف عليه السلام: قال: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، إنا إذا لظالمون" [(2)].

2-"استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضاً من القضاء والقدر" [(3)].

3-قوله تعالى: **{وما أغني عنكم من الله من شيء}** [يوسف: 67]، وما كان ذلك التفرق يغني من الله من شيء، وما كان يرد قضاء الله ولا أمرا قدره الله، وإن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون، فلو سبق في علم الله أن العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم، فإن الحذر لا يدفع القدر [(4)].

4-"إن يعقوب النبي عليه السلام كان في حديثه مع أولاده مطمئنا إلى حفظ الله ورحمته، فهو نعم الوكيل الحافظ، وهو أرحم الراحمين بعباده، لا سيما حال الضعفاء وكبار السن أمثاله، فحفظ الله له خير من حفظكم إياه" [(5)].

5-تشدد يعقوب عليه السلام هذه المرة مع أولاده أكثر مما حدث عند إذنه بإرسال يوسف عليه السلام، بعد تلك التجربة القاسية وما أعقبها من حزن شديد وألم، فطلب منهم الميثاق وهو العهد المؤكد باليمين على إحضاره إليه إلا في حال العذر القاهر والإحاطة بهم.

6-على المؤمن الاتكال على الله، والاعتماد عليه والثقة به وحده، لأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى [(6)].

[(1)] التفسير المنير، للزحيلي (22/13).

[(2)] المرجع السابق (23/13).

[(3)] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (550/4).

[(4)] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (484/18).

[(5)] التفسير المنير (22/13).

[(6)] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (550/4).

المقطع الثالث

استخدام المكيدة في تحقيق هدف مشروع

قال تعالى: **{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}** [يوسف69-76].

أولاً: المناسبة:

"لما أخبر تعالى عن دخولهم إلى البلد، أخبر عن دخولهم لحاجتهم إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال: **{ولما دخلوا}** أي بنوه عليه الصلاة والسلام **{على يوسف}** في هذه القدمة الثانية **{آوى إليه أخاه}** شقيقه بنيامين بعد أن قالوا له: هذا أخونا الذي أمرتنا به قد أحضرناه، فقال: أصبتم، وستجدون ذلك عندي، وسبب إيوائه إليه أنه أمر كل اثنين منهم أن يأكلوا على حدة، فبقي بنيامين بلا ثان، فقال: هذا يأكل معي، وهذا التفريق موافق لما أمرهم به أبوهم في تفريق الدخول" [1].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{آوَى}**: "تقول العرب: أوى الإنسان إلى منزله يأوي أُوِيّاً وإواء ، وآويتُهُ إيواءً، والتَّأوّي: التّجمّع، وتأوّتِ الطَّير، إذا انضمّ بعضُها إلى بعض، فهنّ أُوِيٌّ، ومُتأوّيات، وتقول: أويت لفلانٍ آوي أويةً وأيّةً ومأويةً ومأواةً إذا رحمته ورثيت له" [2]، "والمأوى: كل مكان يأوى إليه شئ ليلاً أو نهاراً" [3].

***{تَبْتَئِسْ}**: "فلان ذو بأس، وشجاع بئيس، وبَؤُسَ بعد غناه: افتقر فهو بائس، ووقع في البؤس والبأساء، وفي أمر بئيس: شديد، وابتأس بذلك إذا اكتأب واستكان من الكآبة" [4]، "لا تبتئسْ، أي: لا تحزنْ ولا تشتكِ والمبتئس: الكارهُ والحزينُ" [5].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (167/10).

[2] العين، للفراهيدي (437/8-438).

[3] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الفارابي (2274/6).

[4] أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (43/1).

[5] معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (235/4)، والصحاح (907/3).

*{**السِّقَايَةَ**}: سَقَى: السين والقاف والحرف المعتل أصل واحد، وهو إشراب الشيء الماء وما أشبهه، تقول: سقيته بيدي أسقيه سُقْياً، وأسقيته، إذا جعلت له سقيا، والسقي: المصدر، ويقال: أسقيتك هذا الجلد، أي وهبته لك تتخذه سقاء، والسقاية: الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في الموسم، والسقاية: الصواع، وفي قوله : {**جعل السقاية في رحل أخيه**}، هو ما كان يشرب فيه الملك [(1)].

*{**مُؤَذِّنٌ**}: (أذن) الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أذن كل ذي أذن، والآخر العلم.

والأذان هو اسم التأذين، كما أن العذاب اسم التعذيب، والأذين :المؤذن [(2)]، "والتأذين مخصوص في النداء إلى الصلاة، والإعلام بوقتها" [(3)]، "وأذن مؤذن: أي نادى منادٍ" [(4)].

*{**كِدْنَا**}: الكيد: المكر والخبث، والكيد: الحيلة، والكيد: الاحتيال والاجتهاد [(5)].

{**كدنا ليوسف**}: "أي كدنا له إخوته حتى ضممنا أخاه إليه، وكيد الله: مشيئته بالذي يقع به الكيد، لا الاحتيال" [(6)].

ثالثاً: الإعراب:

{**إلا حاجةً**}: "استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها" [(7)].

{**جزاؤه من وجد في رحله**}: فيه وجهان:

"**الأول:** {**جزاؤه**}: مبتدأ، {**ومن وجد في رحله**}: خبرهن ويكون قوله: {**فهو جزاؤه**}: زيادة في البيان كما تقول جزاء السارق القطع فهو جزاؤه.

الثاني: {**جزاؤه**}: مبتدأ، وقوله: {**من وجد في رحله فهو جزاؤه**}: جملة، وهي في موضع خبر المبتدأ" [(8)].

معاني الإعراب:

المعنى في الوجه الأول: جزاء هذا الجرم من وجد المسروق في رحله، أي ذلك الشخص هو جزاء ذلك الجرم، والمعنى: أن استعباده هو جزاء ذلك الجرم.

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (3/84-85).

(2) انظر: المرجع السابق (1/77).

(3) تاج العروس، للزبيدي (34/167).

(4) تهذيب اللغة، للهروي (15/19).

(5) انظر: تاج العروس، للزبيدي (9/124).

(6) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي (ص777).

(7) إعراب االقرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (5/24).

(8) مفاتيح الغيب، للرازي (18/485).

والتقدير في الوجه الثاني: كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، إلا أنه أقام المضمر للتأكيد والمبالغة في البيان [(1)].

رابعاً: القراءات:

{درجات}: "قرأ حمزة وعاصم والكسائي درجات بالتنوين غير مضاف، والباقون بالإضافة.

والمراد من قوله: نرفع درجات من نشاء هو أنه تعالى يريه وجوه الصواب في بلوغ المراد، ويخصه بأنواع العلوم، وأقسام الفضائل، والمراد هاهنا هو أنه تعالى رفع درجات يوسف على إخوته في كل شيء" [(2)].

خامساً: البلاغة:

"**{تالله}:** بمعنى والله، وتختص التاء بالدخول على لفظ الجلالة على الأرجح، ويقسم بهذا القسم عند التعجب.

{ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك}: هذا تعليل لما قبله، أي كدنا ليوسف بهذه الطريقة، لأنه ما كان يستطيع أن يأخذ أخاه فيما يدين به الملك في أمر السارق أي في حكمه وقضائه الذي يدين به هو وشعبه فإنه لم يكن جزاء السارق فيه الاسترقاق، بل عقوبة أخرى كالضرب والتغريم، فلهذا جعله يحتكم إلى شريعتهم حتى يستبقيه لديه" [(3)].

سادساً: التفسير الإجمالي:

اللقاء الثاني بين يوسف و إخوته:

في هذا اللقاء كان يوسف عليه السلام في انتظار أول فرصة يستقبل فيها أباه وإخوته جميعاً.

"وقوله تعالى: **{ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون}** [يوسف:69] إشارة إلى ما قابل به يوسف إخوته جميعا من كرم الضيافة وحسن الصلة، وإلى ما قابل به أخاه الشقيق بنيامين بالخصوص من عطف خاص، عندما اختلى به وعرفه بأنه هو أخوه يوسف، وطمأنه على مصيره، رغما عن الإجراءات الظاهرة التي سيتخذها للاحتفاظ به عنده، كرهينة خاصة في مقابل (صاع الملك) الذي سيوجد في رحله، والذي سيكون وضعه فيه بمعرفة يوسف ومساعديه

---

(1) انظر: المرجع السابق (486/19).

(2) مفاتيح الغيب، للرازي (487/18).

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (361-360/5)

الأقربين، **{قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه}** وذلك في انتظار أول فرصة يستقبل فيها أباه وإخوته جميعا، حيث يرتفع الستار عن آخر مشهد لهذه القصة الخالدة" [(1)].

كيف استخدم يوسف عليه السلام الحيلة في استبقاء أخيه عنده؟

"لما دخلوا ولد يعقوب على يوسف، قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، قد جئناك به، فأنزل أخاه معه، وآواه إليه، فلما خلا به قال: إني أنا أخوك يوسف، فلا تبتئس بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك، ولما حمّل يوسف إبل إخوته ما حمّلها من الميرة وقضى حاجتهم، جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه" [(2)]، "والأخ لا يشعر، ولما قال له يوسف: إني أنا أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال له يوسف: قد علمت اغتمام والدي بي وإذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يحل، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال: فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليهيأ لي ردك بعد تسريحك، قال: فافعل كما تريد" [(3)].

والسقاية: "هي المشربة، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام ثم جهزهم بجهازهم، وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم، وحمل لهم بعيرا بعيرا، وحمل لأخيه بعيرا باسمه كما حمل لهم، ثم أمر بسقاية الملك، وهو الصواع، وزعموا أنها كانت من فضة، فجعلت في رحل أخيه بنيامين، ثم أمهلهم، حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية، أمر بهم فأدركوا، فاحتبسوا، ثم نادى مناد: **{أيتها العير إنكم لسارقون}**، ققفوا وانتهى إليهم رسوله، فقال لهم فيما يذكرون: ألم نكرم ضيافتكم، ونوفكم كيلكم، ونحسن منزلتكم، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا؟ أو كما قال لهم، قالوا: بلى، وما ذاك؟ قال: سقاية الملك فقدناها، ولا نتهم عليها غيركم **{قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين}** لو كنا سراقا لم نرد عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا" [(4)]، قالوا يعني: المؤذن وأصحابه لأولاد يعقوب فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين قالوا: الاستعباد جزاء سرقته كذلك نجزي الظالمين يعني: هكذا نعاقب السارق في سنة آل يعقوب، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من

[(1)]التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري (192/3).

[(2)]جامع البيان، للطبري (254/13)، باختصار.

[(3)]تفسير البغوي (504/2).

[(4)]جامع البيان، للطبري (254/13-256)، باختصار.

وعاء أخيه، كذلك صنعنا ليوسف الكيد أي: كذلك احتلنا له وألهمناه الحيلة، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك يعني: في قضاء ملك مصر، لأنه لم يكن في قضائه أن يستعبد الرجل في سرقته، إلا أن يشاء الله، وقد شاء الله أن يأخذه بقضاء أبيه، نرفع درجات من نشاء بالفضائل[(1)]، "والمراد هاهنا هو أنه تعالى رفع درجات يوسف على إخوته في كل شيء" [(2)].

فإنه سبحانه من حكمته لم يبعث به نبياً قط إلا جعل له أعداء يؤذونه كما قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً}** [الأنعام:112]، وهذا كله من الله عدل إذ فيه رفع درجات الأنبياء، وإظهار مقامهم صلوات الله وسلامه عليهم [(3)].

(وفوق كل ذي علم عليم) "والمعنى هنا أن إخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء فضلاء، إلا أن يوسف كان زائدا عليهم في العلم" [(4)].

سابعاً: المقاصد والأهداف:

1-"جواز التوصل إلى الأغراض المشروعة بالحيل؛ من غير أن يترتب عليها إضرار بأحد" [(5)].

2- "جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم" [(6)].

3-"ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهما أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: **(معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده)** ولم يقل "من سرق متاعنا" وكذلك لم يقل "إنا وجدنا متاعنا عنده" بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في

---

(1) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (204/2).

(2) مفاتيح الغيب، للرازي (489/18).

(3) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق، لسليمان عبد الوهاب (ص13).

(4) مفاتيح الغيب، للرازي (489/18).

(5) أوضح التفاسير، لمحمد الخطيب (ص290).

(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص411).

ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال" [(1)].

4-"لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: **(وما شهدنا إلا بما علمنا)**" [(2)].

5-"هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة {وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم} ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفى بما وعد به، ولا ينافي ذلك، قوله: **(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)** فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه، الشكوى إلى المخلوقين" [(3)].

6-"أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم وعرفانهم" [(4)].

7-"أن العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات، لأنه تعالى لما هدى يوسف إلى هذه الحيلة والفكرة مدحه لأجل ذلك فقال: **(نرفع درجات من نشاء)**" [(5)].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص411).

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (551/3).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص411).

(4) المرجع السابق (ص411).

(5) مفاتيح الغيب، للرازي (489/18).

المقطع الرابع

تحمل الأذى وعدم رد الإساءة

قال تعالى: {قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ * قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ * فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}، [يوسف:77-80].

أولاً: المناسبة:

"لما خرج الصواع من رحل أخي يوسف نكس إخوته رؤوسهم، وقالوا: هذه الواقعة عجيبة أن راحيل ولدت ولدين لصين" [1]، "فالسرقة جاءت وراثة من أمهما إذ هما لا ينفردان منا إلا بها"[2]، "فلما بهتوا بوجود الصواع في رحل أخيهم اعتراهم ما يعتري المبهوت فاعتذروا عن دعواهم تنزههم عن السرقة، إذ قالوا: وما كنا سارقين، عذرا بأن أخاهم قد تسربت إليه خصلة السرقة من غير جانب أبيهم فزعموا أن أخاه الذي أشيع فقده كان سرق من قبل، وقد علم فتيان يوسف عليه السلام أن المتهم أخ من أم أخرى" [3].

ثانياً: التحليل اللغوي:

*"**{شيخًا}**: رجل شيخ بيّن الشيخوخة، وقد شاخ يشيخ شيخوخة، فإذا ظهر به الشيب واستبانت فيه السن فهو شيخ، والشيخة: المرأة" [4]، وَجمع شيخ أَشْيَاخ وشيوخ وشيخة وشِيخان [5]، والشيخ: هو من دخل سن الشيخوخة وهي خمسون أو إحدى وخمسون إلى آخر العمر [6].

قال بعض الحكماء: "الأسنان أربعة سن الطفولية، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان، وغالباً ما يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة" [7].

---

[1] مفاتيح الغيب، للرازي (489/18).

[2] تفسير المراغي (23/13).

[3] التحرير والتنوير (34/13).

[4] العين، للفراهيدي (285/4)، والكنز اللغوي في اللَسَن العربي، ليعقوب بن إسحاق (ص161).

[5] جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي (603/1).

[6] التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن اسماعيل الصنعاني (86/8).

[7] فتح الباري، لابن حجر (240/11)، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين المناوي (11/2).

*"**{اسْتَيْأَسُوا}**: (يأس) الياء والهمزة والسين، كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء، والكلمة الأخرى: ألم تيأس، أي ألم تعلم، وقالوا في قوله تعالى: **{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الذِينَ آمَنُوا}** [الرعد: 31]، أي أفلم يعلم" [1]، "استيأس منه، أي: يئس ، واليأس: القنوط" [2].

***{نَجِيًّا}**: "نجاه نجواً، ونجوى: سارّه، والنجوى، والنجى: السر، والمتسارون، وفي التنزيل: **{وإذ هم نجوى}**، وقوله: **{ما يكون من نجوى ثلاثة}** يكون على الصفة والإضافة، وناجى الرجل مناجاة، ونجاء: ساره، وانتجى القوم، وتناجوا: تساروا، والنّجِيّ: المتناجون؛ وفي التنزيل: **{فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا}**، والجمع: أنجية" [3]،

"والنجي على معنيين: يكون بمعنى المناجى، كالعشير والسمير بمعنى: المعاشر والمسامر، ومنه قوله تعالى **{وقربناه نجيا}**، وبمعنى المصدر الذي هو التناجي، كما قيل النجوى بمعناه، ومنه قيل: قوم نجى، كما قيل وإذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال: هم نجى، كما قيل: هم صديق، لأنه بزنة المصادر" [4].

***{أَبْرَحَ}**: "برح الرجل يبرح براحا إذا رام من موضعه، وأبرحته: رمته، وأبرحت جارا: أي أعظمته واتخذته عظيما، وما برحت أفعل كذا أي: ما زلت. وقولهم: برح الخفاء أي: ذهب، وأرض براح: لا بناء فيها ولا عمران، والبرحاء: الحمى الشديدة، وتقول: برح بنا فلان تبريحا إذا آذاك بإلحاح المشقة، والتباريح: كلف المعيشة في مشقة، والاسم التبرح، وتقول: ضربته ضربا مبرِّحا ولا تقول: مبرَّحا، وهذا الأمر أبرح علي من ذاك أي: أشق وأشد" [5]، "**{أبرح الأرض}**: أفارق البراح" [6]، "وبَرِحَ الأرض: فارقها" [7]، **{فلن أبرح الأرض}**: فلن أفارق أرض مصر [8].

ثالثاً: الإعراب:

"**{قال أنتم شر مكانا}**: بدل من **{ها}** في قوله: **{فأسرها}**.

معنى الإعراب: فأسر يوسف في نفسه قوله **{أنتم شر مكانا}**، ومعناها: أنتم شر مكانا في السرقة لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم.

{معاذ الله}: منصوب على المصدر المعنى أعوذ بالله معاذا، وموضع أن نصب.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (153/6).

(2) معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم الفارابي (239/4)، وتحفة الأريب، لأبي حيان الأندلسي (ص326).

(3) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن المرسي (559/7).

(4) الكشاف، للزمخشري (494/2).

(5) العين، للفراهيدي (216/3).

(6) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي (ص63).

(7) المحكم والمحيط الأعظم (323/3).

(8) الكشاف، للزمخشري (495/2).

معنى الإعراب: أعوذ بالله من أخذ أحد إلا من وجدنا متاعنا عنده، فلما سقطت (من) أفضى الفعل فنصب" [1].

{ما فرطتم في يوسف}: فيه وجوه:

أولاً: أن تكون **{ما}** صلة.

ثانياً: أن تكون مصدرية، على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو **{من قبل}** ومعناه: ، أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا، وهو **{أن أباكم}** كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف.

ثالثاً: أن تكون موصولة، ومحله الرفع أو النصب على الوجهين [2].

معاني الإعراب:

المعنى على الوجه الاول: أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم.

المعنى على الوجه الثاني: أي ووقع هذا من قبل تفريطكم في يوسف.

المعنى على الوجه الثالث: أي ومن قبل هذا ما فرطتموه، أى قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة [3].

رابعاً: القراءات:

{لي أبي}: "فتح ياء الإضافة لنافع وأبي عمرو وأبي جعفر" [4].

خامساً: البلاغة:

{فأسرها}: جاءت بصيغة المؤنث، لأنه عنى بها "الكلمة"، وكنى عن "الكلمة" ولم يجر لها ذكر متقدِّم. والعرب تفعل ذلك كثيرًا، إذا كان مفهومًا المعنى المرادُ عند سامعي الكلام [5].

{فلما استيأسوا منه}: يدل على المبالغة في يأسهم من رده عليه السلام عليهم [6].

سادساً: التفسير الإجمالي:

"**{قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل}** كأنهم لم يكذبوا قبل ذلك على أبيهم في يوسف وكأنهم لا يمكن أن يكذبوا على عزيز مصر دفعا للتهمة التي تحرجهم، وتبرؤا من يوسف وأخيه السارق، وإرواء لحقدهم القديم على يوسف وأخيه, لقد قذفوا بها يوسف وأخاه.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (124/3).

(2) الكشاف، للزمخشري (295/2).

(3) المرجع السابق (295/2).

(4) فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، لمحمد إبراهيم سالم (136/3).

(5) جامع البيان، للطبري (198/16).

(6) مفاتيح الغيب، للرازي (492/18).

{فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم} أسر هذه الفعلة وحفظها في نفسه، ولم يبد تأثره منها, وهو يعلم براءته, وبراءة أخيه, إنما قال لهم: **{أنتم شر مكانا}** يعني أنكم بهذا القذف شر مكانا عند الله من المقذوف, وهي حقيقة لا شتمة.

{والله أعلم بما تصفون} وبحقيقة ما تقولون, وأراد بذلك قطع الجدل في الاتهام الذي أطلقوه، ولا دخل له بالموضوع" [1]، والله أعلم بما تصفون من الباطل بنسبة السرقة إلى يوسف، وأنه لا حقيقة لذلك.

"ثم أرادوا أن يستعطفوه ليطلق لهم أخاهم بنيامين يكون معهم يرجعون به إلى أبيهم لما تقدم من أخذه الميثاق عليهم بأن يردوه إليه، **{قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا}** أي إن لبنيامين هذا أبا متصفا بهذه الصفة، وهو كونه شيخا كبيرا، لا يستطيع فراقه، ولا يصبر عنه، ولا يقدر على الوصول إليه، فخذ أحدنا مكانه يبقى لديك، فإن له منزلة في قلب أبيه ليست لواحد منا فلا يتضرر بفراق أحدنا كما يتضرر بفراق بنيامين، ثم عللوا ذلك بقولهم: **{إنا نراك من المحسنين}** إلى الناس كافة، وإلينا خاصة، فتمم إحسانك إلينا بإجابتنا إلى هذا المطلب" [2].

"ولكن يوسف كان يريد أن يلقي عليهم درسا، وكان يريد أن يشوقهم إلى المفاجأة التي يعدها لهم ولوالده وللجميع، ليكون وقعها أعمق وأشد أثرا في النفوس" [3].

المقصود بإحسانه عليه السلام في هذه الآية:

1-إنا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك.

2-إنا نراك من المحسنين إلينا، حيث أكرمتنا، وأعطيتنا البذل الكثير، وحصلت لنا مطلوبنا على أحسن الوجوه، ورددت إلينا ثمن الطعام.

3-نقل أنه عليه السلام لما اشتد القحط على القوم، ولم يجدوا شيئا يشترون به الطعام، وكانوا يبيعون أنفسهم منه فصار ذلك سببا لصيرورة أكثر أهل مصر عبيدا له ثم إنه أعتق الكل، فلعلهم قالوا: إنا نراك من المحسنين إلى عامة الناس بالإعتاق فكن محسنا أيضا إلى هذا الإنسان بإعتاقه من هذه المحنة [4].

{قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذن لظالمون}، ولم يقل معاذ الله أن نأخذ بريئا بجريرة سارق، لأنه كان يعلم أن أخاه ليس بسارق [5].

---

[1] في ظلال القرآن (222/4).

[2] فتح القدير، للشوكاني (54/3).

[3] في ظلال القرآن (222/4).

[4] مفاتيح الغيب، للرازي (491/18).

[5] في ظلال القرآن (222/4).

ولعل الله أمر يوسف عليه السلام بذلك تشديداً للمحنة على يعقوب، ونهاه عن العفو والصفح، وأخذ البدل.

{إنا إذاً} أي إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده **{لظالمون}** في دينكم وما تقتضيه فتواكم [1].

سابعاً: المقاصد والأهداف:

1-"قال: **{معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده}**، ولم يقل: **{إلا من سرق متاعنا}**، وكذلك لم يقل: **{إنا وجدنا متاعنا عنده}**، بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه، وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعدما تبينت الحال، وهذا يدل على وجوب استخدام الذكاء والفطنة، ليتحقق النجاح" [2].

2-"من الحكمة تأخير الرد على بعض الأقوال والأفعال إلي الوقت المناسب، فلما سمع يوسف عليه السلام قولهم: **{إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل}**، أسرها يوسف في نفسه، ولم يبد تأثره منها وهو يعلم براءته وبراءة أخيهن ولكن يوسف عليه السلام كان يريد أن يلقي عليهم درساً، وكان يريد أن يشوقهم للمفاجأة التي يعدها لهم، ولوالده، وللجميع، ليكون وقعها أعمق، وأشد أثراً في النفوس" [3].

3-"جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة ولا هدمت أصلاً" [4].

4-"الإحسان إلى الغير إنما يكون بإيصال النفع، إليه وبدفع الضرر عنه، والإحسان أن تحسن لمن أساء إليك، فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة" [5]، "وذلك أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يراد به غيره، فهذا هو الإخلاص، وتارة يكون لطلب المكافأة، أو لطلب الحمد من الناس، أو لهما، وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لأن فيهما شركاً، ورياء" [6].

5-"إن رد الإساءة مشروع، وإن العفو أولى من الانتقام، ما لم يؤد إلى استمرار المسيء في إساءته، فحينئذ، يكون الأخذ بالحق أولى" [7].

6-إنه ليس من العدل أن يؤخذ شخصٌ ما بجريرة شخصٍ آخر وكيف يقام العدل إذا أُطلق المجرم وأخذ مكانه البريء.

---

[1] فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان (381/6).

[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (551/3).

[3] المرجع السابق (551/3).

[4] فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان (381/6).

[5] تفسير البغوي (508/1).

[6] تفسير الخازن (378/4).

[7] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (953/3).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (81-101)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: أشد الابتلاءات التي تسبق مرحلة الفرج.

المقطع الثاني: الأمل وعدم القنوط من رحمة الله.

المقطع الثالث: فضيلة التقوى والصبر.

المقطع الرابع: الاعتراف بالفضل والعفو عند المقدرة.

المقطع الخامس: العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية.

المقطع الأول

أشد الابتلاءات التي تسبق مرحلة الفرج

قال تعالى: **{ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [يوسف:81-86].

أولاً: المناسبة:

إن إخوة يوسف عليه السلام بالغوا في التأكيد والتقرير، قالوا: "وإنا لصادقون" يعني سواء نسبتنا إلى التهمة أو لم تنسبنا إليها فنحن صادقون، وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بأنفسهم لأن هذا يجري مجرى إثبات الشيء بنفسه، بل الإنسان إذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

*{**القرية**}: "(قري) القاف، والراء، والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة: جمعته، وذلك الماء المجموع قَرْي، وجمع القرية قُرَى" [(2)].

*{**العير**}: "العَيْر: مصدر عَار يعير عَيراً، وعار الْفرس يعير، إِذا انْطلق من مربطه فذهب على وجهه" [(3)]، "والعِير: الإبل تحمل الميرة" [(4)].

*{**سوَّلَت**}: "سوّل: سوّلت لفلان نفسه أمرا، أي: زينت، والأسول من النبات: الذي في أسفله استرخاء، وقد سول يسول سولاً" [(5)]، "سول له الشيطان أمراً: سهل له وزين" [(6)].

*{**كظيم**}: "كظم غيظه كظماً: اجترعه، فهو رجل كظيم، والغيظ مكظوم، والكظوم: السكوت، وكظم البعير يكظم كظوما، إذا أمسك عن الجرة، فهو كاظم، وإبل كظوم، تقول: أرى الإبل

(1) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (491/18).

(2) معجم مقاييس اللغة (78/5).

(3) جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي (777/2).

(4) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي (223/1).

(5) العين، للفراهيدي (298/7).

(6) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، لمحمد علي السَّراج (ص212)

كظوما لا تجتر، وقوم كظم: أي ساكتون" [1]، "كظَمَ: غيظه: اجترعه فهو كاظم، وكظمه الغيظ والغم: أخذ بنفسه، فهو مكظوم وكظيم" [2]، "والكظم: هو كف النفس عن الجزع؛ وترديد الحزن في الجوف على غير إظهار في أفعاله" [3].

*{**تفتأ**}: فتأ، يقال: ما فتئ يفعل كذا ما زال، وفي التنزيل العزيز **(قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف)** أي لا تزال تذكره [4]، ما أفتأت أذكره، وما فتئت أذكره، وما فتأت أذكره، أي مازلت أذكره، وما برحت أذكره، وقوله تعالى: **(تالله تفتأ تذكر يوسف)** أي ما تفتأ [5]، وحذفت(لا) لدلالة الحال عليها [6].

*{**حَرَضًا**}: حتى تكون حرضا، أي مُحْرَضاً يذيبك الهم، وهو المشرف حتى يكاد يهلك، رجل حرض ورجال أحراض، والحَرَض: الذي لا خير فيه لؤما ودقة من كل شيء، والفعل منه حَرُض يَحرُض حُرُوضاً، وناقةٌ حَرَضٌ، وإبل أَحراض: وهو الضاوي الرديء [7]، وقولهم: قد حَرَّضْتُ فلاناً، معناه: قد أغريتُه، وأفسدتُ قلبه، وهو مأخوذ من (الحرض)، والحرض، والحارض: الفاسد في جسمه وعقله، إلا أن (الحارض) يُثنى ويُجمع، و(الحرض) لا يُثنى ولا يُجمع، لأن مجراه مجرى المصادر، يقال: قد حَرَض الرجل فهو حارِضٌ، وما كان حرَضاً، ولقد حرَّضْتُهُ، وأَحْرَضْتُهُ على الشيء، والحرض: الذي قد أذابه الحزن [8].

*{**بَثِّي**}: "البث: أشد الحزن، لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه، أي: يشكوه" [9]، وتقول: بثثته سري وأبثثته إذا أطلعته عليه [10]، بث الخبر وأبثه بمعنى نشره، يقال: أبثثتك سري، أي أظهرته لك، وبثّث الخبر، شدد للمبالغة، فانبث أي انتشر، وتمر بث، إذا لم يجد كنزه، والبث: الحال والحزن، يقال: أبثثتك، أي أظهرت لك بثي، وبثبثت الخبر بثبثة: نشرته، وكذلك الغبار، إذا هيجته [11].

---

[1] الصحاح، للفارابي (2022/5).

[2] اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، لمحمد علي السَّراج (ص219).

[3] تأويلات أهل السنة، للماتريدي (276/6).

[4] المعجم الوسيط (671/2).

[5] الصحاح، للفارابي (62/1).

[6] أسرار العربية، لكمال الدين الأنباري (ص205).

[7] العين، للفراهيدي (103/3).

[8] انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري (262/2).

[9] تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي (62/1).

[10] جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي (63/1).

[11] الصحاح، للفارابي (273/1).

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى: **(واسأل القرية)** : أي أهل القرية، وجاز حذف المضاف، لأن المعنى لا يلتبس، فأما قوله تعالى: **(والعير)** فيراد بها الإبل، فعلى هذا يكون المضاف محذوفا أيضا ; أي أصحاب العير، وقيل: العير: القافلة، وهم الناس الراجعون من السفر فعلى هذا ليس فيه حذف، وقوله تعالى: **(يا أسفى)**: الألف مبدلة من ياء المتكلم والأصل أسفي ففتحت الفاء وصيرت الياء ألفا ليكون الصوت بها أتم، و**(على)** : متعلقة بأسفى، وقوله تعالى: **(تفتأ)**: أي لا تفتأ، فحذفت "لا" للعلم بها، و**(تذكر)** : في موضع نصب خبر تفتأ [(1)].

رابعاً: البلاغة:

في قوله تعالى: **(واسأل القرية)** مجاز مرسل إذ المراد أهلها والعلاقة المحلية، وأراد بالقرية مصر، أي أرسل الى أهلها، فاسألهم عن تفاصيل هذه القصة، وكذلك قوله: **(والعير التي أقبلنا فيها)** أي أصحاب العير، وفي قوله: **(يا أسفا على يوسف)** جناس: وهو اشتراك اللفظتين في الاشتقاق [(2)].

خامساً: التفسير الإجمالي:

(ارجعوا إلى أبيكم):" يعني يقول الأخ الكبير الذي عز على الإقامة بمصر لإخوته الباقين ارجعوا إلى أبيكم يعقوب، فقولوا له: **(يا أبانا إن ابنك سرق)**، إنما قالوا هذه المقالة، ونسبوه إلى السرقة لأنهم شاهدوا الصواع، وقد أخرج من متاع بنيامين، فغلب على ظنهم أنه سرق، فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر، لا في حقيقة الحال، ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة، قولهم: **(وما شهدنا إلا بما علمنا)**، يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا إخراج الصواع، وقد أخرج من متاعه، وقيل: معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمناه، وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم، فيكون المعنى أن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه، لا أنا نشهد عليه بالسرقة" [(3)]، **(وما كنا للغيب حافظين)** ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق، وإن كنت متهما لنا، لا تصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق: **(فاسأل القرية التي كنا فيها)** ، وهي مصر، اسأل من فيها من أهلها، **(والعير التي أقبلنا فيها)** ، وهي القافلة التي كنا فيها، التي أقبلنا منها معها، عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقه، فإنك تخبر مصداق ذلك، **(وإنا لصادقون)** فيما أخبرناك من خبره [(4)]، **(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا)**، قال

[(1)] التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (743/2).

[(2)] انظر: اعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (37/5-38).

[(3)] تفسير الخازن (348/2).

[(4)] انظر: تفسير الطبري (213/16).

يعقوب: اشتهت وزينت لكم قلوبكم أمرا فصنعتموه، **(فصبر جميل)**، عليّ صبر جميل حسن، من غير جزع، لا أشكو فيه إلى أحد، **(عسى الله أن يأتيني بهم جميعا)** لعل الله أن يرد علي يوسف، ويهوذا، وبنيامين، إنه هو العليم بمكانهم الحكيم أن يحكم بردهم علي، قوله تعالى: (وتولى عنهم) يعني: أعرض عن بنيه، وخرج عنهم، وقال: **(يا أسفى على يوسف)**، يعني: يا حزناً على يوسف، والأسف: أشد الحسرة، **(وابيضت عيناه من الحزن)** يعني: من البكاء، **(فهو كظيم)**، يعني: مغموما مكروبا، يتردد الحزن في جوفه [1]، **(وابيضت عيناه)**، فيه قولان: أحدهما: أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه، والثاني: أنه ذهب بصره [2].

(قالوا تالله تفتأ)، لا تزال تذكر يوسف، لا تفتر من ذكره **(حتى تكون حرضا)**، فاسدا دنفا، أو تكون من الهالكين الميتين، والمعنى: لا تزال تذكره بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه، أو تموت بغمه، فلما أغلظوا له في القول، **(قال إنما أشكو بثي)**، ما بي من البث، وهو الهم الذي تفضي به إلى صاحبك، **(وحزني إلى الله)** لا إليكم، **(وأعلم من الله ما لا تعلمون)**، وهو أنه علم أن يوسف حي [3]، "وإنما كان يعلم ذلك من تحقيق رؤيا يوسف، حين رأى في المنام أحد عشر كوكبا، علم أن ذلك سيكون" [4].

الفرج مع الصبر:

التحلي بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة صدر وبقوة إرادة، ومناعة أبية، واصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب في تفكير السيئات، اصبر مهما ادلهمت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا.

فها هي سير العظماء في هذه الدنيا، تذهل لعظيم صبرهم وقوة احتمالهم، كانت المصائب تقع على رؤوسهم كأنها قطرات ماء باردة، وهم في ثبات الجبال، وفي رسوخ الحق، فما هو إلا وقت قصير فتشرق وجوههم على طلائع فجر الفَرَج، وفرحة الفتح، وعصر النصر [5]، فإن أشد الابتلاءات وأقساها هي التي تسبق مرحلة الفرَج.

ومما لا شك فيه أن المحن التي تمر بالمسلمين اليوم شديدة، إلا أن انعدام الرؤي لانجلائها أشد على النفوس من المحنة ذاتها؛ فالمرء قد يسعه الصبر في المحنة، ويعينه على الثبات علمه أن للمحنة نهاية قريبة، أمَّا إن خفيت النهاية، فهنا قد يعبث اليأس بالصبر، ويحل

---

[1] بحر العلوم، للسمرقندي (206/2).

[2] النكت والعيون، للماوردي (70/3).

[3] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ص557).

[4] بحر العلوم، للسمرقندي (207/2).

[5] لا تحزن، لعائض القرني (ص65).

القنوط، وواقع الأمة مليء بالشواهد والفواجع بما لا يحتاج إلى مزيد بيان في التفصيل، فأعظم محنة يمر بها المسلمون اليوم هي تنحية شرع الله تعالى عن الحياة: في الحكم والتشريع، والقضاء، والمعاملات، والسلوك، ولعل هذه المحنة هي ما انفردت به أمتنا في عصرنا الراهن، دون عصور إسلامية سبقت؛ فكم مرت بأمة الإسلام محن وشدائد! إلا أنهم كانوا يستظلون بحكم الله، وإن اعترى تطبيقه بعض القصور في بعض العصور، وإن توسعت بنا دائرة المحن، فسوف توصلنا إلى آلام الأمة من مشارقها إلى مغاربها؛ فهذا العزوف الشديد عن الدين، والانخراط في تيار الغواية قد ضم قطاعاً كبيراً من المسلمين عاشوا على هامش الحياة، وقطاع آخر وقع عليهم البلاء الشديد من قتل وتشريد وانتهاك حرمات مما يدمي القلوب ويدمع العيون، ويملأ النفوس ألماً يزيد من لأوائها، مع قلة الناصر، وهول المصيبة.

ولو تتبعنا محن الأمة لطال بنا المقام والكلام والآلام، وهذه الصورة القاتمة ينظر إليها بعض الناس، ويتساءل: متى نصر الله؟ ولا شك أن شدة المحنة تصيب قطاعاً كبيراً من عامة الأمة باليأس والقنوط لضعف اليقين بوعد الله، وحينما يبلغ القنوط واليأس مبلغه، ينتكس بعض الناس على عقبيه شاكّاً في موعود الله الحق.

ألا وإن في هذه الشدة الشديدة للمحنة منحاً كثيرة من الله تعالى لا تخفى، ولكن ما ينبغي النظر إليه هو أن المحنة دائماً في رحمها الفَرَجُ والنصر بإذن الله، فقد روى الطبري، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "يا أمير المؤمنين أجدبت الأرض، وقحط المطر، وقنط الناس، قال: إذن مطرتم"، ثم تلا قول الله تعالى : **{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}**، [الشورى: 28] (1).

وإن كانت شدة المحن لتنسي ما وراءها من الفرج والفرح، وأن العاقبة إلى خير، إن هذه النظرة " الأَمَلِيَّة " الموقنة بصدق وعد الله لهي من مخففات المحن، وهي بلسم ليأسٍ يراود النفس عند شدة الآلام، كما أنه يلزم عدم اعتبار العامل الزمني الدنيوي مقياساً لزمن الانفراج (2).

سادساً: المقاصد والأهداف:

1-"الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، إنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين، هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله سبحانه وتعالى نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام بها، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف عليه السلام، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدةً طويلة، ويعقوب عليه

(1) تفسير الطبري (573/21)، روى الطبري، قال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب...

(2) انظر: مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي، العدد143، (ص94).

السلام لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة، ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، فصبر فكان خيراً له" [1].

2-"أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويقينهم، وعرفانهم" [2].

3-"أن بنيامين ويوسف كانا من أم واحدة وكانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل، فكان يعقوب عليه السلام يتسلى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام، فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الألم والوجد" [3].

4-إن كثرة الاشتغال بالدعاء، والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، يكون سبباً في رفع الهم والغم عن الإنسان.

5-لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به [4]، قال الشَّافِعِي رحمه الله: ولا يسع شاهداً أن يشهد إلا بما علم، والعلم من ثلاثة وجوه:

- منها: ما عاينه الشاهد فيشهد بالمعاينة.
- ومنها: ما سمعه، فيشهد ما أثبت سمعاً من المشهود عليه.
- ومنها: ما تظاهرت به الأخبار مما لا يمكن في أكثره العيان وتثبت معرفته في القلوب، فيشهد عليه بهذا الوجه.

وما شهد به رجل على رجل أنه فعله، أو أقرَّ به، لم يجز إلا أن يجمع أمرين، أحدهما: أن يكون يثبته بمعاينة، والآخر: أن يكون يثبته سمعاً مع إثبات بصر حين يكون الفعل، وبهذا: لا تجوز شهادة الأعمى إلا أن يكون أثبت شيئاً معاينة، أومعاينة وسمعاً ثم عَمِيَ، فتجوز شهادته؛ لأن الشهادة إنما تكون يوم يكون الفعل الذي يراه الشاهد، أو القول الذي أثبته سمعاً وهو يعرف وجه صاحبه، فإذا كان ذلك قبل يُعمَى،

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (551/4).

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص411).

[3] مفاتيح الغيب، للرازي (496/18).

[4] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (551/4).

ثم شهد عليه حافظاً له بعد العمى جاز، وإذا كان القول والفعل وهو أعمى لم يجز، من قِبَلِ أن الصوت يشبه الصوت [1].

6-"إذا استعان العبد بربه ولجأ إلى حماه شعر بالطمأنينة في قلبه، والسكينة تملأ جوارحه، فمن كان في حمى الله فلن يضام، ومن كانت معيّة الله معه، وعين الله ترعاه، فهو حقيق أن يتحمل المتاعب، ويصبر على الأذى" [2].

7-"النظر فيما يحصل للمسلم من تكفير الذنوب وتمحيص القلب ورفع الدرجة، إذا أصابته غموم الدنيا وهمومها" [3].

8-"بعد التوكل واعتقاد الفرج فلا بد من الأخذ بالأسباب التي تساعد الإنسان في الخروج من أزمة الابتلاء، فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وحدها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ونهيه والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره" [4].

9-"إن دمع العين، وحزن القلب لا يستوجب ذماً، ولا عقوبةً، لأن ذلك ليس إلى اختيار الإنسان فلا يدخل تحت التكليف، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم، بكى على ولده إبراهيم عند موته وقال: (إن العين تدمع، وإن القلب ليحزن، وما نقول إلا ما يرضي ربنا)" [5]، "فهذا القدر لا يقدر الإنسان على دفعه عن نفسه، فصار مباحا لا حرج فيه على أحد من الناس" [6].

---

[1] تفسير الإمام الشافعي (982/2).

[2] أنواع الصبر ومجالاته، د. سعيد القحطاني (ص85).

[3] دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، لشحاتة صقر (643/2).

[4] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح حميد (40/1).

[5] رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب انا بك لمحزونون، رقم 1303(2 /83)، ومسلم كتاب الفضائل، باب رحمته الصبيان رقم 62 (4 /).1807

[6] تفسير الخازن (551/2).

المقطع الثاني

الأمل وعدم القنوط من رحمة الله

قال تعالى: **{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ}**، [يوسف87-88].

أولاً: المناسبة:

"لما طمع يعقوب في إيجاد يوسف عليهما السلام، رجع إلى أولاده، وتكلم معهم على سبيل اللطف، قائلاً لهم: **{يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه}**، فقبلوا من أبيهم هذه الوصية، وعادوا إلى مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام، فقالوا له: **{يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل وتصدق علينا}**، وذلك لأن المتحسسين يتوسلون إلى مطلوبهم بجميع الطرق، والاعتراف بالعجز، وضيق اليد، ورقة الحال، وقلة المال، وشدة الحاجة مما يرقق القلب" [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{تَحَسَّسُوا}**: "تحسس الخبر: تطلبه وتبحثه، تحسس فلانا من فلان أي تبحّث، تحسست الخبر وتحسيته، والتحسس شبه التسمع والتبصر؛ قال: والتجسس، بالجيم، البحث عن العورة، وتجسست الخبر وتحسسته بمعنى واحد، وتحسست من الشيء أي تخبرت خبره، وحس منه خبرا وأحس، كلاهما: رأى" [(2)]، "والتحسس طلب الشيء بالحاسة وهو شبيه بالسمع والبصر"[(3)].

***{رَوْح}**: **{لا تايئسوا من روح الله}**، "أي من رحمة الله، سماها روحا؛ لأن الرَّوح والراحة بها" [(4)]، "والرَّوْحُ أيضا: السرور والفرح" [(5)]، "والرَّوح: ما يجده الإنسان من نسيم الهواء فيسكن إليه، وتركيب الراء والواو والحاء يفيد الحركة والاهتزاز، فكل ما يهتز الإنسان له ويلتذ بوجوده فهو رَوْح" [(6)].

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (502/18).

(2) لسان العرب، لابن منظور (50/6).

(3) مفاتيح الغيب، للرازي (502/18).

(4) تهذيب اللغة، للهروي (509/3).

(5) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن المرسي (509/3).

(6) مفاتيح الغيب، للرازي (501/18).

*{**مُزْجَاة**}: "زجو: التزجية: دفع الشيء كما تزجي البقرة ولدها، أي: تسوقه، والريح تزجي السحاب، أي: تسوقه سوقا رفيقا، والمزجى: القليل، من قوله عز وجل: وجئنا ببضاعة مزجاة وزجا الخراج يزجو زجاء إذا تيسرت جبايته، وأمر وجيز: مختصر، وكلام وجيز" (1)، "(مزجاة): أي بضاعة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته" (2) ،"{**مزجاة**}: قليلة مشتقة من يُزجي العيش أي: يقطعه بالقليل" (3).

ثالثاً: الإعراب:

{**إنه لا ييئس**}: جملة مستأنفة، والهاء ضمير الشأن اسم إن ، وقوله {**القوم الكافرون**}: فاعل مؤخر ونعته، وجملة {**فلما دخلوا**} مستأنفة، وجملة {**فأوف**} معطوفة على جملة {**جئنا**} (4).

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: {**من روح الله**} : الجمهور على فتح الراء، وهو مصدر بمعنى الرحمة، إلا أن استعمال الفعل منه قليل، وإنما يستعمل بالزيادة مثل أَرَاحَ، ورَوَّحَ، ويقرأ بضم الراء، وهي لغة فيه، وقيل: هو اسم للمصدر، مثل الشَّرْب والشُّرْب (5).

{**مزجاة**}: قرأ حمزة والكسائي بالإمالة، لأن أصله الياء، والباقون بالنصب والتفخيم (6).

خامساً: البلاغة:

الاستعارة: في قوله تعالى: {**وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ**} أي لا تقنطوا من فرجه سبحانه وتنفيسه، وأصل معنى الروح: التنفس، يقال أراح الإنسان إذا تنفس، ثم أستعير للفرج، وفسر بالرحمة على أنه استعارة من معناها المعروف، لأن الرحمة سبب الحياة كالروح، وإضافتها إلى الله تعالى لأنها منه سبحانه (7)، والمعنى: "لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله" (8).

---

(1) العين، للفراهيدي (165/6).

(2) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (46/5).

(3) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي (ص152).

(4) انظر: المجتبى في مشكل إعراب القرآن، د. أحمد الخراط (517/2).

(5) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (743/2).

(6) مفاتيح الغيب، للرازي (503/18).

(7) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (54/13).

(8) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (39/5).

سادساً: التفسير الإجمالي:

{يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه... } الآية، أي يا بنى ارجعوا إلى مصر حيث ينتظركم أخوكم الكبير فتعرفوا جميعا من أخبار يوسف وأخيه، وابحثوا عنهما بكل قواكم جادين دائبين، ولا تقنطوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله سبحانه إلا القوم الكافرون، لجهلهم به وبصفاته، وأما العالمون به فلا يقنطون بحال [1].

اللقاء الثالث بين يوسف وإخوته:

"فلما دخلوا على يوسف بعد ما رجعوا إلى مصر امتثالا لأمر أبيهم وهذه هي المرة الثالثة من ذهابهم إلى مصر، **{قالوا يا أيها العزيز}**: خاطبوه بذلك تعظيما على حد خطابهم السابق، والمراد يأيها الملك القادر المنيع، **{مسنا وأهلنا الضر}**: أي الهزال من شدة الجوع والمراد بالأهل ما يشمل الزوجة وغيرها، **{وجئنا ببضاعة مزجاة}**: قليلة القيمة، لا تصلح أن تكون ثمنا للطعام الذي نريده، قيل كانت بضاعتهم من متاع الأعراب، صوفا، سمنا، ونحوهما، وإنما قالوا ذلك ليكون باعثا على الشفقة والرأفة وتحريك عاطفة الرحمة. تمهيدا لقولهم: **{فأوف لنا الكيل}**: أي أتممه لنا كعادتك، **{وتصدق علينا}**: برد أخينا إلينا وهو الأنسب بحالهم نظرا إلى أمر أبيهم، وإنما سموه تصدقا قصدا إلى استعطافه، **{إن الله يجزى المتصدقين}**: بما هم أهله، بل بما هو تبارك وتعالى أهله، بإختلاف ما ينفقونه، وإثابتهم بما هو خير منه في الآخرة والأولى" [2].

الأمل وعدم القنوط من رحمة الله:

إن المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المُحيِيَة الرَّخِيّة، لا ييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق، وإن المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق الشدة ومخانق الكروب [3]، فإن اليأس إذا استولى على فرد أحاله إلى عضو مشلول في مجتمعه لا يصنع خيرا، ولا يدفع ضرا، وإذا استولى على أمة من الأمم أحالها إلى أمة واهنة خائرة تستسهل الهوان، وتألف الذل، وتستمرئ التقليد، وتكون نهبا لأعدائها، وقصعة مباحة لآكليها.

---

[1] انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (374/5).

[2] التفسير الوسيط للقرآن الكريم (375/5).

[3] في ظلال القرآن، لسيد قطب (2026/4).

ومن هنا فقد حذر الإسلام من اليأس، وجعله على النقيض من الإيمان فلا يلتقيان في القلب، إيمان كامل، ويأس مطبق، ومما يمنع المسلم من اليأس مهما حاصرته الخطوب، وأحدقت به، وبأمته المحن، الأمور التالية:

1-الإيمان القوي بقضاء الله تعالى، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان، وأصول العقيدة.

2-الثقة بوعد الله سبحانه، وبنصره لمن أطاعه، وبدفاعه عن الذين آمنوا، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، ولكنه يبتلي العباد، قال جل وعلا **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الروم: 47]، وقال سبحانه: **{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}** [غافر: 51].

3-الوعيد الشديد على اليأس، لكونه قنوطا من رحمة الله، وسوء ظن بالله جل وعلا، واستبعادا لوعد الله تعالى ونصره، وهذا إنما يتصف به الضالون لا المؤمنون، قال جل ذكره: **{وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}** [الحجر: 56]، وقال سبحانه: **{إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** [يوسف: 87] فإن اليأس من روح الله: إساءة ظن بالله، وجهل بسعة رحمته، وجوده ومغفرته.

4-ثمرة اليأس المرة، ونتائجه الوخيمة على الفرد خاصة، وعلى الأمة عامة، فاليأس بالنسبة للفرد قطع لأسباب الأمل، وإغلاق لأبواب التوبة في وجهه، أما بالنسبة للأمة فهو هدم لعزتها، وقطع لاتصالها بأسباب التقدم والإبداع [(1)].

سادساً: المقاصد والأهداف:

1-وصية يعقوب عليه السلام لبنيه في الآية الكريمة درس من دروس النبوة في شحذ الهمم وتربية العزائم [(2)].

2-ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه، موقناً بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر [(3)], عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله).

3-لا يقنط من فرج الله إلا القوم الكافرون، وهذا دليل على أن الكافر يقنط في حال الشدة، وعلى أن القنوط من الكبائر، أما المؤمن فيرجو دائما فرج الله تعالى [(4)].

---

(1) انظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، لعبد الغني مزهر (ص72).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (374/5).

(3) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن الهيثمي (30/8).

(4) التفسير المنير، للزحيلي (51/13).

4-إذا انقطعت الأسباب الدنيوية، فعلى العبد أن يفوض أمره إلى الله، كما فعل يعقوب عليه السلام، توكل على الله وأخذ بالأسباب، فوجههم إلى تلمس يوسف وأخيه، وألا ييأسوا من رحمة الله في العثور عليهما، فإن رحمة الله واسعة وفرجه دائماً منظور: فالمؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية، فإنهم لا ييأسون من رحمة الله ولو أحاط بهم الكرب [1].

5-"جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: (يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) ولم ينكر عليهم يوسف" [2].

6-"استدل بالآية الكريمة (ولا تيأسوا من روح الله...) جمع من العلماء على أن الياس من رحمة الله كفر، والجمهور على أن اليأس من رحمته تعالى من الكبائر، اللهم إلا إذا اقترن بما يدل على نسبته سبحانه إلى العجز عن تنفيس الكرب أو مغفرة الذنب، وأيا ما كان الأمر فاليأس من رحمة الله من صفات الكفار، ومن أسباب الكفر والعياذ بالله تعالى" [3].

---

[1]التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (553/4).

[2]تفسير السعدي (ص411).

[3]التفسير الوسيط للقرآن الكريم (374/5).

المقطع الثالث

فضيلة التقوى والصبر

قال تعالى: **{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}** [يوسف89-91]

أولاً: المناسبة:

إن إخوة يوسف لما كلموه بهذا الكلام **{مسنا وأهلنا الضر...}**، غلبته نفسه، وأدركته الرقة، ثم باح لهم بالذي كان يكتم، وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف! وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم، وتفريقه من أبيه!، وهذا كما يقال للمذنب: هل تدري من عصيت؟، وهل تعرف من خالفت؟، ولم يرد بهذا نفس الاستفهام، ولكنه أراد تفظيع الأمر، وتعظيمه [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{جَاهِلُون}**: "الجهل: نقيض العلم، تقول: جَهِلَ فلان حقه، وجَهِل علي، وجَهِل بهذا الأمر، والجهالة: أن تفعل فعلاً بغير علم" [(2)]، جاهل: "اسم فاعل من جهِلَ، والجمع: جاهلون" [(3)].

***{مَنَّ}**: "مَنَّ عليه يَمُن مَنّاً أحسن إليه، وأنعم، والاسم المِنة، والجمع مِنَن" [(4)]، "فالمن الإنعام مطلقا، وقيل: هو الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، والمن يحتمل تأويلين: أحدهما: إحسان المحسن غير معتد بالإحسان، يقال: لحقَت فلان من فلان منة إذا لحقَته نعمة باستنقاذ من قتل أو ما أشبهه، والثاني: من فلان على فلان إذا عظم الإحسان وفخر به وأبدأ فيه وأعاد حتى يفسده ويبغضه، فالأول حسن، والثاني قبيح" [(5)].

***{يَتَّقِ}**: اتَّقىط يَتَّقي، أصله اوْتَقى على افتعل، فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت، فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الحرف فجعلوه إتقى يتقى بفتح التاء فيهما، والتقوى والتقى: واحد، والتقى: المتقي، وقد قالوا: ما أتقاه لله، وتَوَقَّى واتَّقى بمعنًى، ووَقَاهُ الله وقاية بالكسر، أي حفظه، والوِقاءُ

---

(1) انظر: تفسير الخازن (553/2)، وتفسير الثعلبي (252/5).

(2) العين، للفراهيدي (390/3).

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر (414/1).

(4) المخصص، لأبي المرسي (424/3).

(5) تاج العروس، للزبيدي (194/36).

والوَقاءُ: ما وَقَيْتُ به شيئا" [1]، "والتقوى: هي اجتناب الأعمال السيئة من شرك وفسق وبدعة" [2]، اتّقِ: "أي استبقي نفسك ولا تعرضها للتلف، وتحرَّز من الآفات واتّقِها" [3].

*{**آثَرَكَ**}: "آثر: اختار وفضل، وقدم" [4]، "آثرتك إيثارًا، أي: فضلتك، وفلان أثير عند فلان، وذو أثره، إذا كان خاصًا به، وهو الذي يؤثره بفضله، وصلته" [5]، "آثرك الله علينا، أي فضلك" [6].

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى: **{قد من الله علينا}** : "جملة مستأنفة، وقيل: هي حال من يوسف وأخيه.

{من يتق} : **{من}** شرط، والفاء في **{فإنه}** جوابه" [7].

رابعاً: القراءات:

{من يتق} : "الجمهور على حذف الياء، ويقرأ بالياء، وفيه ثلاثة أوجه:

الاول: أنه أشبع كسرة القاف، فنشأت الياء.

الثاني: أنه قدر الحركة على الياء، وحذفها بالجزم، وجعل حرف العلة كالصحيح في ذلك. **الثالث:** أنه جعل (من) بمعنى الذي فالفعل على هذا مرفوع" [8].

{أئنك}: "قرأ ابن كثير إنك على لفظ الخبر، وقرأ نافع أينك لأنت يوسف بفتح الألف غير ممدودة وبالياء، وأبو عمرو آينك بمد الألف وهو رواية قالون عن نافع، والباقون أإنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام" [9].

خامساً: البلاغة:

"قوله: **{هل علمتم ما فعلتم بيوسف}**: استفهام يفيد تعظيم الواقعة، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه" [10].

---

[1] انظر: الصحاح، للفارابي (2526/6).

[2] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري (383/1).

[3] الحديث الموضوعي، منهاج جامعة المدينة العالمية لمرحلة الماجستير (ص175).

[4] تاج العروس، للزبيدي (20/10).

[5] التفسير البسيط، للواحدي (236/12).

[6] تهذيب اللغة، للهروي (89/15).

[7] التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (744/2).

[8] المرجع السابق (744/2).

[9] مفاتيح الغيب، للرازي (504/18).

[10] المرجع السابق (504/18).

سادساً: التفسير والبيان:

{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} (هل): استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام، والمعنى: ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمج ما آثرتم من قطيعة الرحم وتضييع الحق [1]، "وهذا الاستفهام يتضمن التذكير بحال يقتضي توبيخهم عليه" [2].

فإن الذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه ؟

الجواب من وجوه: الأول: أنهم فرقوا بينه وبين يوسف، فنغصوا عيشه بذلك، والثاني: أنهم آذوه بعد فقد يوسف، والثالث: أنهم سبوه لما قذف بسرقة الصاع .

"وفي قوله: **{إذ أنتم جاهلون}**: أربعة أقوال: أحدها: إذ أنتم صبيان، والثاني: مذنبون، والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى، والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف" [3].

"**{قالوا أإنك لأنت يوسف}**: استفهام تقرير ولذلك حقق بأن ودخول اللام عليها، قال أنا يوسف وهذا أخي من أبي وأمي ذكره تعريفا لنفسه به، وتفخيما لشأنه، وإدخالاً له في قوله: قد من الله علينا" [4]، "**{من الله علينا}** بالسلامة ثم بالكرامة **{من يتق}** الزنا، **{ويصبر}** على الغربة، أو يتقي الله ويصبر على بلائه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في الدنيا أو الآخرة" [5].

{قالوا تالله لقد آثرك الله}: "لقد فضلك الله علينا، بالعلم والحلم والعقل والفضل والحسن والملك، **{وإن كنا لخاطئين}** لمذنبين، وآثمين في أمرك، والمعنى: وما كنا إلا خاطئين" [6].

معنى التقوى وعلاقتها بالصبر:

إن المراد بالتقوى هي: "أن يتخذ المسلم لنفسه حاجزًا وحاجبًا وحائلًا يحول بينه وبين الوقوع في الفتن، فالتقوى: هي الحجاب الذي يحجب المسلم عن الوقوع فيما حرَّمه الله تعالى، وهي الحاجز الذي يحجز المسلم عن الوقوع في النار، و هي الساتر الذي يكون بين المسلم وبين المعاصي، وبالتالي بينه وبين النار، والذي يتَّقي الله أخذ لنفسه وقاية من الوقوع في المعاصي وفيما يُغضب الله تعالى" [7]، وهي الائتمار بما أمرنا به

[1] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (468/2).

[2] التفسير البسيط، للواحدي (232/12).

[3] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (468/2).

[4] تفسير البيضاوي (175/3).

[5] تفسير العز بن عبد السلام (137/2).

[6] التفسير البسيط، للواحدي (236/12).

[7] الحديث الموضوعي، منهاج جامعة المدينة العالمية لمرحلة الماجستير (ص175).

سبحانه وتعالى والامتناع عما نهى وحظر[1]، "وتكون في السلوك وكذلك في الاعتقاد، فمن حسنت أعماله، وصحت عقيدته فهو المتقي" [2].

أما الصبر: فهو حبس النفس على ما تكره، وله ثلاث مواطن:

أولاً: الصبر على طاعة الله، ورسوله، وأولى الأمر من المؤمنين.

ثانياً: الصبر عن ترك ما حرم الله ورسوله من الأقوال والأفعال والصفات.

ثالثاً: الصبر على البلاء الذي يبتلى به الله تعالى عباده المؤمنين تكفيرا لذنوبهم، أو رفعا لدرجاتهم، والصبر على البلاء معناه الرضا به والتسليم لله تعالى فيا ابتلاه به، وآية ذلك عدم الجزع والسخط، والإكثار من حمد الله تعالى على قضائه، وابتلائه [3].

لذلك فإن طاعة الله ورسوله بما أوجبا من الأوامر، وما حرما من المناهي، يأتي بعد معرفة العبد المؤمن أوامر الله ورسوله ونواهيهما، وهذه المعرفة تتطلب جهدا كبيرا، كما أن النهوض بفعل الأوامر، وهي كثيرة، وشاقة على النفس يتطلب جهدا أكثر من جهد المعرفة، وأما ترك المنهيات، فإنه وإن كان لا جهد فيه ولا مشقة ولا معاناة، إلا أن النفس الأمارة بالسوء تضغط على العبد حتى ترغمه علي فعل المنهي إلا أن يجد العبد من الله عونا، فإنه يسلم من المعاصي، ويحتفظ بطهارة روحه التي هي مفتاح دار سعادته، وهنا يجد المؤمن نفسه في حاجة ماسة إلي عون إلهي كبير حتى يحقق التقوى المتوقفة علي العلم، وكيفية العمل وأدائه علي الوجه المطلوب، المحقق لزكاة النفس وطهارتها، فعلى كل مؤمن أن يستعين بالصبر، وهو حبس النفس على طلب العلم حتى يعلم ما يحب ربه وما يكره وبذلك تتحقق التقوى التي هي سبب السعادة في الدنيا والآخرة [4].

ثمرات التقوى:

1-إن من ثمار الايمان والتقوى نيل رحمة الله، والامن من الخوف يوم القيامة, قال تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}** [يونس:62-64].

2-البشرى بأن يكون الله مع المتقين، يعينهم وينصرهم ويحفظهم ويرزقهم, قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}** [النحل:128].

---

[1] انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (363/9).

[2] في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، لمحمد كفافي، وعبد الله الشريف (ص178).

[3] انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، لأبي بكر الجزائري (ص50).

[4] انظر: المرجع السابق (ص9).

3-تنوير البصيرة بالعلم والحكمة قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [الانفال:29].

4-البشرى بتكفير الذنوب, وحصول عظيم الاجر, قال تعالى: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}** [الطلاق:5] .

5-نيل رحمة الله، والفوز بنوره وتوفيقه، قال تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}** [الأعراف:156]

6-اليسر والسهولة في امور المتقين, فقد بشرهم الله بقوله: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}** [الطلاق:4] .

7-البشرى بالخروج من الغم والمحن, وحصول الرزق الواسع والنعم, قال تعالى: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}** [الطلاق:2-3].

8-أن الله تعالى يتقبل من المتقين أعمالهم, ويصلح أحوالهم, وينجيهم الله من العذاب, قال تعالى: **{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [الزمر:197] [1].

سابعاً: الأهداف والمقاصد:

1-في قوله تعالى: **{إذ أنتم جاهلون}** فيه إشارة على أنهم كانوا صغارا في وقت أخذهم ليوسف، غير أنبياء، لأنه لا يوصف بالجهل إلا من كانت هذه صفته، ويدل على أنه حسنت حالهم الآن، أي فعلتم ذلك إذ أنتم صغار جهال [2].

2-"فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلهما، أحسن العواقب" [3].

3-"إنّ الاعتراف بالخطأ فضيلة كبرى، فإنك عندما تكون مخطئاً وتلاقي صديقك بهذه العبارة: (آسف، لقد أخطأت في حقك)، تجده ولابد يجيبك بقوله: (لا عليك، لم يكن ذلك بشيء)، وهو بلا شك أخف على النفس من توبيخ العتاب، وقد أدرك هذا المعنى أخوة يوسف عليه السلام عندما قابلوه بالذنب الذي لا يغتفر، ألقوه في البئر وهو ذلك الطفلُ الصغير فـ **{قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ}**، ليأتي الجواب سريعاً ومباغتاً وبلا عتاب: **{لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوم}**" [4].

---

[1] انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، لحسين المهدي (187/2).

[2] انظر: تفسير القرطبي (255/9).

[3] تفسير السعدي (ص411).

[4] العتاب بين الأصدقاء، لعلي التميمي (ص172).

المقطع الرابع

الاعتراف بالفضل والعفو عند المقدرة

قال تعالى: **{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** [يوسف:92-98].

أولاً: المناسبة:

إن إخوة يوسف عليه السلام لما اعترفوا بفضله عليهم، وبكونهم خاطئين، قال لهم يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{تَثْرِيب}**: "الثَّرْبُ: شحم رقيق يغشّي الكرش والأمعاء، والجمع ثُرُوب، وقوله عز وجل: لا تثريب عليكم اليوم، أي لا لوم عليكم، والتثريب: الإفساد، والتثريب بالذنب، لا أُثَرِّب عليك" [(2)]، معناه: لا إفساد عليكم، وقيل: لا تعداد للذنوب عليكم ولا توبيخ، ثرّب فلان على فلان: إذا بكّته وعدد عليه ذنوبه [(3)].

***{تُفَنِّدُونِ}**: أصل الفند: الكذب، وأفند: تكلم بالفند، ثم قالوا للشيخ إذا هرم: قد أفند، لأنه يتكلم بالمخرف من الكلام عن سنن الصحة، وأفنده الكبر إذا أوقعه في الفند، والفند ضعف الرأي، أفند كثر كلامه من الخرف، **{لولا أن تفندون}**، التفنيد النسبة إلى الفند وهو إنكار العقل، أي لولا تفيندكم لصدقتموني [(4)]، "والفند: الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض، وقد يستعمل في غير الكبر وأصله في الكبر، **{لولا أن تفندون}**، لولا أن تكذبوني وتعجزوني وتضعفوني، وفند رأيه إذا ضعفه، والتفنيد: اللوم وتضعيف الرأي، المفنَّد: الضعيف الرأي وإن كان قوي الجسم. والمفنَّد: الضعيف الجسم وإن كان رأيه سديدا، والمفند الضعيف الرأي والجسم معا، وفنده: عجزه وأضعفه"[(5)].

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (506/18).

(2) العين، للفراهيدي (222/8).

(3) انظر: تهذيب اللغة، للهروي (59/15).

(4) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين الهندي (178/4).

(5) لسان العرب، لابن منظور (338/3).

*{**الْبَشِير**}: (البِشْر): طلاقة الوجه، والبُشرى بالضم ما يُبَشَّر به الإنسان من خير، وهي البِشارة بالكسر والبُشارة بالضم [1]، "والبَشِير: المبشِّر، والبَشِير: الحسن الوجه الجميل" [2].

ثالثاً: الإعراب:

"{**لا تثريب**} : في خبر {**لا**} وجهان:

الأول: قوله: {**عليكم**}، فعلى هذا ينتصب {**اليوم**} بالخبر، وقيل: ينتصب اليوم بـ {**يغفر**}.

الثاني: الخبر {**اليوم**} ، و{**عليكم**} يتعلق بالظرف أو بالعامل في الظرف، وهو الاستقرار، وقيل: هي للتبيين كاللام في قولهم سقيا لك ; ولا يجوز أن تتعلق {**على**} بتثريب، ولا نصب {**اليوم**} به، لأن اسم لا إذا عمل ينون" [3].

"قوله تعالى: {**بقميصي**} : يجوز أن يكون مفعولا به ; أي احملوا قميصي، ويجوز أن يكون حالا ; أي اذهبوا وقميصي معكم، و{**بصيراً**} حال في الموضعين" [4].

"{**لولا أن تفندون**} : {**أن تفندون**} : في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف، أي: لقلت إنه قريب أو واصل [5].

{**فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً**} لما ظرفية حينية، أو رابطة، وجملة ألقاه: لا محل لها، وبصيراً: حال" [6].

رابعاً: البلاغة:

"الاستعارة: في قوله تعالى: {**قال لا تثريب**}، أي لا تأنيب ولا لوم عليكم، وأصله من الثرب، وهو الشحم الرقيق في الجوف وعلى الكرش، وأستعير للّوم الذي يمزق الأعراض، ويذهب بهاء الوجه، لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال وما لا يرضى، كما أنه باللّوم تظهر العيوب، فالجامع بينهما طريان النقص بعد الكمال" [7].

"{**تالله إنك لفي ضلالك القديم**}: هذا استنكار من القوم الحاضرين مجلس يعقوب الذين أخبرهم بأن يوسف حي، وأكدوا كلامه بمؤكدات ثلاثة: القسم وإن واللام" [8].

---

[1] انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض السبتي (101/1).

[2] انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد اليمني (533/1).

[3] انظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (744/2).

[4] المرجع السابق (744/2).

[5] إعراب القرآن العظيم، لأبي يحيى السنيكي (347/1).

[6] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (55/5).

[7] الجدول في إعراب القرآن الكريم، لمحمود صافي (61/13)

[8] التفسير المنير، للزحيلي (62/13).

خامساً: التفسير والبيان:

"**{قال لا تثريب عليكم اليوم}** لا تأنيب، ولا تعيير عليكم بعد هذا اليوم، ثم جعلهم في حل، وسأل لهم المغفرة، فقال: **{يغفر الله لكم}** الآية ثم سألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه" [1]، "فأعطاهم قميصه، ثم قال: **{اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا}**، أي: يعد مبصرا، وقيل: يأتيني بصيرا، لأنه كان قد دعا له، ولم يعلم أنه يعود بصيرا إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل" [2] ، "قال المحققون: إنما عرف أن إلقاء ذلك القميص على وجهه يوجب قوة البصر، بوحي من الله تعالى، ولولا الوحي لما عرف ذلك، لأن العقل لا يدل عليه، ويمكن أن يقال: لعل يوسف عليه السلام علم أن أباه ما صار أعمى إلا أنه من كثرة البكاء، وضيق القلب، ضعف بصره فإذا ألقي عليه قميصه فلا بد أن ينشرح صدره، وأن يحصل في قلبه الفرح الشديد، وذلك يقوي الروح، ويزيل الضعف عن القوى، فحينئذ يقوى بصره، ويزول عنه ذلك النقصان، فهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب، فإن القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى" [3]، "**{وأتوني بأهلكم أجمعين}** لتتخذوا مِصرَ داراً، **{ولمّا فصلت العير}** أي خرجت من مصر منطلقة إلى الشام، **{قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف}**، فيها قولان: أحدهما: أنها أمارات شاهدة وعلامات قوي ظنه بها , فكانت هي الريح التي وجدها ليوسف، مأخوذ من قولهم تنسمت رائحة كذا وكذا إذا قرب منك ما ظننت أنه سيكون، والقول الثاني: وهو قول الجمهور أنه شم ريح يوسف التي عرفها" [4]،" قال الرازي: "والتحقيق أن يقال: إنه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات، لأن وصول الرائحة من هذه المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة، فيكون معجزة ليعقوب عليه السلام على الأظهر أو الأقرب"[5]، "**{لولا أن تفندون}** تفرس فيهم أنهم يبسطون لسان الملامة فلم ينجع فيهم قوله، فزادوا في الملامة، فقالوا: تالله إنك لفي ضلالك القديم قرنوا كلامهم بالشتم، ولم يحتشموا أباهم، ولم يراعوا حقه في المخاطبة، فوصفوه بالضلال في المحبة" [6]، "فلما أن جاء البشير ألقاه، يعني القميص على وجهه، يعني يعقوب فارتد بصيرا، الارتداد: رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها رجع إليه بصره بعد العمى،

---

[1] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ص559).

[2] تفسير البغوي (512/2).

[3] مفاتيح الغيب، للرازي (507/18).

[4] النكت والعيون، للماوردي (77/3).

[5] مفاتيح الغيب، للرازي (507/18).

[6] لطائف الإشارات، للقشيري (206/2).

وسروره بعد الحزن **{قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا}** سألوه أن يستغفر لهم ما أتوا، لأنه نبي مجاب الدعوة" [1]، "**{قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم}** ونلمح هنا أن في قلب يعقوب شيئا من بنيه، وأنه لم يصفُ لهم بعد، وإن كان يعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح، وحكاية عبارته بكلمة (سوف) لا تخلو من إشارة إلى قلب إنساني مكلوم" [2].

العفو عند المقدرة، والصفح من شيم الكرام:

العفو عند المقدرة من كريم السجايا، وأرفعها تحلى بها يوسف عليه السلام إذ عفا عن إخوته [3]، فكانت عبار عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم، مثلا رائعا في السماحة والعفو والصفح، فهو عفو لا لوم فيه ولا تعيير، وهو صفح في حال المقدرة على العقاب، وهو تنازل عن أي حق دون أي حقد أو كراهية، وأضيف إليه الدعاء بالمغفرة على الذنب والستر، والرحمة في عالم الآخرة بين يدي أرحم الراحمين [4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى) [5]، وقال تعالى: **{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [النور: 22]، فإن العفو والتجاوز لا يقتضي الذلة والضعف، بل إنه قمة الشجاعة والامتنان وغلبة الهوى، فإن الانتصار للنفس قد يكون ظلماً، ولكن العفو هو الكمال والتقوى، كما أن العفو والتجاوز لم يكن مقتصرا على العفو في الظاهر دون الباطن، بل إنه عم الظاهر والباطن معا، فأطلق على الظاهر لفظ العفو، وأطلق على الباطن لفظ الصفح، والعفو والصفح بينهما تقارب في الجملة، إلا أن الصفح أبلغ من العفو؛ لأن الصفح تجاوز عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن، أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم الظاهر دون الباطن، ولذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به في قوله: **{فاصْفَحْ الْصَفْحَ الْجَمِيلَ}** [الحجر:85]، وهو الذي لا عتاب معه [6].

---

[1] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (472/2).

[2] في ظلال القرآن (2028/4).

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (553/4).

[4] التفسير المنير، للزحيلي (60/13).

[5] صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو (2001/4)، حديث رقم (2588).

[6] انظر: رفقاً بالقوارير نصائح للأزواج، لأمة الله بنت عبد المطلب (359).

سادساً: المقاصد والأهداف:

1-"يمتاز الأنبياء عن غيرهم بأن الله تعالى يظهر على أيديهم معجزات خارقة للعادة، خارجة عن المألوف، وهذا هو الذي مكن يعقوب من الإخبار برائحة يوسف وقميصه، قبل وصول أولاده إليه، حاملين البشارة بلقائهم الحار مع أخيهم يوسف عليه السلام، وظهرت معجزة أخرى بشفاء يعقوب عليه السلام بوضع القميص على وجهه، بإرادة الله تعالى وعونه، فهو إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون" (1).

2-"معرفة يوسف عليه السلام أن رائحته سترد عليه بصره، هو مما علمه الله له، وهو دلالة على علم الله وقدرته" (2).

3-"لم يستعجل يعقوب عليه السلام بطلب المغفرة لأولاده والدعاء لهم، وإنما أخر ذلك كما قال ابن عباس إلى السحر، وهذا الموقف من يعقوب يختلف عن موقف يوسف عليهما السلام، لأن دعاء الأول كان مؤجلا، ودعاء الثاني كان في الحال، والسبب أن حال الأب حال المربي، فهو يريد تعظيم الذنب في أنفسهم، ولأن ذنبهم لم يكن موجها إليه مباشرة، وإنما إلى يوسف عليه السلام وأخيه، ولأن خطأهم ذنب كبير حدثت منه أضرار كثيرة، فيحتاج إلى توبة نصوح، وندم شديد، ولا يمحى بمجرد طلب الاستغفار، ثم إن يوسف عليه السلام كان قادرا على عقابهم وهم ضعاف، فأراد المبادرة إلى تأمينهم من خوف الانتقام منهم، وتهدئة نفوسهم، وإظهارا للسرور عقب المفاجأة بأنه أخوهم، وليرى الناس فضل العفو عند المقدرة، ويصبح للناس أسوة حسنة" (3).

4-من آذى مسلما في نفسه أو ماله أو غير ذلك ظالما له، فإنه يجب عليه أن يتحلل منه ويطلب صفحة عنه ومسامحته عليه، ويخبره بالمظلمة وقدرها، والصحيح أنه لا ينفعه التحليل المطلق دون بيان السبب، فإنه لو أخبره بمظلمة لها قدر وبال، ربما لم تطب نفس المظلوم في التحلل منها (4).

روى البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه) (5).

---

(1) التفسير المنير، للزحيلي (60/13).

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (553/4).

(3) التفسير المنير، للزحيلي (67/13).

(4) المرجع السابق (66/13).

(5) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل (129/3)، حديث رقم (2449).

المقطع الخامس

العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية

قال تعالى: **{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}** [يوسف: 99-101].

أولاً: المناسبة:

"بعد أن أرسل يوسف عليه السلام قميصه لأبيه، فارتد بصيراً يأت تأويل رؤياه فتجتمع العائلة كلها في مصر مرة ثانية، وتتحقق رؤياه، وينصره الله، فيخرجه من المحن التي تعرض لها، وهذا ما يتحدث عنه المقطع" (1).

ثانياً: التحليل اللغوي:

*****{الْعَرْش}**: "العَرْشُ: السرير للملك، والعَريش: ما يُسْتَظلُّ به، وعَرْشُ الرجل: قِوامُ أمره، ويقال: العرش: ما عُرِّش من بناء يستظل به، الواحد: عَرْش، وجمعه: عروشٌ، وعُرُشٌ، والعريش: شبهُ الهودجَ، يُتَّخَذُ للمرأة على بعيرها، وعرش البيت سقفه، وعرش البئر: طيُّها بالخشب" (2)، "قال أهل اللغة: العرش السرير الرفيع، والمراد بالعرش هاهنا السرير الذي كان يجلس عليه يوسف" (3).

*****{البدو}**: "البادية، وأصل البدو المبسوط من الأرض، سمي بذلك لأن ما فيه يبدو للناظر لعدم ما يواريه" (4).

*****{نَزَغَ}**: "النون والزاء والغين كلمة تدل على إفساد بين اثنين" (5)، "النزغ، أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد ذات بينهم، ونزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي" (6).

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (554/4).

(2) العين، للفراهيدي (249/1).

(3) مفاتيح الغيب، للرازي (510/18).

(4) التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (385/5).

(5) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (416/5).

(6) تهذيب اللغة، للهروي (78/8).

*{**فَاطِر**}: "الفَطْر: مصدر، فَطَرَ الله عز وجل الخلق يفطُرُه ويفطِرُه فطراً، إذا أنشأه" [(1)]، "وفطر الله الخلق، أي: خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض" [(2)]، "والفَطْرُ: الابتداء والاختراع" [(3)] ، "قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: (كنت لا أدري ما فاطِرُ السموات حتَّى أتاني أعرابيَّانِ يختصِمان في بئر فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها أي أنا ابتدأتها)" [(4)].

ثالثاً: الإعراب:

"**{ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين}**: إن شرطية، وشاء فعل الشرط، والجواب محذوف لدلالة الكلام عليه" [(5)].

"**{رب قد آتيتني من الملك}**: في موضع نصب لأنه نداء مضاف، والتقدير يا رب، **{فاطر السماوات والأرض}**: فيه قولان:

الأول: نعت منصوب، **الثاني**: نداء ثانيا" [(6)].

رابعاً: البلاغة:

"في قوله تعالى: **{وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين}**: مجاز مرسل، فمن المعلوم أنهم لا يستوعبون البلد كلها، وإنما يدخلون جزءاً منها، فعبر بالكل وأراد الجزء، فعلاقة هذا المجاز الكلية" [(7)]، "وفي قوله تعالى: **{ورفع أبويه على العرش}**: مبالغة في تعظيمهما" [(8)].

خامساً: التفسير الإجمالي:

اللقاء الرابع بين يوسف عليه السلام وإخوته:

"فلما دخلوا على يوسف، آوى إليه: يعني ضم إليه أبويه، قال أكثر المفسرين: هو أبوه يعقوب، وخالته ليا، وكانت أمه قد ماتت" [(9)]، **{وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين}**، قيل: هذا من كلام يعقوب، حيث قال: سوف استغفر لكم إن شاء الله، وقيل: هذا من كلام يوسف، حيث

---

(1) جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي (755/2).

(2) العين، للفراهيدي (418/7).

(3) الصحاح، لأبي نصر الفارابي (781/2).

(4) أخرجه أبو عبيد القاسم ابن سلام في غريب الحديث، غريب الحديث للقاسم بن سلام (4/ 373)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان، شعب الإيمان، للبيهقي (3/ 212)، قال أبو عبيد: حدثنيه يحيى عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس: الحديث...

قال المناوي عن الحديث "بِإِسْنَاد حسن"، الفتح السماوي، للمناوي (2/ 602)

(5) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (56/5).

(6) إعراب القرآن، للنحاس (215/2).

(7) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (70/13)

(8) مفاتيح الغيب، للرازي (511/18).

(9) تفسير الخازن (556/2).

قال لهم حين دخلوا مصر: انزلوا بأرض مصر، ويقال: إنما قال لهم قبل أن يدخلوها ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من الجوع، ويقال: من الخوف، لأنها أرض الجبابرة [(1)].

"**{ورفع أبويه على العرش}**: وخص أبويه بمزيد من التجلة والإكرام، فأجلسهما على له سريره الذي يجلس عليه لتدبير الملك إذ هو الملك صاحب السلطان في الحقيقة، **{وخروا له سجدا}**: أي وخر أبوا يوسف وإخوته له خاضعين، وصورة الخضوع لم يأتنا بها نص شرعي، فتحمل على ما كان معروفا يومئذ في تعظيم الملوك والله تعالى أعلم، أما القول بأن سجودهم هذا كان لله، وإليه سبحانه يعود الضمير في قوله: **{وخروا له سجدا}** فينافيه ما جاء في أول السورة: **{والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين}**، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة، وعلى أثر سجودهم هذا ذكر يوسف أباه برؤياه في صباه، **{وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل}**: أي أن هذا السجود منكما ومن إخوتى هو المآل الذي آلت إليه رؤياي التي رأيتها في صغرى، إذ رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين" [(2)].

"كيف ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام نعمة الله تعالى عليه في إخراجه من السجن فقال: **{وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن}** ولم يذكر نعمته عليه في إخراجه من الجب وهو أعظم نعمة، ووقوعه في الجب كان أعظم خطراً؟

والجواب على ذلك عدة وجوه:

أولاً: أن منحة السجن ومصيبته كانت أعظم لطول مدتها، فإنه لبث فيه بضع سنين.

وما لبث في الجب إلا مدة يسيرة

ثانياً: أنه إنما لم يذكر الجب كيلا يكون في ذكره توبيخ وتقريع لأخوته بعد قوله لهم: **{لا تثريب عليكم}**.

ثالثاً: أن إخراجه من السجن كان مقدمة لملكه وعزه، فلذلك ذكره، وخروجه من الجب كان مقدمة الذل والرق والأسر فلذلك لم يذكره.

رابعاً: أن مصيبة السجن كانت أعظم عنده لمصاحبته الأوباش والأرذال وأعداء الدين، بخلاف مصيبة الجب فإنه كان مؤنسه فيه جبريل وغيره من الملآئكة عليهم الصلاة والسلام"واصل [(3)].

"**{من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي}** أي: أفسد بيننا، نزغ بينهم: أي أفسد وهيج، **{إن ربي لطيف لما يشاء}**، أي: عالم بدقائق الأمور" [(4)]، "والمعنى أن حصول الاجتماع بين يوسف

[(1)] انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (210/2).

[(2)] التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (356/5).

[(3)] أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، لزين الدين الحنفي (ص225).

[(4)] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (474/2).

وبين أبيه وإخوته، مع الألفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال، كان في غاية البعد عن العقول، إلا أنه تعالى لطيف، فإذا أراد حصول شيء سهل أسبابه فحصل وإن كان في غاية البعد عن الحصول، ثم قال: **{إنه هو العليم الحكيم}** كونه لطيفا في أفعاله، إنما كان لأجل أنه عليم بجميع الاعتبارات الممكنة التي لا نهاية لها، فيكون عالما بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب، وحكيم أي محكِماً في فعله، حاكماً في قضائه، حكيماً في أفعاله مبرءاً عن العبث والباطل، والله أعلم [1].

{رب قد آتيتني من الملك} بعض الملك وهو ملك مصر، وعلمتني من تأويل الأحاديث، الكتب أو الرؤيا، ومن أيضا للتبعيض لأنه لم يؤت كل التأويل، **{فاطر السماوات والأرض}** مبدعهما **{أنت وليي}** ناصري ومتولي أمري، في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما، توفني مسلما اقبضني، وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة [2].

العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية:

الإنسان ينتقل من نقص إلى كمال، فلا ينظر إلى نقص البداية، ولكن ينظر إلى كمال النهاية، فمن تاب إلى الله تعالى، وأناب إليه صار بعد التوبة أعلى درجة مما كان قبلها، بل هذا مفضل عظيم مكرم، فإن أولياء الله يكون الرجل منهم قد أسلم بعد كفره، وآمن بعد نفاقه وأطاع بعد معصيته [3]، وأولاد يعقوب عليهم السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والاعتراف التام، والعفو التام عنهم من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سامح العبد بحق فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين الغافرين، ولهذا في أصح الأقوال إن الله جعلهم أنبياء لمحو ما سبق منهم، وكأنه ما كان، ولقوله: **{وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ}** [البقرة: 136]، والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يؤيد هذا أن في رؤيا يوسف أنهم هم الكواكب التي فيها النور والهداية، وهي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء عباد [4].

وفي دعاء يوسف عليه السلام بحسن الخاتمة، دليلٌ على أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، فإن نهاية الإنسان إما إلى جنة، وإما إلى نار والعياذ بالله، فقد طلب عليه السلام من الله سبحانه وتعالى الوفاة على الإيمان، وهكذا المؤمن يدعو الله سبحانه بالثبات على الإيمان،

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (514/18).

(2) تفسير البيضاوي (177/3).

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية (430/2).

(4) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي (ص276).

ويبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه عليه، وأن يلحقه بالصالحين بين يديه، وأن يتملق إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، وأن يسأل الله دائماً حسن الخاتمة وتمام النعمة [1]، وفي الحديث الشريف: أن عبد الله بن عمرو بن العاص، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلبٍ واحد، يصرفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) [2].

علم تأويل الرؤي:

أولاً: تعريفه: علم يتعرف منه المناسبة، بين التخيلات النفسانية، والأمور الغيبية، لينتقل من الأولى إلى الثانية، وليستدل على الأحوال النفسانية في الخارج، أو على الأحوال الخارجية في الآفاق، ومنفعته: البشري، أو الإنذار، لما يرونه [3].

ثانياً: الفرق بين الرؤيا والحلم:

الرؤيا والحُلْم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحُلْم على ما يراه من الشر والقبيح، ومنه "أضغاث أحلام" ويستعمل كل منهما موضع الآخر، والرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، وهي من المبشرات التي يبشر بها المؤمن في حياته، وهي جزءٌ من أجزاء النبوة [4]، ففي الحديث الشريف، عن أبي سعيد الخدري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) [5].

ثالثاً: أقسام الرؤى:

تقسم الرؤيا إلى ثلاث: **الأولى:** رؤيا حق وهي الرؤيا الصالحة التي هي بشرى من الله لمن رآها أو رؤيت له، **والثانية:** رؤيا مما يحدث به الرجل نفسه، **والثالثة:** رؤيا أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم [6].

إن علم تأويل الرؤيا ليس من باب الاطلاع على الغيب؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله بنص القرآن الكريم، حيث قال تعالى : **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى**

---

[1]انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (4/ 557).

[2]صحيح مسلم، ك (القدر)، ب (تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء)، حديث رقم (2654)، (2045/4).

[3]كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (416/1).

[4]انظر: كتاب الرؤيا، لحمود التويجري (ص7،22).

[5]صحيح البخاري، ك (القدر)، ب (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)، رقم (6989)، (31/9).

[6]انظر: كتاب الرؤيا، لحمود التويجري (ص7،22).

مِنْ رَسُولٍ} [الجن: 26، 27]، والغيب: هو الأمر الذي يقطع به الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أوحى، أما العالِم ذو الفراسة، أو مفسر المنام فهذا لم يطلع على الغيب فقد يصيب وقد يخطئ [1]، وكان ابن سيرين يسئل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشيء إلا أنه يقول: "اتق الله وأحسن في اليقظة فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم"، وكان يجيب في خلال ذلك، ويقول: "إنما أجيب بالظن، والظن يخطئ ويصيب"، فالفراسة تتعلق بالأشياء المرئية، وتتعلق بالأشياء غير المرئية، وهذا علمٌ موهوب، وليس علماً يلتمس في صحائف الكتب [2].

إن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقا للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه فسجود الكواكب والشمس والقمر، تعبير عن تعظيم الأكابر من الناس له ولا شك أن ذهاب يعقوب مع أولاده من كنعان إلى مصر لأجله في نهاية التعظيم له، فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا فأما أن يكون التعبير مساويا لأصل الرؤيا في الصفة والصورة فلم يوجبه أحد من العقلاء[3].

سادساً: ما ترشد إليه الآيات:

1-"إن العاطفة بين الولد وأبويه طبيعية فطرية، لذا كان إكرام يوسف عليه السلام لأبويه أشد من إكرام إخوته، فعانقهما وضمهما إليه، وأجلسهما على سرير الملك معه، واكتفى بأن قال لجميع الأسرة: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" [4].

2-"أن العدل مطلوب في جميع الأمور الصغار والكبار في معاملة السلطان لرعيته، ومعاملة الوالدين للأولاد، والقيام بحقوق الزوجات، وغير ذلك في المحبة والإيثار ونحوها، وأن القيام بالعدل في ذلك تستقيم الأمور صغارها وكبارها به، ويحصل للعبد ما أحب، وفي الإخلال بذلك تفسد الأحوال، ويحصل للعبد المكروه من حيث لا يشعر؛ لهذا لما قدم يعقوب يوسف في المحبة، وجعل وجهه له جرى منهم على أبيهم وأخيهم من المكروه ما جرى" [5].

3-"أجمع المفسرون على أن سجود أسرة يوسف عليه السلام له كان سجود تحية، وانحناء على عادتهم المألوفة في التحية، لا سجود عبادة ولا على الأرض، وقد نسخ الله تعالى ذلك كله في شرعنا" [6].

---

[1]موسوعة الالباني في العقيدة، لشادي آل نعمان (888/3).

[2]انظر: كتاب الرؤيا، لحمود التويجري (ص169).

[3]مفاتيح الغيب، للرازي (509/18).

[4]التفسير المنير، للزحيلي (71/13).

[5]تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي (ص275).

[6]التفسير المنير، للزحيلي (72/13).

4-بالشكر تدوم النعم، فيوسف عليه السلام ذكر نعمة الله عليه دوماً، وعدم الشكر يمحق البركة، ويزيل النعم [1].

5-عدد يوسف عليه السلام بعض النعم عليه وعلى آله، منها الخروج من السجن، ومجيء أهله من البادية في أرض كنعان، واللطف أو الرفق الإلهي بالعباد حيث جمع الأسرة هذا الجمع الكريم الحافل السار، بعد إيقاع الشيطان الحسد بينه وبين إخوته، وتم ذلك كله بفعل الله تعالى وفضله، ومن أدبه عليه السلام أنه نسب النزغ إلى الشيطان، ولم يعير إخوته، ولم ينسب السوء إليهم، ونسب الفضل إلى الله عز وجل [2].

6-أنه ينبغي للعبد أن يلح دائما على ربه في تثبيت إيمانه، وأن يحسن له الخاتمة، وأن يجعل خير أيامه آخرها، وخير أعماله خواتمها، فإن الله كريم جواد رحيم [3].

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (557/4).

[2] التفسير المنير، للزحيلي (73/13).

[3] تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي (ص275).

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (102-111)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: من دلائل صدق الوحي والنبوة.

المقطع الثاني: دعوة الإنسان إلى التفكر والتأمل في ملكوت السموات والأرض.

المقطع الثالث: الدعوة إلى الله على بصيرة.

المقطع الرابع: تحقيق النصر عند اشتداد الكرب.

المقطع الخامس: وجوه الاعتبار بقصة يوسف عليه السلام.

المقطع الأول

من دلائل صدق الوحي والنبوة

قال تعالى: **{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}** [يوسف:102-104].

أولاً: سبب النزول:

قال ابن الأنباري [(1)]: إن قريشا واليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحا شافيا وهو يؤمل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم، فخالفوا ظنه، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعزاه الله تعالى بهذه الآية [(2)].

ثانياً: المناسبة:

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أخبار يوسف عليه السلام، ولا غيره من الأنبياء السابقين إلا بوحي من الله تعالى، ولهذا عقب ما سبق من قصة يوسف بقوله: **{ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك}**، أي هذا القصص تناول أحداثا تاريخية تفصلك عنها آلاف السنين، فهو من أخبار الغيب، أوحيناها إليك ليعلم قومك ويعلم أهل الكتاب أنك صادق فيما ترويه عن الله وكلهم يعلمون أنك أمي لا تقرأ الكتاب مطلقا [(3)]، ولما ختمت القصة كان من المناسب أن يتم استخلاص العبر والمواعظ فجاءت التعقيبات المناسبة في هذه الآيات [(4)].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

*** {يَمْكُرُون}**: المكر: احتيال بغير ما يضمر[(5)]، والمكر: الخديعة، ومكر القوم يمكرون: إذا احتكروا [(6)]،يمكرون: يتآمرون ويحتالون [(7)].

---

(1)هو محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الانباري البندار، ولد سنة 267، وتوفي سنة 360 هـ، سمع من أحمد ابن الخليل البرجلاني، ومحمد بن أحمد بن أبي العوام الرياحي، وجعفر بن محمد الصائغ، وغيرهم، وتفرد بالرواية عن جماعة، وكان سماعه صحيحاً وله اصولٌ حسنة. تاريخ أربل، لابن المستوفي (2/ 459)

(2)انظر: تفسير الخازن (559/2)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (4 / 293)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (5 / 350)

(3)التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (389/5).

(4)التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (558/4).

(5)العين، للفراهيدي (370/5).

(6)المُنَجَّد في اللغة، لأبي الحسن الأزدي (333/1).

(7)التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (389/5).

*{**حَرَصْتَ**}: حرَصَ يَحرِص حِرْصاً، فهو حَريص عليك: أي على نفعك، وقَومٌ حُرَصاءُ وحِراصٌ [1]، والحرص: شدة الإرادة، وهو الطلب بالنية والجوارح بتعب وحيلة، وحَرَصَ: رَغِبَ رغبه مذمومةً [2].

رابعاً: الإعراب:

{**ذلك**}: اسم اشارة في محل رفع مبتدأ، و{**من أنباء الغيب**}: خبره، وجملة {**نوحيه إليك**}: حال، ويجوز أن تكون في محل رفع خبراً ثانياً [3]، {**وما أكثر الناس**} اسم {**ما**}، {**بمؤمنين**}: خبر ما [4].

خامساً: البلاغة:

في قوله {**وما كنت لديهم**} الآية فن يسمى في علم البيان بالاحتجاج النظري، وبعضهم يسميه المذهب الكلامي، وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج، وفيه تهكم مرير بهم لأنه قد علم كل أحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم فإذا أخبر به، وقصه هذا القصص البديع، لم تقع شبهة في أنه ليس منه [5].

{**ولو حرصت**} اعتراضية بين اسم ما الحجازية وخبرها، للدلالة على أن الهداية بيد الله وحده.

{**وما تسئلهم عليه من أجر**} على حذف مضاف، أي وما تسألهم على تبليغ القرآن الكريم من أجر [6].

سادساً: التفسير الإجمالي:

من دلائل صدق الوحي والنبوة:

قوله تعالى عند انتهاء قصة يوسف {**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون**} تعليق على هذه القصة وما شابهها من قصص الأنبياء، بأن العلم بها والإطلاع على دقائقها، دليل جديد يضاف إلى دلائل النبوة، فهي من قبيل العلم بالمجهول، الذي كان مغيبا عن الرسول، إذ الرسول عليه السلام لم يعاصر يوسف ولا إخوته، ولم يشاهد الظروف التي لابست قصته، ومع ذلك فإن الوحي يأتيه بلبها، ويكشف له عن سرها، لما فيها من حكم وعبر، يتعظ بها من تقدم ومن تأخر [7]، كان صلى الله عليه وسلم شديد

---

[1] العين، للفراهيدي (116/3).

[2] انظر: تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، لشهاب الدين المالكي (ص74).

[3] إعراب القرآن، وبيانه، لمحيي الدين درويش (60/5).

[4] إعراب القرآن، للنحاس (215/3).

[5] إعراب القرآن، وبيانه، لمحيي الدين درويش (62/5).

[6] التفسير المنير، للزحيلي (77/13).

[7] التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد الناصري (311/3).

الحرص على إيمان قومه، وكان يرجو هدايتهم بعد سماعهم قصة يوسف الموافقة لما في التوراة، فلما لم يؤمنوا نزلت هذه الآية يواسى بها الله رسوله ويسرى عنه ما يقاسيه من أحزان لانصراف معظم أهل مكة عن دعوة الحق التي جاءهم بها، وإمعانهم في المكابرة والضلال مع ظهور آياتها وبراهينها، فيقرر له سبحانه أن هذه الظاهرة هي طبيعة معظم الناس لا أهل مكة وحدهم، فكأنه تعالى يقول لرسوله: وما أكثر أهل الأرض بمؤمن ولو حرصت على إيمانهم، وبالغت في إقامة الحجج والبراهين لهم، فإن عقولهم تتحكم فيها أهواؤهم وتقليدهم لآبائهم [1]، وقوله: **{إن هو إلا ذكر للعالمين}** أي: هو تذكرة لهم في دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والقصص والتكاليف والعبادات، ومعناه: أن هذا القرآن يشتمل على هذه المنافع العظيمة، ثم لا تطلب منهم مالاً ولا جعلاً، فلو كانوا عقلاء لقبلوا ولم يتمردوا [2].

سابعاً: ما ترشد إليه الآيات:

1-"في هذه الآيات الكريمة دليل لا يقبل الريب على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان أمياً لم يقرأ الكتب، ولم يلقَ العلماء، ولم يسافر الى غير بلده الذي نشأ فيه ومع ذلك أتى بهذه القصة الطويلة مستجمعةً شرائط القصة، وخصائصها التي ابتدعت ذكرها العصور الحديثة" [3].

2-"على الداعي أن يحرص على هداية الناس، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمان قومه، وإن كان حرصه على إيمانهم لن يسوق الكثير من المشركين إلى الإيمان" [4].

3-"لا يجوز أخذ الأجر على الطاعات والعبادات؛ حيث نهى وأخبر أنه لا يسألهم على ما يبلغ إليهم أجرًا، وهو لم يتولَّ تبليغ جميع ما أمر بتبليغه بنفسه إلى الخلق كافة، بقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سبأ:28] ، ولكنه ولى بعضه غيره؛ كقوله: " ألا فليبلغ الشاهد الغائب "، فإذا لم يجز له أخذ الأجر فيما يبلغ هو؛ فالذي كان مأمورًا أن يبلغ عنه أيضا لا يجوز أن يأخذ الأجر على ما يبلغ" [5]، "فلا يجوز للدعاة أن يسألوا الناس شيئاً من أموالهم، فهذا يبعد الناس عن الاستجابة للحق، وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكرٌ للعالمين، وهذا هو منهج رسل الله جميعاً" [6].

---

[1] التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (390/5).

[2] مفاتيح الغيب، للرازي (519/18).

[3] إعراب القرآن، وبيانه، لمحيي الدين درويش (60/5).

[4] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (561/4).

[5] تأويلات أهل السنة ، للماتريدي (294/6).

[6] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (561/4).

المقطع الثاني

دعوة الإنسان إلى التفكر والتأمل في ملكوت السموات والأرض

قال تعالى: **{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}** [يوسف:105-107].

أولاً: سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:(كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلكم، قد قد" فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) [1]، "ولم تذكر هذه الأحاديث أن الآيات نزلت في ذلك، فهي حكاية عن حالهم في الجاهلية وتلبيتهم هذه" [2].

ثانياً: المناسبة:

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن حال العرب أن أكثرهم لا يؤمنون، تتحدث هذه الآيات أيضاً عنهم، فهم مقرون أن الله خالقهم، وهم مع ذلك يجعلون له شريكاً [3]، ثم ندد الله تعالى بموقف المشركين من الإيمان بالله تعالى، فذكر أن هناك كثيرا من الآيات الدالة على وجود الصانع ووحدانيته، ولكن لا يلتفت إليها أولئك المشركون، وإنما يعرضون عنها [4].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

***{غَاشِيَةٌ}**: غشيه يغشاه غشياناً إذا جاءه، وغشاه تغشيةً إذا غطاه، وغشي الشيء إذا لابسه، وغشي المرأة: جامعها، وغُشِي عليه فهو مغشيٌّ عليه إذا أغمي عليه، و"غشيتهم" الرحمة وغشيها ألوان، أي تعلوها، الغاشية: هي الداهية من خير أو شر أو مكروه [5].

***{بَغْتَةً}**: بغت: البَغْت: البغتة، قال: وأفظع شيء حين يفجؤك البغت، وباغته مباغتة: أي فاجأه بغتة [6].

---

[1] صحيح مسلم، ك (الحج)، ب (التلبية، وصفتها، ووقتها)، رقم (1185)، (643/2).

[2] تفسير البغوي (283/4).

[3] انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (213/2).

[4] التفسير المنير، للزحيلي (79/13).

[5] مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين الكجراتي (41/4).

[6] العين، للفراهيدي (397/4).

رابعاً: الإعراب:

{والأرضِ يمرون} : الجمهور على الجر عطفا على السماوات، والضمير في **{عليها}** للآية، وقيل: للأرض ; فيكون **{يمرون}** حالا منها ; وقيل: منها ومن السماوات.

{بغتة} : مصدر في موضع الحال [1].

خامساً: القراءات:

(**في السموات والأرض**) الجمهور على جر **{الأرضِ}** عطفا على السماوات ويقرأ و **{الأرضَ}** بالنصب ; أي ويسلكون الأرض، ويقرأ بالرفع على الابتداء [2].

سادساً: البلاغة:

{أفأمنوا أن تأتيهم غاشية} الهمزة للاستفهام الانكاري، وفيه معنى التوبيخ والتهديد[3].

{معرضون} و**{مشركون}** بينهما سجع: وهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير [4].

سابعاً: التفسير الإجمالي:

الدعوة إلى التفكر في مخلوقات الله:

السبب في أن أكثر الناس لا يؤمنون، أنهم في غفلة عن التفكر في الدلائل الدالة على وجود الصانع، وتوحيده، فقال: وكأين من آية.. أي وكم من آية دالة على توحيد الله، وكمال علمه، وقدرته في السموات والأرض، من كواكب ثابتة، وسيارة، وجبال، وبحار، ونبات وشجر، وحيوان، وحي، وميت، وثمار متشابهة، ومختلفة في الطعوم، والروائح والألوان والصفات، يمر على تلك الآيات، ويشاهدها أكثرهم، وهم غافلون عنها، لا يتفكرون بما فيها من عبر وعظات، وكلها تشهد على وجود الله تعالى ووحدانيته.

وأما علماء الفضاء والفلك فدأبهم الرصد المادي كرصد الحركة أو الثبات، واستنباط القوانين العلمية، لكنهم لا يفكرون غالبا في الخالق الموجد، وفي عظمة المدبر والمقدر.

وما يؤمن أكثرهم بالله.. أي وما يكاد يقر أكثر المشركين بوجود الله، كما قال تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}** [لقمان:25] إلا وتراهم يقعون في الشرك، لإشراكهم مع الله الأصنام والأوثان في العبادة [5].

---

(1) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (747/2).

(2) المرجع السابق.

(3) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (61/5).

(4) التفسير المنير، للزحيلي (78/13).

(5) المرجع السابق (83/13).

ثم هدد الله تعالى المشركين بالعقاب فقال: أفأمنوا أن تأتيهم أي أفأمن هؤلاء المشركون بالله أن تأتيهم عقوبة تغشاهم وتشملهم، أو يأتيهم يوم القيامة فجأة، وهم لا يحسون ولا هم يشعرون بذلك [1].

ثامناً: ما ترشد إليه الآيات:

1-في هذه الآيات: إشارة إلى ما عليه عمي البصائر والأبصار من الغفلة عن ملكوت الله، والذهول عن آياته الباهرة، رغما عن كونها معروضة على أقوى وجه وأحسنه في كتاب الكون الفسيح، وهي بمرأى ومسمع من جميع الناس، في جميع الأزمان، وفي كل مكان [2]، فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن العالم مملوء من دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ثم إنهم يمرون عليها ولا يلتفتون إليها [3].

2-ما أكثر الآيات، أي الدلائل الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته، وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته، في السموات والأرضين من نجوم وكواكب وبحار وأنهار وجبال ونباتات وأشجار، وصحار شاسعات، وأحياء وأموات، وحيوان وثمرات مختلفة الطعوم والروائح والألوان والصفات. وهذه كلها أدلة محسوسة [4].

3-يوم القيامة لا يعلم موعده أحدٌ إلا الله عز وجل، قد يغشاهم اللحظة في غاشية تلفهم وتشملهم، ولذلك يجب على العبد أن يستعد لهذا اليوم ويعمل صالحاً [5].

4-إيمان المشركين مزيف باطل، فهم يقرون بوجود الله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان [6].

---

[1] التفسير المنير، للزحيلي (83/13).

[2] انظر: التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد الناصري (311/3).

[3] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (519/18).

[4] التفسير المنير، للزحيلي (84/13).

[5] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (561/4).

[6] التفسير المنير، للزحيلي (84/13).

المقطع الثالث

الدعوة إلى الله على بصيرة

قال تعالى: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [يوسف108-109].

أولاً: المناسبة:

بعد أن ندد الله تعالى بموقف المشركين من الإيمان ذكر أن هناك كثيرا من الآيات الدالة على وجود الصانع، ووحدانيته، ولكن لا يلتفت إليها أولئك المشركون، وإنما يعرضون عنها، وحسم الحق تعالى الموقف، فأبان أن سبيل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم هو الدعوة إلى التوحيد، ورفض الشرك بمختلف أشكاله وأنواعه(1).

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{سَبِيلِي}**: "السبيل: الطريق وما وضح منه، يذكر، ويؤنث، وسبيل الله: طريق الهدى الذي دعا إليه" (2)، سبيلي: طريقي وطريقتي (3).

***{بَصِيرَةٍ}**: البصر: العين، مذكر، والبصر: نفاذ في القلب، والبصارة مصدر البصير، وقد بَصُر، وأبصرت الشيء وتبصّرت به، وتبصّرته: شبه رمقته، واستبصر في أمره ودينه اذا كان ذا بصيرة، والبصيرة: اسم لما اعتقد في القلب من الدين وحقيق الأمر (4)، "على بصيرة: على يقين ناشئ من وحي الله وآياته وحججه" (5).

ثالثاً: الإعراب:

(قل هذه سبيلي): "ابتداء وخبر، **(أنا)** توكيد" (6)، **(من أهل القرى)** : "صفة لرجال، أو حال من المجرور"(7)، **(ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون)** "الواو حالية، واللام لام الابتداء، ودار مبتدأ، والآخرة مضاف إليه، من إضافة الشيء الى نفسه، لأن المراد بالدار الجنة، وهي نفس

(1)التفسير المنير، للزحيلي (78/13).

(2)لسان العرب، لابن منظور (316/11).

(3)التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (393/5).

(4)العين، للفراهيدي (117/7).

(5)التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (393/5).

(6)إعراب القرآن، للنحاس (216/2).

(7)التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (747/2).

الآخرة، واختار الزمخشري والبيضاوي ان يكون التقدير: ولدار الساعة الآخرة، أو الحال الآخرة، فليس في الكلام على ذلك اضافة الشيء الى نفسه" [1].

رابعاً: القراءات:

{نوحي}: "قرأها حفص بالنون، والباقون بالياء".

{أفلا تعقلون}: "قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو، ورواية حفص عن عاصم: تعقلون بالتاء على الخطاب، والباقون: بالياء على الغائب" [2].

توجيه القراءات:

"على القول الأول بالتاء تكون بمعنى الخطاب.

على القول الثاني بالياء على الغائب" [3].

خامساً: البلاغة:

{أفلم يسيروا في الأرض}: استفهام إنكاري، والجملة اعتراض بالوعيد والتهديد.

{ولدار الآخرة}: اعتراض بالتبشير وحسن العاقبة للرسل عليهم السلام، ومن آمن بهم وهم الذين اتقوا، وهو تعريض بسلامة عاقبة المتقين في الدنيا، وتعريض أيضا بأن دار الآخرة أشد أيضا على الذين من قبلهم من العاقبة التي كانت في الدنيا، فحصل إيجاز بحذف جملتين [4].

سادساً: التفسير الإجمالي:

{قل هذه سبيلي}: "قل يا محمد لهؤلاء المعاندين المكابرين هذه هي طريقتي ومنهجي أدعو إلى عبادة الله وحده على يقين ثابت، ناشئ عن وحى الله تعالى، وقائم على الحجة البينة والبرهان الواضح أدعو إلى الله كذلك أنا، ومن اتبعني من المؤمنين" [5]، **{سبحان الله}**: "تنزيها لما قالوا؛ وتبرئة عما قالوا في الله بما لا يليق به، **{وما أنا من المشركين}**: في ألوهيته وربوبية غيره؛ أو في عبادته" [6].

{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً}: "هذا رد لإنكارهم نبوته، يقول: لم نبعث قبلك إلا رجالاً فكيف تعجبوا من إرسالنا إياك، ومن قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك" [7]، **{أفلم يسيروا}**: أهل مكة في الأرض فينظروا، أي فيتفكروا **{كيف كان عاقبة}** كيف صار آخر أمر الذين من قبلهم،

---

[1] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (69/5).

[2] مفاتيح الغيب، للرازي (521/18).

[3] المرجع السابق (521/18).

[4] انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (68/13).

[5] التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (393/5).

[6] تفسير الماتريدي (297/6).

[7] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (637/2).

من الكفار **{ولدار الآخرة}** الجنة، خير للذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش، وآمنوا بالله وبمحمد عليه الصلاة والسلام، والقرآن **{أفلا تعقلون}:** أفليس لكم ذهن الإنسانية أن الآخرة خير من الدنيا، ويقال: إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، ويقال: أفلا تصدقون بما أصاب الأولين حيث كذبوا الرسل [(1)].

الدعوة إلى الله على بصيرة:

الدعوة إلى الله على بصيرة من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، ومن أخلاق أهل العلم جميعا، لأن أهل العلم من أخلاقهم الدعوة إلى الله على بصيرة، مع العمل، وبيان الحق بأدلته الشرعية قولا وعملا وعقيدة، فهم دعاة الخلق وهداتهم على ضوء كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، بل يبلغون الناس دين الله، ويرشدونهم إلى الحق الذي بعث الله به نبيه عليه الصلاة والسلام، ويصبرون على الأذى في جميع الأحوال، وبهذا يعلم أن من دعا على جهالة فليس على خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وليس على خلق أهل العلم بل هو مجرم؛ لأن الله سبحانه جعل القول عليه بغير علم فوق مرتبة الشرك، لما يترتب عليها من الفساد العظيم، قال تعالى في كتابه المبين: **{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [الأعراف: 33]، فجعل سبحانه القول عليه بغير علم في القمة من مراتب المحرمات؛ لأن هذه الآية فيها الترقي من الأدنى إلى ما هو أشد منه فانتهى إلى الشرك، ثم القول على الله بغير علم، وبهذا يعلم خطر القول على الله بغير علم، وأنه من المنكرات العظيمة والكبائر الخطيرة لما فيه من العواقب السيئة وإضلال الناس [(2)].

سادساً: ما ترشد إليه الآيات:

1-"طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته ومنهاجه، ومنهاج أتباعه المؤمنين به الدعوة إلى ما يؤدي إلى الجنة، على يقين وحق، وشعار المؤمن دائما: سبحان الله وما أنا من المشركين، أي أنزه الله عن أي شريك، ولست من الذين يتخذون من دون الله أندادا أي نظراء لله، وسمي الدين سبيلا، لأنه الطريق الذي يؤدي إلى الثواب" [(3)].

2-"إن القادرين على الدعوة إلى الله تعالى من علماء المسلمين ينبغي أن يتحملوا نصيبهم فيها، ويقوموا بها خير قيام، كما قام أسلافهم من قبل" [(4)].

[(1)] تفسير ابن عباس، تنوير المقباس، للفيروزأبادي (ص204).

[(2)] انظر: مجموع فتاوى ابن باز (81/4).

[(3)] التفسير المنير، للزحيلي (85/13).

[(4)] التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (393/5).

3-"لم يبعث الله نبيا من الملائكة ولا من الجن ولا من النساء، ولا من أهل البادية، وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء، وأهل الأمصار أهل فطنة" [1].

4-"أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان لا ثالث لهما: الإيمان بكل ما أوجب الله الإيمان به، والتقوى التي هي امتثال الأوامر الشرعية واجتناب النواهي، وأن خير الآخرة خير من ثواب الدنيا، وملكها، وأنه ينبغي للعبد أن يدعو نفسه ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت لذات الدنيا ورياساتها وهي عاجزة عنها، بل يسليها بالثواب الأخروي ليخفف عليها عدم حصول الدنيا" [2].

---

[1] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (638/2).

[2] تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي (ص283).

المقطع الرابع

تحقيق النصر عند اشتداد الكرب

قال تعالى: **{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}** [يوسف:110].

أولاً: المناسبة:

بعد أن حذر الله أهل مكة في الآيات السابقة من تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانه يقول لهم: فاعتبروا يا أهل مكة بسنن الله فيمن كان قبلكم، واحذروا أن يحل بكم ما حل بهم، فإن الله ينصر رسله ولو بعد حين [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{اسْتَيْأَس}**: اليأس نقيض الرجاء يئس ييأس، والمصدر اليأس واليآسة واليأس، وقد استيأس، وأيأسته، وإنه ليائس [(2)]، "استيأس منه: أي يئس" [(3)]، "والاستيئاس: استفعال من اليأس، وهو انقطاع الطمع" [(4)].

***{بَأْسُنَا}**:- من: البؤس الخضوع والفقر ، من بئس ييأس بؤسا افتقر واشتدت حاجته، والبأس: الشدة في الحرب، بؤس إذا اشتد، وبئس إذا افتقر [(5)].

- رَجُلٌ ذو بأْس: قويّ شديد، شديد البأس: شجاع.
- عذاب شديد في الدنيا، أو في الآخرة، عقاب الله، وهذا المعنى المقصود في الآية.
- حرب، أو شدّةُ قتال **{وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}** [النحل:81].
- خوف، حرج "لا بأْسَ عليه، لا بأس به: لا مانع، حسن، جيد، مقبول، لا بأْسَ في تناول هذا الدواء، لا بأْسَ من تناول هذا الدواء: لا ضرر، لا مانع، لا حرج.
- مرض "اللهمَّ ارفع البأسَ".
- عداوة واختلاف القلوب **{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}** [الحشر:14].
- بلاء ونجدة **{قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ}** [النمل:33] [(6)].

[(1)]انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (396/5).

[(2)]انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن المرسي (632/8).

[(3)] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري (7391/11).

[(4)]إعراب القرآن للأصبهاني (ص173).

[(5)]مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للكجراتي (183/1).

[(6)]انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر (152/1)

ثالثاً: الإعراب:

{حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا} حتى حرف غاية وهي متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام، والمعنى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فتراخى نصرهم، حتى إذا استيئسوا من النصر، ولا يلزم أن يكون الله وعدهم بالنصر في الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن اخبار ووحي، **{وظنوا}**: عطف على استيئسوا، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظنوا وكذبوا بالبناء للمجهول، أي ظنت الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر وجملة **{كذبوا}**: خبر أنهم [(1)].

رابعاً: القراءات:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي **{كُذِبُوا}** بالتخفيف، وقرأ الباقون **{كُذِّبُوا}** [(2)].

توجيه القراءة:

معنى قراءة من خفف: أنّ الأمم ظنت أنّ الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله لهم وإهلاك أعدائهم، وأما من شدد فالمعنى: أنّ الرسل أيقنوا أنّ الأمم قد كذبوهم تكذيباً عمهم حتى لا يفلح فيهم أحد، والظن على القول الأول بمعنى الشك، وعلى القول الثاني بمعنى اليقين.

وأما من قرأ **{وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا}** فالضمير في **{ظنوا}** عائد على الكفار وفي **{كُذِّبُوا}** عائد على الرسل عليهم السلام [(3)].

{فنجي من نشاء} قرأ عاصم وابن عامر فنجي من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وروي عن الكسائي: إدغام إحدى النونين في الأخرى وقرأ بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء، والباقون بنونين، وتخفيف الجيم وسكون الياء على معنى: ونحن نفعل بهم ذلك [(4)].

خامساً: التفسير الإجمالي:

"هذه الآية مرتبطة بجمل مقدرة دل عليها السياق، والتقدير: لا تغتر قريش بما هي فيه من السلام وعدم العقاب على كفرهم حتى الآن، فإن من قبلهم من الكفار قد أمهلوا، حتى إذا أيس الأنبياء المرسلون اليهم من إيمانهم، لتماديهم في الطغيان والتكذيب من غير وازع، وتوهموا أن نفوسهم كذبت عليهم حين توقعت النصر على من كفر بهم وعقابهم في الدنيا، حتى إذا حدث كل ذلك، جاءهم نصر الله فجأة، فأنزل الله بهم العذاب، ونجى الله منه من يشاء إنجاءه، وهم

---

(1) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (96/5).

(2) إعراب القرآن للأصبهاني (ص173).

(3) المرجع السابق (ص173).

(4) مفاتيح الغيب، للرازي (522/18).

المرسلون ومن آمنوا بهم، ولا يمنع أحد عذاب الله عن القوم الذين أجرموا بكفرهم إذا قدره عليهم، فاعتبروا يا أهل مكة بسنن الله فيمن كان قبلكم، واحذروا أن يحل بكم ما حل بهم، فإن الله ينصر رسله ولو بعد حين [1].

تحقيق النصر عند اشتداد الكرب:

إن هناك صبراً حين البأس وفي الحرب وعند لقاء العدو والتحام الصفين فيكون الصبر شرط للنصر والفرار كبيرة ولذلك أوجب الله الثبات قال تعالى: **{يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ}** [الأنفال: 45]، وحذر من الفرار وتولي الأدبار وعندما تضطرب المعركة وينفرط العقد فيكون الصبر أشد لذلك كان المسلمون صُبُر عند اللقاء، يصبرون وكانوا يتناقلون بينهم عبارة " إنما النصر صبرُ ساعة"، والمراغمة والمدافعة الآن بين فريقين، الذي يصبر أكثر هو الذي ينتصر[2]، فمن عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والصبر على تكاليف المعركة، فالثبات هو بدء الطريق إلى النصر، فأثبت الفريقين أغلبهما [3].

"إن الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر، واستمرأوا المر، واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب، ومشوا على الأشواك، وحفروا الصخور بالأظافر، ولم يبالوا بالأحجار تقف في طريقهم، والطعنات تغرس في ظهرهم، وبالشرك تنصب للإيقاع بهم، وبالكلاب تنبح من حولهم، بل مضوا في طريقهم غير وانين ولا متوقفين، متذرعين بالعزيمة، مسلحين بالصبر قد يعثرون ثم لا يلبثون أن ينهضوا، وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا، وقد يجرحون ثم لا يلبث جرحهم أن يندمل، وقد يفشلون مرة ومرة فلا يلقون السلاح، ولا يستسلمون لليأس، ولا يفقدون نور الأمل، لقد عرف عشاق المجد، وخطاب المعالي، وطلاب السيادة أن الرفعة في الدنيا كالفوز في الآخرة، لا تنال إلا بركوب متن المشقات، وتجرع غصص الآلام، والصبر عن كثير مما يجب،

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر" [4].

ولنا مثل صادق للعبرة والعظة بما تعرض له الأنبياء السابقون، وأتباعهم المؤمنون، فأنتم أيها المسلمون في صدر الإسلام، لم تبتلوا مثل ابتلائهم، مستهم الشدة والخوف والفقر والآلام والأمراض، وأزعجوا إزعاجا شديدا، حتى اضطر الألم والقسوة إلى أن يقول الرسول وهو أعلم الناس بالله تعالى وأوثق بنصره: متى نصر الله؟ حيث كاد أن ينفد صبرهم من هول ما لاقوا، فأجيبوا: ألا إن نصر الله قريب التحقق والحصول، وفي هذا كله لمن يأتي بعدهم، ويظنون أن الإسلام عبادة فقط، دون أن يمروا بشيء من الاختبار، أو يتعرضوا لنوع من الإيذاء، والمصائب

---

[1] التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (396/5).

[2] فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، لمحمد عويضة (171/6).

[3] انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (1528/3).

[4] موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، لياسر عبد الرحمن (30/1).

والشدائد، جهلاً منهم بسنة الله في ابتلاء أهل الهداية، من أجل التعرف على مدى قدرتهم في الثبات على الحق والإيمان، وما تتطلبه الدعوة إلى الله من عناء ومقاساة، قال الله تعالى: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** [البقرة: 155]، بل ولم يصل المسلمون في الماضي، أو الحاضر إلى ما تعرض له الرسل السابقون، فقد قتل بعضهم، ونشر بعضهم بالمنشار وهو حي ، وأحرق بعض المؤمنين بالنار، كما فعل بأصحاب الأخدود [1].

ما ترشد إليه الآية:

1-إن الذي أخرج يوسف من الجب، بعد إلقائه فيه، وأخرجه من السجن، وملكه مصر بعد العبودية، وجمع شمله بأبيه، وإخوته، بعد المدة الطويلة، واليأس من الاجتماع لقادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإظهار كلمته وإعلاء دينه [2].

2-"إن دخول الجنان والفوز برضوان الله يتطلب الجهاد، وتحمل الشدائد، والصبر على الأذى، واجتياز محنة الفتنة والاختبار بنجاح وثبات، دون تسخط ولا تبرم ولا ضجر، ولا انحراف عن خط الهداية، والقيام بأعباء التكاليف الإلهية، وليس للمؤمن الحق أن يستبطئ النصر، فإن نصر الله لأوليائه، وأحبائه قريب" [3].

3-في الآية تهديد ووعيد لكفار قريش، وأمثالهم لعدم إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله سبحانه وتعالى يمهل الظالم، ولا يهمله [4].

---

(1) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (250/2).

(2) تفسير الخازن (561/2).

(3) التفسير المنير، للزحيلي (89/13).

(4) انظر: المرجع السابق (89/13).

المقطع الخامس

وجوه الاعتبار بقصة يوسف عليه السلام

قال تعالى: **{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [يوسف:111].

أولاً: المناسبة:

"إن الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب فدل على هذه القصة من أحسن القصص وإن فيها عبرة لمن اعتبرها ما كان حديثا يفترى يعني ما كان هذا القرآن حديثا يفتري ويختلق لأن الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتريه أو يختلقه لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخلط العلماء ثم إنه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه صلى الله عليه وسلم" [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

*{**عِبْرَةٌ**}: "العبرة بالكسر: الاسم من الاعتبار"[(2)]، "وهي كالموعظة مما يتعظ به ويعتبر ليستدل به على غيره" [(3)]، "والعِبرة، بالكسر: العَجَبُ، واعْتَبَر منه: تَعَجَّب" [(4)]، والاعتبار: عبارة عن العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول، والمراد منه التأمل والتفكر [(5)].

*{**يُفتَرى**}: "افترى يفتري، افتراءً، فهو مُفْتَرٍ، والمفعول مُفترًى (للمتعدِّي)، افترى الشَّخصُ: ظلم بممارسة البَطْش، افترى القولَ، افترى عليه القولَ: اختلقه، ادَّعاه، كذب فيه" [(6)]، "افتراه: اختلقه، والاسم: الفِرْيَة" [(7)]، "واستعمل الافتراء في القرآن في الكذب وللظلم والشرك" [(8)].

---

(1) تفسير الخازن (562/2).

(2) مختار الصحاح، للرازي (ص198).

(3) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين الكجراتي (507/3).

(4) القاموس المحيط، للفيروزابادي (ص435).

(5) تفسير الرازي (522/18).

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر بمساعدة فريق عمل (320/3)

(7) مختار الصحاح، للرازي (ص239).

(8) تاج العروس، للزبيدي (230/39).

ثالثاً: البلاغة:

في سورة يوسف نفحة من القصص الرائع الذي استوفي شرائط القصة كما انتهت اليه أبحاث النقاد في العصر الحديث مما يؤخذ من مظانه الكثيرة وقد امتازت هذه القصة بالإيجاز على تسلسل حوادثها، وتنوع فصولها، وكثرة فنونها [(1)].

رابعاً: التفسير الإجمالي:

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الهدف العام من قصص القرآن، فقال: **{لقد كان في قصصهم عبرة}** أي لقد كان في سرد أخبار الأنبياء المرسلين مع قومهم، وكيف نجينا المؤمنين، وأهلكنا الكافرين عبرة وعظة وذكرى لأولي العقول والأفكار الصحيحة.

ثم ذكر الله تعالى مشتملات القرآن فقال: **{ما كان حديثا يفترى}** أي ما كان هذا القرآن الشامل للقصة وغيرها، أو ما كان هذا القصص والحديث الذي اشتمل عليه القرآن حديثا يختلق ويكذب من دون الله، لأنه كلام أعجز رواة الأخبار وحملة الحديث، وإنما هو كلام الله من طريق الوحي والتنزيل وتصديق ما تقدمه من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور، أي تصديق ما جاء فيها من الصحيح والحق، ونفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، فهو مصدق أصولها الصحيحة، لا كل ما جاء فيها بعد من حكايات وأساطير لا يتقبلها العقل السليم، وهو أيضا مهيمن عليها وحارس لها.

والقرآن أيضا فيه تفصيل كل شيء من الحلال والحرام والمحبوب والمكروه، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وصفات الله الحسنى، وقصص الأنبياء على النحو الثابت الواقع الذي لا تحريف فيه ولا تزويق [(2)].

وجوه الاعتبار بقصة يوسف عليه السلام:

أولاً: أن الذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب، وإعلائه بعد حبسه في السجن وتمليكه مصر بعد أن كانوا يظنون به أنه عبد لهم، وجمعه مع والديه وإخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة، لقادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته.

ثانياً: أن الإخبار عنه جار مجرى الإخبار عن الغيب، فيكون معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: أنه ذكر في أول السورة: **{نحن نقص عليك أحسن القصص}**، ثم ذكر في آخرها: **{لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب}** تنبيها على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه

---

(1) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (70/5).

(2) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (92/13).

يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة، والمراد من قصصهم قصة يوسف عليه السلام وإخوته وأبيه [1].

رابعاً: ومما يلاحظ في هذه القصة أنها تصور الفضائل في أسمى صورها مثل: صبر يعقوب على فراق يوسف ثم فراق أخيه، وصبر يوسف على ما قاساه من تعرض للهلاك بعد الأمان في حضن أبويه، وما عاناه من عبودية بعد الحرية, وما تعرض له من ظلم في غيابة السجن دون ذنب جناه.

خامساً: ومن الفضائل في القصة: العفة في أسمى صورها في يوسف عليه السلام، مع وفرة عوامل الإغراء والإغواء في شرخ الشباب، والثقة بالله وآثارها فإن يعقوب لم يفقد ثقته به، ولم يقنط من رحمته، ويوسف لم ييئس وهو في قرارة السجن من الفرج، وظل ثابت الإيمان يدعو إلى الله ويعتصم بتقواه، حتى بدل الله حالهما إلى أحسن حال.

سادساً: كما أبرزت القصة فضيلة العفو والصفح الجميل الصادر من يوسف لإخوته والاستغفار من يعقوب لأبنائه، ومقابلة الإساءة بالإحسان.

سابعاً: وكما صورت القصة الفضائل في أسمى صورها صورت أيضا الرذائل في أبشع مظاهرها حيث صورت حقد إخوة يوسف عليه، وارتكابهم ما آذى أباهم أشد الإيذاء، وما عرض أخاهم للهلاك، كما صورت استهتار زوجة العزيز وإصرارها كل الإصرار على الخيانة الزوجية وإنها لم تكترث بسوء القالة في حقها، ولما لم يستحب يوسف لرغبتها، أغرت به زوجها العزيز وحرضته على إلقائه في السجن ظلماً وعدواناً.

ثامناً: وقد بينت سورة يوسف أن العاقبة للمتقين، كما بينت أن مع العسر يسرا وأن لكل شدة نهاية، وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون [2].

خامساً: ما ترشد إليه الآية:

دل قوله تعالى **{لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب}** على أن الغرض من ذكر هذه القصص والأخبار، العظة والاعتبار، ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه، وإخراجه من السجن، وتمليكه مصر بعد العبودية، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع، قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه، وإعلاء شأنه، وإظهار دينه، وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيوب، فكان ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم [3].

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (523/18)

[2] انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (273/4).

[3] صفوة التفاسير، للصابوني (65/2).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية 1-18

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (1-7)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (8-15)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (16-18)

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (1-7)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: الثناء على القرآن الكريم والإشارة إلى إعجازه.

المقطع الثاني: الحث على التأمل والتفكر في مخلوقات الله.

المقطع الثالث: أقوال المشركين في شأن البعث والرد عليهم.

المقطع الأول

الثناء على القرآن الكريم والإشارة إلى إعجازه

قال تعالى: **{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الرعد:1].

أولاً: المناسبة:

تحدثت الآية الأخيرة من سورة يوسف عن القرآن الكريم، حيث قال تعالى: **{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [يوسف:111]، كما تتحدث هذه الآية عن القرآن الكريم، حيث قال تعالى: **{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الرعد:1] [(1)].

ولقد ذكر الشيخ كشك رحمه الله في مناسبة السورة لما قبلها قائلاً:

إنه سبحانه وتعالى أجمل في السورة السابقة الآيات السماوية، والأرضية في قوله: **{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}** [يوسف:105]، ثم فصلها هنا أتم تفصيل، في مواضع منها:

1-أنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد **{أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}** [يوسف:39]، ثم فصل الأدلة هنا بإسهاب لم يذكر في سالفتها.

2-وأنه ذكر في السورة السابقة أخبار الماضين مع رسلهم، وأقوامهم...، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله المؤمنين، وفي ذلك تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتثبيتاً لقلبه[(2)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

*{**الْكِتَابِ**}: "الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء" [(3)], والكتابة: جمع الحروب إلى بعضها البعض وضمها بالخط والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه, [(4)]، والكتب السماوية هي: "الصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام فكونت كتباً, أو بقيت صحفاً لم تجمع, ولم يتكون منها كتاب خاص, فالصحف كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام, والكتب: كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم" [(5)].

---

(1) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري (221/3)

(2) انظر: في رحاب التفسير، لعبد الحميد كشك (1849/3).

(3) مقاييس اللغة, لابن فارس (158/5).

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن, للأصفهاني (ص423).

(5) عقيدة المؤمن, لأبي بكر الجزائري (ص181).

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى **{وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ}**، **(الذي)**: فيه أربع وجوه للإعراب، وجهان للرفع، ووجهان للخفض.

أولاً: أوجه الرفع:

-**(الذي)** مرفوع بالاستئناف وخبره **(الحق)**.

-**(الذي)** مرفوع عطفًا على **(آيات)**.

ثانياً: أوجه الخفض:

-يجوز أن يكون **(الذي)** عطفًا على الكتاب.

-أو أن يكون **(الذي)** من نعت الكتاب.

معاني الإعراب:

المعنى على الوجه الأول (الرفع): رفع الحق على معنى: ذلك الحق، ويجوز أن يكون **(الحق)** مرفوعًا على إضمار "هو".

المعنى على الوجه الثاني (الخفض): وآيات الذي أنزل إليك هو الحق [1]، وهو من عطف العام على الخاص أو إحدى الصفتين على الأخرى [2].

رابعاً: البلاغة:

-"الإشارة بالبعيد عن القريب في **{تلك آيات الكتاب}** تنزيلا لها منزلة البعيد، للدلالة على علو شأنها، ورفعة منزلتها" [3].

-"(أل) في **{الكتاب}**: للتفخيم، أي الكتاب العجيب الكامل في إعجازه، وبيانه" [4].

خامساً: التفسير الإجمالي:

{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ}: "يخبر الله تعالى أن هذا القرآن هو آيات الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين فمن أقبل عليه وعلى علمه كان من أهل العلم بالحق الذي يوجب لهم العمل بما أحب الله" [5].

وفي ذلك دعوة إلى الالتزام بالحق الخالص الذي لا يلتبس بالباطل، الذي لا يحتمل الشك والتردد كما أن تلك الأحرف هي آيات على أنه الحق، فهي آيات على أنه من عند الله،

---

(1) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (277/12).

(2) تفسير البيضاوي (180/3).

(3) صفوة التفاسير، للصابوني (72/2).

(4) المرجع السابق (72/2).

(5) تفسير السعدي (412/1).

ولن يكون ما عند الله إلا حقاً لا ريب فيه[1].

{وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ}: جاء لبيان أن ما أنزل الله هو الحق الثابت، وهذا من صفات كمال الكتاب، فكان من هذه الصفات:

1-أنه ليس من عندك بل أنزله الله تعالى إليك، فليس افتراءاً ولا كذباً.

2-هو من ربك الذي يدبر الأمر بحكمة، وينزل كل شيء منزلته، وهو الذي اختار أن يكون المعجزة المحمدية الكبرى.

3-هو الحق الثابت الذي ما جاء فيه إلا الحق في العقيدة، وفي الشريعة، وفي دفع الأوهام، ودفع الفساد في الأرض، وعلاج أمور الناس بالحق، فهو الحق في كل ما جاء به، لأنه من الحق جل جلاله، وعلا كماله [2].

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}: "أي أكثر الناس لا يذعنون للحق، بل يمارون ويجادلون، فتضيع الحقائق وسط لجاجة الجدل" [3]، "وقيل: لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه" [4]، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به لانطماس بصائرهم، واستيلاء العناد على نفوسهم، وفي هذا مدح لتلك القلة المؤمنة من الناس هؤلاء الذين فتحوا قلوبهم للحق منذ ان وصل إليهم فآمنوا به، واعتصموا بحبله[5].

الدلالة على إعجاز القرآن الكريم:

إن هذه الحروف المقطعة، قد وردت في افتتاح بعض السور على سبيل الإيقاظ والتنبيه إلى إعجاز القرآن الكريم، فكأن الله تعالى يقول لأولئك المعارضين في أن القرآن من عند الله تعالى: هاكم القرآن ترونه مؤلفا من كلام هو من جنس ما تؤلفون منه كلامكم، ومنظوماً من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها حروفكم [6].

ومما لا شك فيه أن هذه الحروف من أعجب المعجزات والدلالات على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ألا ترى أن حروف الهجاء لا ينطق بها إلا من تعلم القراءة، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم الأمي قد نطق بها، والذي في أول السور أربعة عشر حرفا منها وهي كلها ثمانية وعشرون حرفا إن لم تعد الألف حرفاً برأسه فالأربعة عشر نصفها، وقد جاءت في تسع وعشرين سورة وهي عدد الحروف الهجائية إذا عدت فيها الألف، إن ذلك ليعطي العقول مثلا من

[1] انظر: في ظلال القرآن (2043/4).

[2] انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (3888/7).

[3] المرجع السابق (3888/7).

[4] تفسير البيضاوي (180/3).

[5] انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي (437/7).

[6] انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (314/7).

الغرابة الدالة على أن هذا لا يقدر عليه المتعلمون فإذا هو من عند الله تعالى نزل به الوحي الأمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله ومن سار على نهجه إلى يوم الدين [1].

ومما يشهد على أن هذه الحروف من إعجاز القرآن الكريم : أن الآيات التي تلى هذه الحروف المقطعة تراها تتحدث صراحة، أو ضمناً، عن القرآن الكريم، وعن كونه من عند الله تعالى، وعن كونه معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم:

-ففي مطلع سورة البقرة: **{الم* ذَلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ....}.**

-وفي مطلع سورة آل عمران: **{الم* اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْزَلَ التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ ...}.**

-وفي أول سورة الأعراف: **{المص* كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ...}.**

-وفي أول سورة يونس: **{الر* تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ. أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ....}.**

وهكذا نجد أن معظم الآيات التي تلى الحروف المقطعة، منها ما يتحدث عن أن هذا الكتاب من عند الله سبحانه، ومنها ما يتحدث عن وحدانية الله تعالى، ومنها ما يتحدث عن صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، وهذا كله لتنبيه الغافلين إلى أن هذا القرآن من عند الله، وأنه المعجزة الخالدة للرسول صلى الله عليه وسلم [2].

سادساً: ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1-"قررت الآية الكريمة التأكيد على عظمة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من الله رب العالمين" [3].

2-إن في قوله تعالى: **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}** إشارة إلى أن الناس منذ آدم عليه السلام أمة واحدة على دين الفطرة السليمة، فانحرفوا عن ديانة التوحيد بتأثير عوامل الجهل والهوى، فبعث الله الأنبياء والرسل لهدايتهم، وأنزل مع كل رسول كتاباً خاصاً بقومه، عدا القرآن الكريم الذي جاء للناس كافة، فما آمن أكثرهم وهذا شأنهم في دعوات الرسل جميعاً، وهذا ما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى ولو شاء لجعل الناس جميعاً على الإسلام، مصداقاً لقوله تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [يونس:99][4].

---

[1] انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (231/1).

[2] انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (314/7).

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (571/4).

[4] انظر: المرجع السابق (571/4).

المقطع الثاني

الحث على التأمل والتفكر في مخلوقات الله

قال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [الرعد:2-4].

أولاً: المناسبة:

بعد أن أشارت الآية الأولى إلى بيان حكمة نزول القرآن بالحق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية من ظلمة الجهالة إلى نور التوحيد، انعطفت هذه الآيات إلى خلق السموات كآية كونية دالة على وحدانيته، وعظمته، وكمال قدرته، وتدبيره لها [(1)]، "وبعد أن بين الله تعالى أن القرآن حق، بين أن من أنزله قادر على الكمال، فانظروا في مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته" [(2)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

*****{بِغَيْرِ عَمَدٍ}**: (عمد) العين والميم والدال أصل كبير، فروعه كثيرة ترجع إلى معنى، وهو الاستقامة في الشيء، منتصبا أو ممتدا، وكذلك في الرأي وإرادة الشيء، من ذلك عمدت فلانا وأنا أعمده عمدا، إذا قصدت إليه. والعمد: نقيض الخطأ في القتل وغيره، وإنما سمي ذلك عمدا لاستواء إرادتك إياه [(3)]، **(بغير عمد ترونها)**: أي لا ترون تلك العمد، وهي قدرة الله جمع عماد[(4)]، يقال: إنّ الله عجّب الخلق من خلق السّماوات في الهواء من غير أساس وأعمدة، وبناؤهم لا يثبت إلا بهما، فقال: خلقتهما من غير حاجة إلى الأعمدة ليعتبر الخلق، ويعرفوا قدرته[(5)]، قال الزجاج: قيل في تفسيره إنها بعمد لا ترونها أي لا ترون تلك العمد، وقيل خلقها بغير عمد وكذلك ترونها؛ قال: والمعنى في

[(1)] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (572/4).

[(2)] التفسير المنير، للزحيلي (103/13).

[(3)] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (137/4)

[(4)] مجمع بحار الأنوار (3/ 673)

[(5)] العين، للفراهيدي (59/2).

التفسير يؤول إلى شيء واحد، ويكون تأويل بغير عمد ترونها التأويل الذي فسر بعمد لا ترونها، وتكون العمد قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض [1].

* **{اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}**: عرش الرحمن جل جلاله أعظم مخلوقاته، ولا يحيط بوصف عظمته إلا ربه، واستواؤه تعالى على العرش من قبيل المتشابهات التي يجب الإيمان بها وتفويض علم المراد منها إلى الله جل وعلا، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث وهذا مذهب جمهور أهل السنة، وفي ذلك يقول الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والجحود كفر، والسؤال عنه بدعة [2]، قال البغوي: أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم به إلى الله عز وجل [3]، وإنما أضيف لله تعالى الاستواء على العرش وحده مع أنه سبحانه مستو على الكون كله، لأن العرش أعظم مخلوقاته، فإذا استوى عليه وهو أعظمها فقد استوى على كل ما سواه [4].

***{رَواسِيَ}**: هي الجبال الرّاسية، جعلها الله تعالى للأرض كالأوتاد، فهي من السهلة بمنزلة العصب، والعظم من اللحم؛ ليعتمد الرخو الصلب، فلا تتحلّ، والصعيد والأرض يتناول السهل والجبل [5].

***{صِنْوَانٌ}**: فلان صنو فلان أي أخوه لأبويه وشقيقه، وعم الرجل: صنو أبيه، والصنو من النخل: نخلتان، أو ثلاث، أو أكثر أصلهن واحد، كل واحدة على حيالها صنو، وجمعه صنوان، والتثنية صنوان، ويقال لغير النخل [6]، والصنو: هو المثل، وأصله: أن تطلع النخلتان من أصل واحد [7].

ثالثاً: الإعراب:

{ترونها}: جملة فيها ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون مستأنفة ويكون الضمير عائدا على النون.

الثاني: نصبا على الحال من السموات.

الثالث: أن تكون صفة لعمد إذا كان الضمير عائداً إليها.

---

(1) لسان العرب، لابن منظور(304/3).

(2) التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (1006/6).

(3) تفسير الخازن(208/2).

(4) التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (1006/6).

(5) درج الدرر في تفسير الآي والسور، لعبد القاهر الجرجاني (148/2).

(6) العين، للفراهيدي (158/7).

(7) انظر: مجمع بحار الأنوار (360/3).

معاني الإعراب:

-المعنى على القول الثاني (النصب على الحال): أي مرئية لكم.

-والمعنى على القول الثالث: تكون الجملة كلها مستأنفة مسوقة للشروع في ذكر دلائل العالم العلوي تمهيدا لذكر دلائل العالم السفلي [1].

{ومن كل الثمرات} : فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون متعلقا بجعل الثانية.

الثاني: أن يكون حالا من اثنين، وهو صفة له في الأصل.

الثالث: أن يتعلق بجعل الأولى، ويكون جعل الثاني مستأنفا.

معاني الإعراب:

المعنى على الوجه الأول أن يكون التقدير: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات [2].

رابعاً: القراءات:

{يفصل}: يقرآن بالياء والنون، ومعناهما ظاهر.

{نفضل} : يقرأ بالنون، والياء على تسمية الفاعل، (وبالياء وفتح الضاد، و**{بعضها}** بالرفع)[3].

{يغشي الليل النهار}: اختلفوا في تشديد الشين وتخفيفها، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص **{يُغْشِى}** خفيفة، وقرأ عاصم في رواية أبى بكر وحمزة والكسائي **{يُغَشِّى}** مشددة.

{وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان}: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص **{وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان}** بالرفع، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائى **{وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان}** بالخفض، **{الأكل}:** قرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف، والباقون بضمها [4].

خامساً: البلاغة:

{ثم استوى على العرش}: "استعارة مكنية أو تخييلية (حسب تعريف الأقدمين لها)، فالمستعار: الاستواء، والمستعار منه: كل جسم مستو، والمستعار له: الحق سبحانه، ليتخيل السامع عند سماع لفظ هذه الاستعارة ملكا فرغ من ترتيب ممالكه، وتشييد ملكه، وجميع ما تحتاج اليه رعاياه وجنده من عمارة بلاده، وتدبير أحوال عباده، استوى على

---

[1] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (83/5).

[2] التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (750/2).

[3] المرجع السابق (750/2-751).

[4] انظر: السبعة في القراءات، للبغدادي (ص356)

سرير ملكه استواء عظمة فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هي متخيلة، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثمة سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة مخصوصة" [1].

{زوجين اثنين}: إن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الأشجار خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط، وذلك يدل على أن الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد، وهذا يفيد التأكيد [2].

{يغشي الليل النهار}: فيه استعارة مكنية حيث شبه إزالة نور النهار بظلمة الليل بالغطاء الكثيف، واستعار لفظ يغشي من الغطاء الحسي للأمور المعنوية [3].

{صنوان وغير صنوان}: فيه من المحسنات البديعية (التقابل) وهو ما يبرز المعنى ويزيده وضوحاً، فيتناسق التقابل المعنوي في السورة مع التقابلات الحسية، ومن ثم يتقابل الاستعلاء في الاستواء على العرش مع تسخير الشمس والقمر، ويتقابل ما تغيض الأرحام مع ما تزداد، ويتقابل من أسر القول مع من جهر به، ومن هو مستخف بالليل مع من هو سارب بالنهار، ويتقابل الخوف مع الطمع تجاه البرق، ويتقابل تسبيح الرعد حمدا مع تسبيح الملائكة خوفا، وتتقابل دعوة الحق لله مع دعوة الباطل، ويتقابل من يعلم مع من هو أعمى، ويتقابل الذين يفرحون من أهل الكتاب بالقرآن مع من ينكر بعضه، ويتقابل المحو مع الإثبات في الكتاب، وبالإجمال تتقابل المعاني، وتتقابل الحركات، وتتقابل الاتجاهات في تنسيق رباني رائع، يدل على أن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم [4].

{يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل}: هذه الجملة مستأنفة للتعجب من قدرة الله تعالى فيما يبدعه في عالم البساتين، حيث بينت أن هذا النبات والشجر على اختلاف أنواع كل منهما يسقى بماء واحد في أرض متجاورة ومتشابهة في التربة والجو، ولكن الثمرات متنوعة في الطعم والشكل واللون والرائحة [5].

---

[1] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (84/5).

[2] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (7/19).

[3] انظر: التفسير المنير، للزحيلي (102/13).

[4] انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (2041/4).

[5] التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (408/5).

سادساً: التفسير الإجمالي:

أولاً: أدلة قدرة الله تعالى:

بين الله تعالى لنا آياته في الكون، ولفتنا إليها، فالسماء مرفوعة بغير عمد نراها، والشمس والقمر مسخران لخدمة الإنسان، وهذه كلها آيات لا يستطيع أحد أن يدعيها لنفسه أو لغيره، ولو تدبر الناس في آيات الكون لآمنوا، ولكنهم في غفلة عن هذه الآيات [1].

والمتأمل لهذه الآيات يجد البراهين الدالة على قدرة الله من انزال القرآن المجيد، وابداع السماوات، والأرض، وتدبير الخلق، وتسخير الشمس والقمر، وايجاد أنواع الجبال، والأشجار، والزروع...، وهذه أدلة حسية مشاهدة تثبت القدرة الإلهية لمن كان له عقل، أو فكر، أو سمع، أو عقل [2].

"وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات ما يوجب الإيمان فقال **{الله الذي رَفَعَ السماوات}** أي خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها **{بِغَيْرِ عَمَدٍ}** وهو جمع عماد أو عمود" [3]، "وفي قوله: **{ترونها}** قولان:

القول الأول: أن الرؤية ترجع إلى السماء يعني: وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونهما دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها، والمراد نفي العمد بالكلية، قال إياس بن معاوية: السماء مقبية على الأرض مثل القبة، وهذا قول الحسن، وقتادة وجمهور المفسرين، وإحدى الروايتين عن ابن عباس.

القول الثاني: إن الرؤية ترجع إلى العمد، والمعنى أن لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم، ومن قال بهذا القول يقول: إن عمدها على جبل قاف، وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، والرواية الأخرى عن ابن عباس، والقول الأول أصح" [4].

{ثم استوى على العرش}: "رأى السلف ان يفرضوا تعيين معنى الاستواء الى الله، فهو اعلم بما نسبه الى نفسه واعلم بما يليق به" [5].

"**{وسخر الشمس والقمر}**: وأجرى الشمس والقمر في السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذللهما لمنافعهم، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب، ويفصلوا به بين الليل والنهار، **{كل يجري لأجل مسمى}** يقول جل ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى: أي لوقت معلوم، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكور

---

[1] انظر: تفسير الشعراوي (116/1).

[2] انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (1144/2).

[3] تفسير النسفي (141/2).

[4] تفسير الخازن (4/3).

[5] تفسير مقاتل بن سليمان (193/5).

الشمس، ويخسف القمر، وتتكدر النجوم، وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه، وأرسل رسله لنؤمن بوعده، ونستيقن بلقائه " [1].

{وهو الذي مد الأرض} لما ذكر الدلالة على وحدانيته، وكمال قدرته، وهي رفع السموات بغير عمد، وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الأرضية، فقال: وهو الذي مد الأرض أي بسطها، فإن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم، الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الأرض، وأنه دحاها وبسطها [2].

{وجعل فيها رواسي وأنهاراً} أثبتها بالرواسي، وجعل الأنهار فيها ليصلوا إلى الانتفاع بها؛ ليتأدى بذلك شكره، وليعرفوا قدرته، ثم أخبر أنه جعل فيها من كل الثمرات زوجين، قال بعض أهل التأويل: **{زوجين اثنين}** أي: لونين، وقال بعضهم: ذو طعمين؛ لكن يكون منها ألوان أكثر من لونين: أحمر، وأبيض، وأسود، وأصفر، ونحوه، وكذلك الطعم: يكون حامضا وحلوا ومرا ومزا، إلا أن يقال: (زوجين اثنين): الطيب والخبيث؛ فلا يكون ثالث؛ وأما اللون؛ فإنه يكون ذا ألوان وذا طعوم، وقال بعضهم الذكر والأنثى؛ فهذا يصح إذا أراد به الشجر؛ فمنه ما يثمر ومنه ما لا يثمر؛ فالذي يثمر: هو أنثى، والذي لا يثمر: هو ذكر، وأما على غير هذا فإنه لا يصح.

{يغشي الليل النهار}: يذهب ظلمة الليل بضوء النهار؛ وضوء النهار بظلمة الليل، أو يلبس أحدهما الآخر، أو يغطي الليل ما هو بالنهار بادٍ ظاهر للخلق، وبالنهار ما هو مستور خفي على الخلق والله أعلم .

{إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}: في آياته وحججه لا لقوم يعاندون آياته ويكابرونها [3].

{وفي الأرض قطع متجاورات}: وفي الأرض قطع متدانيات، وتتفاضل في النبات، فمنها قطعة سبخة، لا تنبت شيئا، وتجاوزها قطعة طيبة تنبت، وقيل: المعنى وفي الأرض أمكنة متجاورة تسقى كلها بماء واحد، وهي مختلفة طعام النبات والثمر: بعضها حلو، وبعضها حامض، وبعضها مر، وبعضها سباخ لا تنبت شيئا، ففي ذلك مع اتفاق شرب جميعها من ماء واحد، دلالة على نفاذ قدرة الله تعالى، وتعظيم سلطانه، و بدائع تركيباته سبحانه.

---

[1] جامع البيان، للطبري (408/13).

[2] انظر: تفسير الخازن (4/3).

[3] انظر: تفسير الماتريدي (6/305-306).

{صنوان وغير صنوان}: معنى صنوان: النخلة، والنخلتان، والثلاث، والأربع أصلهن واحد، **{وغير صنوان}**: النخلة، والنخلتان، والأكثر كل واحدة في أصل متفرق [1].

{يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل}: "فالنبات والشجر على اختلاف أنواع كل منهما يسقى بماء واحد في أرض متجاورة، ومتشابهة في التربة والجو، ولكن الثمرات متنوعة في الطعم، والشكل، واللون، والرائحة، وربما كان ذلك في الشجرة الواحدة، ولا شك أن هذا ناشئ من أن وراء الطبيعة رباً حكيماً، هو الذي ينوع النواميس والطبائع ويبدع غير المألوف، ويخالف المألوف ليعرفه عباده بما يبدعه لهم من هذه المؤتلفات والمختلفات" [2].

{إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}: "إن في هذا التنوع والتعدد مع وحدة الأصل والبيئة لعلامات وشواهد يدركها أصحاب العقول الراجحة فيعلمون أن من ورائها قدرة الخلاق العظيم، الذي أحسن كل شيء خلقه، فيؤمنون وينقادون إليه ويعبدونه على الوجه اللائق بما له من عظمة وجلال" [3].

ثانياً: التدبر والتأمل في مخلوقات الله:

1-رفع السماوات بغير عمد:

"إن خلق السموات آية كونية عظيمة دالة على عظمة الله وقدرته، فالسموات مرفوعة متداخلة فيما بينها على شكل حلقات دائرية، كحلقات البصلة تماماً، فالسماء الأولى محيطة بجميع مجراتها، ثم السماء الثانية محيطة بالأولى كإحاطة السوار بالمعصم، وهكذا حتى السابعة بعضها فوق بعض، كقطعة واحدة متلاصقة، يتربع فوقها عرش عظيم وسع كرسيه فيها السموات والأرض، وبهذا تكون السماء الأولى عمداً لما فوقها حتى السابعة، رفعت جميعها بلا عمدٍ تحملها، خلاف المألوف في فكر البشر، وهندستهم طبقاً لسنن ثابتة أبدعتها قدرة الله عز وجل" [4].

2-مد الآيات الأرضية:

وكذلك النباتات وإنباتها وإخراجها من الأرض وإثمارها، ورد في كثير من آيات القرآن الكريم، وخصوصاً الآيات المكية، وهذا لم يكن لمجرد تعداد نعم الله فحسب، إنما جاء في آيات ترتبط بعملية الخلق والإحياء والبعث والنشور، وفي آيات تحض الناس

---

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد القرطبي (3669/5).

(2) التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (408/5).

(3) المرجع السابق (408/5).

(4) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (573/4).

على التبصر والتأمل، والتعقل والتدبر، وفي آيات تبطل ما ينكره الكافرون من قدرة الله على الإحياء، وخلق الحي من الميت، وبعث الناس من قبورهم بعد موتهم وهلاكهم.

ومن يتأمل في هذه النباتات والثمار كيف نوعها الخالق في أحجامها وأشكالها وألوانها وروائحها ومذاقها، وهي في بقعة واحدة، وتسقى بماء واحد، قال تعالى: **{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [الرعد:4]، فإنه سيرى: عجائب لا تنتهي في النبات تدل على الخالق المقتدرْ فهذا النبات يغذي، وهذا يصلح الغذاء، وهذا ينفذه، وهذا يضعف، وهذا سم قاتل، وهذا شفاء من السم، وهذا يمرض...، فالله عز وجل هو الذي خلق السماوات والأرض، وما بينهما وما فيهما، ومن ذلك النباتات بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما [(1)]، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تفكروا في آلاء الله » [(2)]، فهو وحده المتصرف المدبر لهما، وفيها أيضاً بيان كمال قدرة الخالق عز وجل، فلو اجتمعت البشرية جميعا على صناعة شجرة واحدة من العدم لما استطاعت، بل غصنا واحدا، بل ورقة واحدة، بل بذرة واحدة [(3)].

ما ترشد إليه الآيات:

1-"من لطف الله بعباده ورحمته بهم وإرشاده لهم أنه أوضح لهم الأدلة، ولفت نظرهم إلى ما يدل على وجوده وكمال قدرته، وعلمه، وإرادته، فتخصيص كل واحد منها بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس إلا من الله تعالى" [(4)].

2-في هذه الآيات أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته، فإنه نبه سبحانه بقوله: **{يسقى بماء واحد}** على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته سبحانه وتعالى [(5)].

3-"الدعوة القوية، بل الفريضة والإيجاب لإعمال الفكر والعقل، والاسترشاد بما في الكون من دلائل وعلامات واضحة على وجود الله تعالى، وكمال قدرته، وعلمه، ووحدانيته" [(6)].

---

(1)انظر: الآيات الكونية دراسة عقدية، للطالب: عبد المجيد الوعلان (ص526).

(2)المعجم الأوسط، للطبراني: رقم (6319) (6/ 250).

(3)انظر: الآيات الكونية دراسة عقدية، للطالب: عبد المجيد الوعلان (ص526).

(4)التفسير المنير، للزحيلي (107/13).

(5)تفسير القرطبي (281/9).

(6)التفسير المنير، للزحيلي (109/13).

4-"تؤكد الآيات أن الإنسان الذي منحه الله عز وجل، العقل، وحرية الإرادة والاختيار، والقدرة على التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والاستعداد للخير والهداية، قادر على إدراك وجود الله عز وجل، من خلال مشاهدته للظواهر الكونية المتعددة، كما أن الإنسان العاقل يستخدم عقله، ويعمل تفكيره فيما حوله من المخلوقات لأجل توظيف العلم في الدعوة إلى الإسلام، لمقارعة الغرب باللغة التي يفهمونها" [1].

[1]التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (4/580).

المقطع الثالث

أقوال المشركين في شأن البعث والرد عليهم

قال تعالى: **{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}** [الرعد:5-7].

أولاً: المناسبة:

"أقام الله تعالى في الآيات السابقة الأدلة السماوية والأرضية على قدرته، ليثبت للناس أن من كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة، كيف لا تكون وافية بإعادة الإنسان بعد موته، لأن القادر على الأقوى الأكمل، فإنه قادر بالأولى على الأقل الأضعف، ثم حكى هنا إنكار المشركين للبعث والقيامة، وأتبعه بحكاية حماقة أخرى وهي استعجالهم العذاب، وأردفه بطلباتهم إنزال آيات حسية للتعجيز " [(1)].

ثانياً: التحليل اللغوي:

*{**الْأَغْلَالُ**}: "جمع غِلّ، وهو طوق أسر وصَغار، والمراد به الذنوب، والذي أعدّ لهم من أغلال النار في دار القرار" [(2)].

*{**الْمَثُلَاتُ**}: "أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله، وواحدها مَثُلَة، ويحتمل أنها التي تنزل بالإنسان، فتجعله مثالاً ينزجر به ويرتدع غيره" [(3)]، وهي جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء، والمثلة: العقوبة، وما أصاب القرون الماضية من العذاب وهي عبر يعتبر بها، وقال ابن الأنباري: المثلة كسمرة العقوبة التي تبقي في المعاقب شيئا بتغيير بعض خلقه من قولهم مثل فلان بفلان، إذا شان خلقه بقطع أنفه وسمل عينيه وبقر بطنه [(4)].

*{**مُنْذِرٌ**}: "الإنذار: التخويف، منذر: مخوف الكافرين" [(5)]، وأصل الإنذار: الإعلام، أنذرته: أعلمته، فأنا منذر ونذير أي: معلم ومخوف ومحذر" [(6)]، "ولا يكون الإنذار إلا إعلام بشيء فيه

[(1)] التفسير المنير، للزحيلي (111/13).

[(2)] درج الدرر في تفسير الآي والسور، لعبد القاهر الجرجاني (148/2).

[(3)] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (297/5).

[(4)] انظر: اعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (86/5).

[(5)] التفسير المنير، للزحيلي (111/13).

[(6)] مجمع بحار الأنوار، للكجراتي (681/4).

خوف، ولذلك سمي الأنبياء منذرين، لأنهم أخبروا العباد بالقيامة والنار ليحذروا ما يؤديهم إليها، فكل من أعلمك شيئاً يخاف منه فهو نذير ومنذر" [1].

***{هَادٍ}:** "الهادي: الذي يرشد الناس إلى الخير والحق والصواب كالأنبياء والحكماء والعلماء، أي لكل قوم نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه إياهم من الآيات، لا بما يقترحون، وهو مدعم عادة بمعجزة من جنس ما هو الغالب عليهم" [2].

ثالثاً: الإعراب:

{أإذا كنا تراباً}: "العامل في (إذا) محذوف تقديره: أإذا كنا ترابا نُبعث، ودل عليه (لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)، ولا يجوز أن يعمل فيه " خلق " أو " جديد "، لأنَّ اللام لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، ولا يجوز أن يعمل فيها (كنَّا)، لأنها مضافة إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف" [3].

رابعاً: القراءات:

"قرأ نافع والكسائي **{أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}** على الاستفهام في الأول والخبر فى الثاني، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم بالاستفهام في الموضعين جميعاً، إلا أنّ حمزة وعاصما يهمزان همزتين، وقرأ ابن عامر على الخبر في الأول والاستفهام في الثاني" [4].

خامساً: البلاغة:

الاستفهامان: أإذا وأإنا للتأكيد وشدة الحرص على البيان [5].

{وأولئك الأغلال في أعناقهم في}: هذه الآية فن من فنون العرب في كلامهم، وهو القلب وذلك، لأن الأعناق هي التي تكون في الأغلال ولا عكس [6].

سادساً: التفسير الإجمالي:

{وإن تعجب فعجب قولهم}: "وإن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا، بعد ما رأوا من قدرة الله في خلقه الأشياء التي ذكرها، فعجب قولهم **{أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد}:** أي هذا موضع عجب أنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة مما قد تبينوا" [7]، وهذا القول مشتمل على استفهامين من المشركين، يقصدون بهما أقصى درجات الإنكار، للعودة إلى الحياة مرة أخرى، حيث يخلقون

---

[1] تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر الفهري (ص 395).

[2] التفسير المنير، للزحيلي (111/13).

[3] إعراب القرآن، للأصبهاني (ص176).

[4] المرجع السابق (ص176).

[5] التفسير المنير، للزحيلي (110/13).

[6] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (87/5).

[7] التفسير البسيط، للواحدي (393/12).

خلقاً جديداً بعد أن تحللت أجسامهم، ونخرت عظامهم، وأصبحوا ترابا تذروه الرياح، ولو فكر هؤلاء المنكرون بعقولهم لعلموا أن من قدر على إنشاء تلك الكائنات وإبداعها من تراب، فإنه قادر على إعادتها، بل الإعادة في نظر القياس أهون، وإن كان كل شيء أمام قدرة الله سواء، فهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

وقد عقب الله هذه الجملة التي نعت عليهم تكذيبهم بقوله:

{أولئك الذين كفروا بربهم}: أي هؤلاء المكذبون للبعث هم الذين كفروا بربهم ولم يؤمنوا به. إذ لو آمنوا به وبأنه خالق السماوات والأرض كما يجيبون إذا سئلوا لعلموا أنه قادر علي بعث الأجساد بعد استحالتها إلى تراب تفرقت ذراته [(1)].

{وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار}: وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم، فأولئك أصحاب النار، وهم سكان النار يوم القيامة، **{هم فيها خالدون}**: هم فيها ماكثون أبدا، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها [(2)].

{ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة} "يعني: بالعذاب قبل العافية" [(3)]، "والاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، والمراد بالسيئة هنا هي العقوبة وبالحسنة العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم" [(4)],**{وقد خلت من قبلهم المثلات}**: قد مضت من قبلهم العقوبات والنقمات قبل قريش فيمن هلك، **{وإن ربك لذو مغفرة}** يقول: تجاوز للناس **{على ظلمهم}** يعني: على شركهم إن تابوا، ويقال: بتأخير العذاب عنهم، **{وإن ربك لشديد العقاب}** لمن مات منهم على شركه [(5)].

الفرق بين السيئة والخطيئة:

الفرق بينها وبين الخطيئة أن السيئة قد يقال فيما يقصد إليه في نفسه، والخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسه، بل يكون مقصودا إلى سببه كمن يرمي صيداً، فأصاب سهمه إنساناً أو شرب مسكراً، فجني على رجل جناية في سكره، ثم السبب في ذلك سببان، سبب محظور فعله، كشرب المسكر، وسبب غير محظور، فقيل في الأول الخطأ، وقد أخطأوا في الثاني خطأ، وقد خطى فهو خاطئ، والسيئة الكفر، فبين تعالى أن من تحرى طريق الكفر، ثم استمر مريرة في ترك الإقلاع إما الترك النظر، وإماما الشرارة، وإماما لشهوة مستولية عليه حتى

---

(1) انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (409/5).

(2) انظر: جامع البيان، للطبري (434/13).

(3) بحر العلوم، للسمرقندي (218/2).

(4) تفسير الخازن (6/3).

(5) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (218/2).

يصير ذلك كحائط عليه لا خروج له منه، فأولئك أصحاب النار، ومن قرأ (خطيئته)، فاعتبارا بالجنس، ومن قرأ (خطيئاته)، فاعتبارا بآحاد الذنوب [1].

{ويقول الذين كفروا}: "من أهل مكة لولا أي: هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم **{آية من ربه}**: يعني مثل عصى موسى، وناقة صالح ذلك لأنهم لم يقنعوا بما رأوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، **{إنما أنت منذر}**: أي ليس عليك يا محمد غير الإنذار والتخويف، وليس لك من الآيات شيء **{ولكل قوم هاد}**: قال ابن عباس: الهادي هو الله، وهذا قول سعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي، والمعنى إنما عليك الإنذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء، وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى: الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعنى: إنما أنت منذر وأنت هاد، وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني ولكل قوم نبي يهديهم" [2].

الرد على المشركين:

تضمنت هذه الآيات عجيب الكفار من إنكارهم لأمر البعث قائلين: **{أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد}** مع أن الله تعالى خلقهم أول مرة، وعابت عليهم أنهم لم ينظروا إلى آيات قدرته في خلق السموات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، ولو فكر هؤلاء المشركون بعقولهم لعلموا أن من قدر على إنشاء تلك الكائنات ، فإنه قادر على إعادتها، وإن كان كل شيء أمام قدرة الله سواء، فهو الذي يقول للشيء كن فيكون [3].

سابعاً: ما ترشد إليه الآيات:

1-"قوله تعالى: **{وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** احتج به العلماء على أن العذاب المخلد ليس إلا للكفار، فقالوا قوله: **{هم فيها خالدون}**، يفيد أنهم هم الموصوفون بالخلود لا غيرهم، وذلك يدل على أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار" [4].

2-"من أنكر البعث والقيامة، فهو كافر، لإنكاره القدرة الإلهية والعلم والصدق في الخبر، ويساق إلى جهنم بالأغلال والسلاسل، وهو خالد في النار، فهذه أوصاف ثلاثة لمنكري البعث: أولئك الذين كفروا بربهم، وأولئك الأغلال في أعناقهم، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" [5].

3-"تشير الآيات إلى وجوب الاتعاظ بمصير الأمم السابقة وتجنب أسباب هلاكها وتعذيبها، والعاقل الحصيف هو الذي يستفيد من أخبارهم وأحوالهم، فيقبل على الله تعالى بالمداومة على

---

[1] تفسير الراغب الأصفهاني (243/1).

[2] تفسير الخازن (6/3).

[3] انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (409/5).

[4] مفاتيح الغيب، للرازي (10/19).

[5] التفسير المنير، للزحيلي (116/13).

العبادات، والدعوة إليه، والاجتهاد في الدعوة إلى رسالة الإسلام بحسن المعاملة، والحكمة، والموعظة الحسنة" [(1)].

4-"إن الله تعالى لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وعن المذنبين إذا تابوا، وقد يعفو تعالى عن صاحب الكبيرة قبل التوبة في رأي أهل السنة، لأن قوله تعالى على ظلمهم أي حال اشتغالهم بالظلم، وحال الاشتغال بالظلم لا يكون المرء فيها تائبا، قال ابن عباس: أرجى آية في كتاب الله تعالى: وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم" [(2)].

5-تهدف الآيات إلى إيضاح حكمة عدم تلبية الله عز وجل لمطالب المشركين في رؤية معجزات مادية قاهرة لتعنتهم وشططهم، مع قدرته سبحانه وتعالى على تحقيق ما أرادوه، وقد كان الله عز وجل في الرسالات السابقة يستجيب لطلب بعض المعجزات، فيجريها على أيدي أنبيائه ورسله، للدلالة على صدق الدعوة، أما إذا كان طلب المعجزة فيه سوء قصد ورغبة في التفكه، فإنه سبحانه وتعالى لا يستجيب لطلبهم، ولا يلتفت إليهم لأنهم وطنوا أنفسهم على الجحود والعناد مهما رأوا من آيات وبراهين، ولم يعطهم مطلوبهم لعلمه تعالى أنهم لا ينتفعون به، قال تعالى **{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}** [الأنفال:23]، فسبحانه يخلق من المعجزات ما يشاء بقدرته، ويختار بحكمته ما يشاء منها، وليس بمقدور الخلق، ولا من حقهم أن يختاروا على الله ما يشاؤون، وكل نبي يدعو قومه بما يعطيه الله من الآيات، لا بما يقترح القوم على أنبيائهم حسب مراد كفرهم [(3)].

6-"إن في قوله تعالى: **{ولكل قوم هاد}** دليلاً على أن دعوة الرسل جميعاً إلى توحيد الله ثم عبادته دعوة واحدة، أما شرائعهم فمختلفة، والشريعة ما أنزل الله سبحانه وتعالى للناس من أحكام لتنظيم حياتهم على لسان رسله الكرام، مصداقاً لقوله تعالى **{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}** [المائدة:48]، ويستفاد من ذلك أن الشرائع التي تقدمت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، كانت محصورة في أقوام معينة وأزمان محدودة، في حين كانت رسالة خاتم الأنبياء، والمرسلين عالمية لصلاحيتها لكل زمان ومكان مصداقاً لقوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سبأ:28]" [(4)].

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (584/4).

(2) التفسير المنير، للزحيلي (116/13).

(3) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (584/4).

(4) المرجع السابق (585/4).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (8-15)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: من دلائل علم الله وعظيم سلطانه.

المقطع الثاني: مصير الدعوات.

المقطع الأول

من دلائل علم الله وعظيم سلطانه

قال تعالى: **{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}** [الرعد:8-13].

أولاً: المناسبة:

"بعد أن حكى الله سبحانه إنكار المشركين للبعث واستبعادهم له، أورد الأدلة على قدرته على ذلك بعلمه المحيط بكل شيء، فهو يعلم ما في الأجنة التي في البطون، ويعلم الغائب عنا والمشاهد لنا، ويعلم السر وأخفى، ويعلم جميع أجزاء الإنسان المتناثرة ومواضعها في البر والبحر وأجواف الحيوان، فيعيدها مرة أخرى.

وبعد أن حكى عن المشركين أنهم طلبوا آيات أخرى غير ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، بين أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، فيعلم من حالهم أنهم: هل طلبوا الآية الأخرى للاسترشاد، أو لأجل التعنت والعناد؟ وهل ينتفعون بظهور تلك الآيات، أو يزداد إصرارهم على الكفر واستكبارهم؟" [1].

ثانياً: أسباب النزول:

اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

1-أنها نزلت في كفار مكة، حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم العذاب استهزاءً منهم بذلك.

2-أنها نزلت في مشركي العرب.

3-أنها نزلت في النضر بن الحارث [2].

"فجاءت هذه الآيات رداً على منكري البعث، فقال: **{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى}**" [3].

---

[1] التفسير المنير، للزحيلي (119/13).

[2] انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (483/2).

[3] المرجع السابق (484/2).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

***{تَغِـيضُ}:** غـاضَ المـاءُ يَغـيضُ غَيْضـاً، أي قَـلَّ ونضـب وغـاضَ ثمـنُ السِـلعةِ، أي نقـص، وقولـه تعـالى: **{ومـا تغـيضُ الأرحـامُ}** ، قـال الاخفـش: أي ومـا تـنقص، وغَيَّضْـتُ الـدمعَ: نقصـته وحبسـته، ويقـال: غـاض الكـرام، أي قلـوا، وفـاض اللئـام، أي كثـروا، وقـولهم: أعطـاه غَيْضـاً مـن فـيضٍ، أي قلـيلاً مـن كثيـر [1].

{ومـا تغـيضُ الأرحـامُ}: أي تفسـده الأرحـام، فتجعلـه كالمـاء الـذي تبتلعـه الأرض، والغـيض: المكـان الـذي يقـف فيـه المـاء فيبتلعـه، وليلـة غائضـة: أي مظلمة [2].

قـال المراغـي: أي ومـا تنقصـه الأرحـام، ومـا تـزداده فـي عـدد الولـد...، وفـي جسـده، فقـد يكـون تامـاً، وقـد يكـون نـاقص الخلـق، وهـو المخـدج [3]، وفـي ذلـك إخبـار عـن عمـوم علـم الله تعـالى وسـعة اطلاعـه، وإحاطتـه بكـل شـيء، ومـا تنقص الأرحام مما فيها إما بإهلاك الحمل، أو تضاؤله، أو اضمحلاله [4].

***{الْأَرْحَـامُ}:** "جمـع رحـم بفـتح الـراء وكسـر الحـاء وبكسـر الـراء وسـكون الحـاء مسـتودع الجنين في أحشاء الحبلى، وهي مؤنثة، والرحم أيضا القرابة والمراد هنا الأول" [5].

***{سَـارِبٌ}:** "سَـرَب يَسْـرُب سُـرُوباً: خـرج، وسـرب فـي الأرض: ذهـب، وفـي التنزيـل: **{ومـن هـو مسـتخف بالليـل وسـارب بالنهـار}:** أي ظـاهر بالنهـار فـي سربه، ويقـال: خـل سـربه أي طريقـه، فـالمعنى: الظـاهر فـي الطرقـات، والمسـتخفي فـي الظلمـات، والجـاهر بنطقـه، والمضمر في نفسه، علم الله فيهم سواء" [6].

***{مُعَقِّبَـاتٌ}:** "أي جماعـة مـن ملائكـة يعقـب بعضـهم بعضـا فـي حفظـه، يحفظونـه مـن أجـل أمـر الله لهـم بحفظـه" [7]، وصـيغت صـياغة الجمـع المؤنـث، علـى الـرغم مـن دلالتهـا على جمع الذكور، وهم الملائكة، وفُسّر ذلك على معنيين:

---

[1] انظر: الصحاح، للفارابي (1096/3).

[2] انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني (ص619).

[3] انظر: تفسير المراغي (74/13).

[4] انظر: تفسير السعدي (414/1).

[5] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (88/5).

[6] لسان العرب، لابن منظور (462/1).

[7] مجمع بحار الأنوار، للكجراتي (632/3).

الأول: التأنيث على معنى المبالغة في التكرار والكثرة، على نحو قولهم لمن كثر علمه: علامة، ونسابة.

الثاني: أن يكون "معقبة" صفة لجماعة، ثم جمع هذا الوصف [1].

يقول سيد قطب رحمه الله: "والحفظة التي تتعقب كل إنسان، وتحفظ كل شاردة، وواردة، وكل خاطرة وخالجة، والتي هي من أمر الله" [2].

*{**يُجَادِلُونَ**}: من الجدل، وهو شدة الخصومة، وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتلته، كأن المجادلين يفتل كل منهما الآخر عن رأيه [3].

*{**شَدِيدُ الْمِحَالِ**}: من المماحلة، والمكايدة لأعدائه، يقال محل فلان بفلان إذا كايده، وعرضه للهلاك، وتمحل إذا تكلف باستعمال الحيلة [4].

ثالثاً: الإعراب:

{الله يعلم ما تحمل كل أنثى}: {ما} تحتمل ثلاثة أوجه متساوية:

الأول: أن تكون موصولة في محل نصب مفعول **{يعلم}** وجملة **{تحمل كل أنثى}** صلة والعائد محذوف أي تحمله.

الثاني: أن تكون مصدرية وهي مع مدخولها مفعول **{يعلم}** فالجملة بعدها لا محل لها.

الثالث: أن تكون استفهامية، إما مبتدأ، وجملة **{تحمل}** خبر والجملة معلقة للعلم، وما مفعول مقدم ل**{تحمل}** [5].

معاني الإعراب:

المعنى الأول: الله يعلم الذي تحمله كل انثى في بطنها، وعمومها يقتضي علم الله بحال الحمل الموجود من ذكورة وأنوثة، وتمام ونقص، وحسن وقبح، وطول وقصر ولون، وغيرها من شقاوة وسعادة ورزق [6].

المعنى الثاني: أي أن الله يعلم حمل كل أنثى، وعلى هذا يكون المصدر المؤول منصوب ب(يعلم) [7].

---

[1] انظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، للطالب: د.عبد الرزاق االقادوسي (ص242).

[2] في ظلال القرآن (2049/4).

[3] انظر: في رحاب التفسير، لعبد الحميد كشك (1875/3).

[4] انظر: المرجع السابق (1875/3).

[5] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (88/5).

[6] انظر: فتح القدير، للشوكاني (92/3). .

[7] انظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (88/5).

المعنى الثالث: الله يعلم ما تحمل في بطنها، وعلى أي حال هو، وفي هذا المعنى تكون ما مفعول لتحمل، والجملة من الفعل ومفعولها في موضع نصب مفعول ل(يعلم) (1).

رابعاً: القراءات:

{المتعال}: قرأها ابن كثير، ويعقوب بياء في الوقف والوصل **{المتعالي}** (2).

خامساً: البلاغة:

"يوجد طباق في **{تغيض وتزداد}**، وفي **{الغيب والشهادة}**، وفي **{أسر وجهر}**، وفي **{بالليل وبالنهار}**، وفي **{مستخف وسارب}**" (3).

سادساً: التفسير الإجمالي:

يستمر السياق القرآني في هذه الآيات في بيان قدرة الله عز و جل، فدلائل قدرته بارزة للناس كافة، فلا يخفى عليه سبحانه شيء من حال خلقه، وهو الذي يرسل السحاب الثقال، وما يحمله من نافع الغيث لجميع الكائنات الحية (4).

أولاً: أطوار خلق الإنسان:

1-علم الله بما تحمل الأنثى:

{الله يعلم ما تحمل كل أنثى}: "يخبر الله تعالى في هذه الآية عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، أهو ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد، حسن أو قبيح، ذو خصائص وأوصاف، طويل العمر أو قصيره.

وإذا أمكن معرفة نوع الجنين علميا بالتحليل مثلا من كونه ذكرا أو أنثى، فلا يكون ذلك معارضا الآية، لأن علم الله لا ينحصر به، وإنما علمه واسع محيط بكل شيء من الخواص والصفات الأخرى" (5).

2- علم الله بما تغيض الأرحام وما تزداد:

يحتمل قوله: **{وما تغيض الأرحام وما تزداد}** وجهين:

الأول: {وما تغيض الأرحام} أي: ما لا تحمل شيئا؛ وهي التي تكون عقيما لا تلد، والغيضوضة تكون ذهاب الشيء، قال تعالى: **{وغيض الماء}**، أي: ذهب، **{وما تزداد}** أي: ما تحمل.

---

(1) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (356/6).

(2) العنوان في القراءات السبع، للسرقسطي (ص114).

(3) التفسير المنير، للزحيلي (119/13).

(4) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (587/4).

(5) المرجع السابق (120/13).

{وما تغيض الأرحام} أي: تلد بدون الوقت الذي تلد النساء، فتنقص عن التسعة أشهر **{وما تزداد}** على الوقت الذي تلد النساء فتزيد على تسعة أشهر [1].

{وكل شيء عنده بمقدار} "أي: بقدر، قال ابن عباس: يريد علم كل شيء فقدره تقديرا بما يكون قبل أن يكون، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة" [2].

{عالم الغيب والشهادة} "الغائب ما لا يعرفه الخلق، والشاهد ما يعرفه الخلق، وهو تعالى عالم بكل الأحوال على التفصيل، **{الكبير}** وهو تعالى يمتنع أن يكون كبيرا بحسب الجثة والحجم والمقدار، فوجب أن يكون كبيرا بحسب القدرة والمقادير الإلهية ثم وصف تعالى نفسه بأنه **{المتعال}** وهو المتنزه عن كل ما لا يجوز عليه وذلك يدل على كونه منزها في ذاته وصفاته وأفعاله فهذه الآية دالة على كونه تعالى موصوفا بالعلم الكامل والقدرة التامة، ومنزها عن كل ما لا ينبغي، وذلك يدل على كونه تعالى قادرا على البعث الذي أنكروه وعلى الآيات التي اقترحوها وعلى العذاب الذي استعجلوه، وأنه إنما يؤخر ذلك بحسب المشيئة الإلهية عند قوم وبحسب المصلحة عند آخرين" [3].

{سواء منكم}: مستو منكم **{من أسر القول}**: أي أخفاه وكتمه **{ومن جهر به}** أعلنه وأظهره، والمعنى: أن السر والجهر سواء عنده، **{ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار}** المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرف في حوائجه [4].

{له معقبات} أي لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار، **{من بين يديه}** أي المستخفي بالليل، والسارب بالنهار، **{يحفظونه من أمر الله}**: الحفظ يحتمل أن يكون توكيل الملائكة بهم لحفظهم من الوحوش والهوام والأشياء المضرة، لطفا منه بهم **{من أمر الله}**: أي بأمر الله وبإذنه [5].

ثانياً: قانون التغيير الإلهي في القرآن الكريم:

{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} جرت السنة الإلهية بأنه تعالى لا يبدل ما بقوم من نعمة وعافية وأمن ودعة، حتى يتركوا ما تعودوه واتصفوا به من عمل صالح وخلق قويم متجهين إلى أضداها، لأنهم بذلك قد أهملوا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وحينئذ يستحقون الحرمان من النعمة وقد يضم إليه إنزال العذاب بهم إن عظمت ذنوبهم وقد يصاب به الصالحون الذين يعيشون بينهم، وذلك على سبيل الابتلاء لا على سبيل العقاب، وقد يشتركون في استحقاق

---

[1] انظر: تفسير الماتريدي (313/6).

[2] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (484/2).

[3] مفاتيح الغيب، للرازي (16/19).

[4] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (485/2).

[5] انظر: تفسير القرطبي (292/9).

العقوبة، لتراخيهم في الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، ويصح أن يكون المعنى: إن الله لا يغير ما بقوم من العقاب والبلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعاصي، ليكون أهلا لعفوه ورحمته[1]، فالله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فإن كانوا في خير يأتيهم رزقهم رغداً من كل مكان، لا يغير حالهم إلى ضراء وبأساء إلا إذا غيروا حالهم إلى شر وانحراف، ولا يغير حال قوم أصابهم الضر والشر والخذلان والهزيمة أمام الاعداء، إلا إذا غيروا حالهم من فساد إلى صلاح، ومن تخاذل نفسي، وتفريق كياني، إلا إذا غيروا أنفسهم، واجتمعوا على الحق [2].

{وإذا أراد الله بقوم سوءاً}: أي وإذا شاء الله بقوم بلاء من مرض أو فقر أو هزيمة أو عذاب أو غير ذلك مما يسوء ويؤلم، **{فلا مرد له}:** أي فلا دافع لبلائه على اختلاف أنواعه، وقيل إذا أراد الله بقوم سوءا أعمى أبصارهم وبصائرهم فاختاروا ما فيه هلاكهم، وعملوه بأنفسهم فيستحيل لذلك رده عنهم، **{وما لهم من دونه من وال}:** أي ليس لهم ملجأ غيره يقيهم من أخذ الله لهم ويتولى أمورهم فيمنعهم ويدفع عنهم السوء الذي ينزله بهم، بسبب تغيير ما بأنفسهم، وفي هذا دلالة قاطعة على أن تخلف مراد الله محال، وإيذان بأنهم بسبب إنكارهم البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية، قد استحقوا العذاب الشديد، والعقاب الأليم الذي لا يستطيع أحد دفعه عنهم، إذا أراده الله بهم [3].

ثالثاً: من آيات الله التي تحمل الخوف، والطمع في كرم الله:

{هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً} "يعني: خوفا للمسافر، وطمعا للمقيم الحاضر، ويقال: خوفا لمن يخاف ضرر المطر، وطمعا لمن يحتاج إلى المطر، لأن المطر يكون لبعض الأشياء ضررا، ولبعضها رحمة، **{وينشئ السحاب الثقال}** يخلق السحاب الثقال من الماء" [4].

{ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته}، إن حدوث الرعد دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص، فإن صوت الرعد يسبح الله عز وجل لأن التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه لله عز وجل عن جميع النقائص، تسبيحا ومنه قوله: وإن من شيء إلا يسبح بحمده، وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح إليه، وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته [5].

---

[1]انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (417/5).

[2]انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (3911/7).

[3]انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (417/5).

[4]تفسير السمرقندي (220/2).

[5]تفسير الخازن (9/3).

{ويرسل الصواعق}: قيل: الصعقة: الصيحة التي فيها موت البعض، ويذهب عقل البعض، كقوله: فصعق من في السماوات ومن في الأرض، وقيل: هي اسم العذاب، **{وهم يجادلون في الله}** أي: في توحيد الله؛ لأن أهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله وألوهيته **{وهو شديد المحال}** شديد الانتقام والعقوبة [1].

حكمة تخصيص البرق في الآية الكريمة:

"ورد تخصيص البرق في هذه الآية لأحد أمرين:

-إما رجاء الخير منه لوفرة المطر واعتدال سقوطه معاً فيتأتى عنه خصب الزرع والضرع، وكلاهما ضروري لحياة الإنسان الذي يعيش عليهما وتنعدم حياته بدونهما، وهذا داخل في باب نعمة الله وفضله على عباده.

-أو ذهاب بأبصار الناس لشدة بريقه حين يضيء جانباً من قبة السماء، كما في الصواعق الحارقة والأمطار الشديدة المدمرة، وما ينجم عنها من السيول الجارفة، وهذا مندرج في باب الخوف من نقمة الله على بعض عباده" [2].

سابعاً: ما ترشد إليه الآيات:

1-دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وحال حركتهم، يعلم أيضا ما هو مختف في قعر بيته في ظلام الليل، والتنصيص على هذه الحالة تنبيه على رقابة الله في كل مكان قد يظن صاحبه أنه بتواريه عن أنظار الناس، لا يطلع عليه أحد [3].

2-"تؤكد الآيات عدم جواز التطير من هبوب الريح أو صوت الرعد، أو البرق أو المطر الشديد فالقدر تدبير الله للأشياء حسب علمه، وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن".

3-"تقرر الآيات أن للدعاء والتضرع عند نزول الغيث أثراً عظيماً، لأجل ذلك شرعت صلاة الاستسقاء عند انحباس المطر"[4].

---

(1) انظر: تفسير الماتريدي (320/6).

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (587/4).

(3) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (122/13).

(4) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (587/4).

المقطع الثاني

مصير الدعوات

قال تعالى: **{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}** [الرعد15-16].

أولاً: التحليل اللغوي:

***{الْغُدُوِّ}**: "من غدا يغدو غُدُوًّا، وهو بالضم ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس" [(1)].

***{الْآصَالِ}**: "جمع الأصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب ويجمع أيضا على آصال وأصائل وأصل وأصلان" [(2)]، وقيل غير ذلك قيل هو بعد العشاء [(3)].

ثانياً: البلاغة:

{إلا كباسط كفيه}: "تشبيه تمثيلي، شبه حال الكافرين في دعاء الأصنام بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه بكف مبسوط، أو شبه عدم استجابة الأصنام لمن يدعونها بعدم استجابة الماء لباسط كفيه إليه من بعيد" [(4)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

أولا: دعوة الحق:

وفيه فيه وجهان:

الأول: أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل، كما تضاف الكلمة إليه في قولك: كلمة الحق، للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به، وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة، ويعطى الداعي سؤاله إن كان مصلحة له، فكانت دعوة ملابسة للحق، لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء، لما في دعوته من الجدوى والنفع، بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه.

الثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا، على معنى: دعوة المدعوّ الحق الذي يسمع فيجيب [(5)].

---

(1) مجمع بحار الأنوار، للكجراتي (13/4).

(2) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (106/5).

(3) مجمع بحار الأنوار (62/1).

(4) التفسير المنير، للزحيلي (129/13).

(5) انظر: المرجع السابق.

ثانياً: عبادة غير الله:

{والذين يدعون من دونه} "أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى، لا يستجيبون لهم بشيء، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر، **{إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه}** أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء، والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذي يدعو الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء، وقيل: معناه كالرجل العطشان الذي يريد الماء من بعيد، فهو يشير بكفه إلى الماء، ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا" [1].

ثالثاً: حقيقة السجود لله تعالى:

{ولله يسجد من في السموات والأرض}: (يسجد) على حقيقة السجود يسجد له المؤمن، والكافر جميعا أما المؤمن فإنه يسجد له بالاختيار والطوع [2]، فمن الناس من دخل في الإسلام طوعا ومنهم من لم يدخل حتى فحص عن رأسه بالسيف، فسجد ودخل في الإسلام في أول أمره كرها،

وجائز أن يكون **{طوعا وكرها}**: أن يكون السجود الخضوع لله، فمن الناس من يخضع ويقبل أمر الله فيما سهل عليه، ومنهم من تقبله وإن كان عليه فيه كره [3].

ويحتمل ما ذكر من السجود وجوها:

الأول: حقيقة السجود فإن كان هذا فهو في الممتحنين خاصة.

الثاني: سجود الخلقة فإن كان على هذا فهو في جميع الخلائق جعل الله في خلقة كل شيء دلالة وحدانيته، وآية ألوهيته وربوبيته.

الثالث: سجود الأحوال، فهو في المؤمن والكافر جميعا أما المؤمن فهو يسجد له في كل حال وأما الكافر فإنه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضيق ولا يسجد له في حال السعة والرخاء ويشبه أن يكون الكافر يكون سجوده لله اختيارا وطوعا حيث قالوا: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، وقولهم: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) إنهم؛ وإن عبدوا الأصنام؛ فيرون السجود والعبادة لله، لكنه لم يقبل ذلك منهم؛ لإشراكهم غيره في ذلك [4].

---

[1] تفسير البغوي (13/3).

[2] تفسير الماتريدي(322/6).

[3] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (144/3).

[4] تفسير الماتريدي (322/6).

{وظلالهم بالغدو والآصال} أي: يسجد ظلالهم بالغدو والآصال، ينتقل ظل كل أحد بانتقال نفسه؛ ينتقل حيث تنتقل نفسه؛ فذكر الغدو والآصال؛ لأنه بالغدو والعشي يظهر الظل.

ويحتمل السجود: أنه يسجد له؛ أي: يخضع له من في السماوات والأرض طوعا وكرها؛ فإن كان على الخضوع؛ فهو في الخلائق كلهم؛ في البشر وغير البشر؛ وذي الروح وغير ذي الروح [1].

رابعاً: ما ترشد إليه الآيات:

1-في الآية دليل على يأس الكفار والمشركين، وتوهمهم في نفع آلهتهم لهم إذ كانوا يستنصرون ويستمطرون ويستشفون بها، فدعوتهم لآلهتهم غير حق، فهذه الآلهة بزعمهم لا تستجيب لهم دعاء، ولا تسمع لهم نداء، أو استغاثة، ودعوة الحق وقف على الله تعالى، وما دعاءهم إلا ضلال وشرك كالسراب الذي يراه الظمآن ماءاً في الصحراء، أو من يرى خياله في الماء، ولا يستطيع إليه طلباً حتى يدركه الموت عطشاً، أو لا تناله كفاه لبعده وصعوبة الوصول إليه [2].

2-لله الدعوة الحق، فمن يدعوه فدعوته هي الحق، أما دعاء الأصنام وأمثالها من الآلهة المزعومة دون الله فهو باطل لا يفيد شيئا.

3-الآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله لا يحققون لأحد مطلبا، وما استجابتهم إلا كاستجابة الماء لباسط كفيه إلى الماء، والماء جماد لا يشعر بأحد ولا بحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاء داعيه، فكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم.

4-دل قوله: **{ولله يسجد..}** على أنه يجب على كل من في السموات والأرض أن يسجد لله إما طوعا أو كرها، والسجود عبارة عن الانقياد والخضوع وعدم الامتناع، وكل من في السموات والأرض ساجد لله بهذا المعنى لأن قدرته ومشيئته نافذة في الكل.

5-دل قوله: **{وظلالهم بالغدو والآصال}** على أن كل شخص، سواء كان مؤمنا أو كافرا، فإن ظله يسجد لله. قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد لله طوعا، وهو طائع، وظل الكافر يسجد لله كرها، وهو كاره. وقيل: إن المراد من سجود الظلال أي ظلال الخلق: ميلانها من جانب إلى جانب، وتختلف طولا وقصرا بسبب انحطاط الشمس وارتفاعها، فهي منقادة مستسلمة في طولها وقصرها وميلها من جانب إلى جانب. وإنما خصص الغدو والآصال بالذكر لأن الظلال إنما تعظم وتكثر في هذين الوقتين [3].

---

[1] تفسير الماتريدي(322/6).

[2] الكشاف، للزمخشري (521/2).

[3] انظر: التفسير المنير، للزحيلي (137/13).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (16-18)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: ضرب المثل للحق والباطل.

المقطع الثاني: الترغيب والترهيب .

المقطع الأول

ضرب المثل للحق والباطل

قال تعالى: **{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}** [الرعد16-17].

أولاً: المناسبة:

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة أن في الأرض دعوتين: دعوة الحق، ودعوة الباطل، وذكر أن دعوة الله هي دعوة الحق، ودعوة ما يعبدون من دونه هي دعوة الباطل، ذكر تعالى هنا مثلين ضربهما للحق وأهله، والباطل وحزبه، ليتضح الفرق بين الهدى والضلال، والرشد والغي، ثم أعقبه بذكر مآل المؤمنين في دار النعيم، والكافرين في دار الجحيم (1).

ثانياً: التحليل اللغوي:

***{أَوْدِيَةٌ}**: الاودية جمع وادٍ وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء، والفرجة بين الجبلين، وقد يراد به الماء الذي يجري فيه (2).

***{زَبَدًا رَابِيًا}**: "الزبد: ما يعلو الماء وغيره من الرغوة عند غليانه، أو سرعة حركته، هاج البحر فكثر زبده، **{فأما الزبد فيذهب جفاء}**: هو: خبث، ما يخرج من المعادن من نفايات عند صهرها **{ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله}**" (3)، رابياً: "عالياً مرتفعاً فوق الماء، فالسيل له زبد عالٍ لا ينتفع به" (4).

***{حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ}**: الحلية هو ما يُتحلى به، أي يتزين، وهو المصوغ، وأما المتاع: فهو ما ينتفع به من الحديد والنحاس والرصاص (5)، وهو ما يتمتع به وينتفع به مما يتعامل به الناس من الذهب والفضة (6).

---

(1)صفوة التفاسير، للصابوني (73/2).

(2)انظر: في رحاب التفسير، لعبد الحميد كشك (1879/3).

(3)معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر (971/2).

(4)تفسير البغوي (14/3).

(5)انظر: تفسير مجاهد، لمجاهد المخزومي (604/1).

(6)انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور(120/13).

*{**جُفَاءً**}: الزبد الجفاء: أي من زبد اجتمع للماء، يقال: جفأ الوادي جفاء، إذا رمى بالزبد والقذى، ومنه: انطلق جفاء من الناس، أي سرعانهم وأوائلهم، شبهوا بجفاء السيل، أي: أخفاء من الناس، {**فأما الزبد فيذهب جفاء**}: أي الباطل وإن علا في وقت فهو إلى اضمحلال، منه: جفأت القدر إذا رميت بما يجتمع على رأسها من الزبد والوسخ، فجفأوا القدور: أي فرغوها وقلبوها[1].

ثالثاً: الإعراب:

{**في النار**}: "متعلق ب{**توقدون**}؛ لأنه قد يوقد على ما ليس في النار، كقوله: {**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ**} [القصص: 38] فهذا إيقاد على ما ليس في النار، وإن كان يلحقه وهجها ولهيبها" [2].

معنى الإعراب:

"يريد أن هذه الجواهر تدخل النار فيوقد عليها، والذي يوقد عليه لابتغاء الحلية، هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه لابتغاء الأمتعة، الحديد والصفر والنحاس والرصاص، يتخذ منها الأواني والأشياء التي ينتفع بها، والمتاع كل ما يتمتع به" [3].

رابعاً: القراءات:

{**أم هل يستوي الظلمات**}: "بالياء، الكوفيون سوى حفص، الباقون بالتاء، وخالف هشام أصله فاظهر اللام عند التاء" [4].

{**ومما يوقدون عليه**}: "بالياء، الأخوان وحفص" [5].

توجيه القراءات:

{**توقدون**} بالتاء على الخطاب، وهذا الخطاب فيه وجهان:

الأول: أنه خطاب للمذكورين في قوله: {**قل أفاتخذتم من دونه أولياء**}.

الثاني: أنه يجوز أن يكون خطابا عاما يراد به الكافة، كأنه قال: ومما توقدون عليه في النار أيها الموقدون [6].

خامساً: البلاغة:

{**قل الله**}: فيه إيجاز بالحذف، أي الله خالق السموات والأرض.

---

[1] مجمع بحار الأنوار (367/1).

[2] التفسير البسيط، للواحدي (335/12).

[3] المرجع السابق (335/12).

[4] العنوان في القراءات السبع، للسرقسطي (ص114)

[5] المرجع السابق (ص114)

[6] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (30/19).

{الأعمى والبصير} و**{الظلمات والنور}**: فيهما طباق.

{هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور}: فيهما استعارتان، استعار لفظ الأعمى للمشرك، والبصير للمؤمن، واستعار لفظ الظلمات والنور للكفر والإيمان .

{أم جعلوا}: الهمزة للإنكار، أي بل جعلوا [(1)].

"**{أنزل من السماء ماء فسالت أودية}**: شبه تعالى الحق والباطل بتشبيه رائع يسمى: التشبيه التمثيلي، لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، فمثل الحق بالماء الصافي الذي يستقر في الأرض، والجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد، ومثل الباطل بالزبد والرغوة التي تظهر على وجه الماء، والخبث من الجوهر الذي لا يلبث أن يتلاشى ويضمحل، والصورة التي توحي بها الآية، صورة الحق والباطل، وهما في صراع كالزبد الذي تتقاذفه الأمواج **{فأما الزبد فيذهب جفآء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}** وهو تمثيل في منتهى الروعة والجمال.

{فسالت أودية بقدرها}: مجاز عقلي من إسناد الشيء لمكانه والأصل فسالت مياه الأودية.

{كذلك يضرب الله الحق والباطل}: فيه إيجاز بالحذف أي: أمثال الحق، وأمثال الباطل"[(2)].

سادساً: التفسير الإجمالي:

أولاً: عقيدة التوحيد وعجز آلهتهم لأنها مخلوقة:

وتمثلت في قوله تعالى: **{قل من رب السموات والأرض قل الله}**: حيث قرر تعالى أنه لا إله إلا هو، أنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو ربهما ومدبرهما، وهم مع هذا اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، مع أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً [(3)].

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش **{من رب السموات والأرض}** ثم أمره أن يقول لهم: **{قل الله}** إن لم يقولوا ذلك إفهاماً، قالوه تقريراً لأنه جعل ذلك إلزاماً، **{قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً}** ثم أمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا بعد اعترافهم بالله: أفاتخذتم من دون الخالق المنعم

[(1)] انظر: التفسير المنير، للزحيلي (138/13).

[(2)] صفوة التفاسير، للصابوني (778/2).

[(3)] انظر: في رحاب التفسير، لعبد الحميد كشك (1878/3).

آلهة من أصنام وأوثان فعبدتموها من دونه , لا يملكون لأنفسهم نفعاً يوصلونه إليها ولا ضراً يدفعونه عنها , فكيف يملكون لكم نفعاً أو ضراً؟ وهذا إلزام صحيح [1].

ثانياً: ضرب المثل للمؤمن والكافر:

قال تعالى **{قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور}** وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كالأعمى والبصير , والهدى والضلالة كالظلمات والنور , فالمؤمن في هُداه كالبصير يمشي في النور , والكافر في ضلاله كالأعمى يمشي في الظلمات , وهما لا يستويان , فكذلك المؤمن والكافر لا يتسويان , وهذا من أصح مثل ضربه الله تعالى وأوضح تشبيه [2]، وهل تستوي الظلمات التي لا ترى فيها المحجة فتسلك ولا يرى فيها السبيل فيركب، والنور الذي يبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟ يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه في حيرة يضرب أبدا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفة منه بأن له مثيبا يثيبه على إحسانه، ومعاقبا يعاقبه على إساءته، ورازقا يرزقه، ونافعا ينفعه [3].

{أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه} قال ابن الأنباري: معناه أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر على هذا حتى يشتبه الأمر، بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق، وسائر الشركاء لا يخلقون خلقاً يتشابه بخلق الله [4]، "بل إذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيئا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء، وإذا كان الأمر كذلك فقد لزمتهم الحجة، وهو قوله تعالى: **{قل الله خالق كل شيء}**: أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين: الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا، وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لأن الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق وهو الواحد يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الأشياء كلها القهار لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وإرادته"[5].

ثالثاً: ضرب المثل للحق والباطل:

{أنزل من السماء ماءاً}: "لما شبه الله عز وجل الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور ضرب لذلك مثلا، فقال تعالى: **{أنزل من**

---

[1] تفسير الماوردي (105/3).

[2] تفسير الماوردي (105/3).

[3] جامع البيان، للطبري (494/13).

[4] التفسير الوسيط، للواحدي (12/3).

[5] تفسير الخازن (12/3).

السماء ماءاً} يعني المطر **{فسالت أودية بقدرها}**، أودية جمع واد، وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيها الماء، وقوله: فسالت أودية فيه اتساع، وحذف، تقديره فسال في الوادي، فهو كما يقال جري النهر، والمراد جرى الماء في النهر، فحذف في، لدلالة الكلام عليه، **{بقدرها}** قال مجاهد: بمثلها، وقال ابن جريج: الصغير بقدره والكبير بقدره، وقيل: بمقدار مائها وإنما نكر أودية لأن المطر إذا نزل لا يعم جميع الأرض، ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد، فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير" [1].

ضرب المثل في هذه الآية:

قال ابن عباس: أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور، والبيان بنزول المطر لأن المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية، لأن الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الإيمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها، وهذا خاص بالمؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بنزول القرآن.

قال العلماء: والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لأنهم منها خلقوا.

النوع الأول: الأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك، وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى من غير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره.

النوع الثاني: أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها، وهي إمساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة، لكن ليس لهم أفهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج إليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره.

النوع الثالث: أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة، ولا أفهام ثاقبة فإذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم [2].

أخرج البخاري ومسلم بسنديهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،

---

[1] المرجع السابق (13/3).

[2] انظر: تفسير الخازن (13/3).

وكـان منهـا أجـادب أمسـكت المـاء نفـع الله بهـا النـاس، فشـربوا منهـا وسـقوا ورعـوا، وأصـاب طائفـة منهـا أخـرى إنمـا هـي قيعـان لا تمسـك مـاء ولا تنبـت كـلأ فـذلك مثـل مـن فقـه فـي ديـن الله ونفعـه مـا بعثنـي الله بـه فـتعلم، وعلـم ومثـل مـن لـم يرفـع بـذلك رأسـا ولـم يقبـل هـدى الله الذي أرسلت به) [1].

ففي هذه الآية مثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلى منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا، يثبت الماء في منافعه، وتبقى آثاره في العيون والآبار، والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة، بزبد السيل الذي يرمى به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب [2].

سابعاً: ما ترشد إليه الآيات:

1-"الله خالق كل شيء، فلزم لذلك أن يعبده كل شيء، والآية رد على المشركين والقدرية الذين زعموا أنهم خلقوا كما خلق الله، والله تعالى هو الواحد قبل كل شيء، والقهار الغالب لكل شيء، الذي يغلب في مراده كل مريد، فكيف يصح بعد هذا القول بشريك لله" [3].

2- "استدل أهل السنة بهذه الآية **{قل الله خالق كل شيء}** على خلق الأفعال، أي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن العبد لا يخلق فعل نفسه لأن فعله شيء والله خالق كل شيء، وإنما يحصل منه الكسب والتوجيه واختيار ما خلق الله له" [4].

3- "حكمة تشبيه الكافرين بالزبد الذي يطفو فوق الماء، والخبث الذي يطفو عن صهر الذهب والمعادن، تقرير عالمية دعوة الحق التي فيها نفع للبشرية إلى قيام الساعة، كنفع الماء للكائنات الحية، إذ لا خيار للبشرية إلا بهذه الرسالة المخلصة لها من ضلالاتها، وأوجاعها، وهمومها، على مدار العصور، وكر الدهور، تماماً كما يمكث في الأرض من ماءٍ زلال، وذهب صافٍ، فبوفرتهما تنعم الدول، والممالك، والبشر، وتشعر بالضيق، والحرج من قلتهما، أوشحهما، فالبشرية

---

[1] صحيح البخاري، واللفظ له: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، رقم (79) (27/1)، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (2282) (1787/4).

[2] انظر: تفسير الزمخشري (522/2).

[3] التفسير المنير، للزحيلي (142/13).

[4] المرجع السابق (142/13).

اليوم لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها، إلا بالإسلام الحق، وحاجته إليه كحاجة الإنسان والحيوان والنبات للماء" [(1)].

4- تشبيه الحق والإيمان بالماء المستقر والمعدن النقي الصافي، وتشبيه الباطل والكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتنسفه الرياح، أو تشبيهه بالطافي فوق المعدن المذاب فكذلك الكفر وشبهاته وخيالاته تذهب وتضمحل، ويبقى الجوهر الصافي من الماء، والمعدن النقي، وهذان المثلان اللذان ضربهما الله للحق في ثباته، والباطل في اضمحلاله، يلفتان النظر إلى عواقب الأمور، فالمراد تشبيه القرآن وما يدخل منه القلوب بالمطر، لعموم خيره وبقاء نفعه، وشبه القلوب بالأودية، يدخل فيها من القرآن مثلما يدخل في الأودية بحسب سعتها وضيقها [(2)].

5- "مثل الله تبارك وتعالى الحق الذي هو القرآن الكريم في نزوله من عند الله، واستقراره في قلوب المؤمنين، وثباته فيها وانتفاعهم به بمقدار الحكمة موزونا بميزان العلم والمعرفة كل شيء عنده بمقدار في المعاش والمعاد بالماء النازل من السماء السائل في أودية سيلاناً مقدراً، هذا المقدار هو المناسب لكل واد حتى لا يحصل خطر من سيلان الماء فيه، ولأمرٍ ما كان القرآن كالماء، وما ذاك إلا لأن الماء عليه قوام الحياة وجعلنا من الماء كل شيء حي والقرآن عليه نظام الكون وحياة العالم أجمع" [(3)].

6- الدعوة إلى الحق بطرق الدعوة المتنوعة، ومن بينها ضرب الأمثال الذي يوصل المعاني إلى القلوب في يسر وسهولة، لما له من تأثير بليغ في النفوس [(4)].

[(1)] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم (603/4).

[(2)] التفسير المنير، للزحيلي (149/13).

[(3)] التفسير الواضح، للحجازي (224/2).

[(4)] انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (427/5).

المقطع الثاني

الترغيب والترهيب

قال تعالى: **{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}** [الرعد:18].

أولاً: المناسبة:

بعدما ضرب الله تعالى هذا المثل للحق والباطل، ليختار الإنسان الذي كرّمه الله بالعقل، النافع وهو الإيمان، ويترك الضّارّ المتلاشي وهو الكفر، فيكثر أهل الحق والإيمان، بالحق والنّور، ويضعف أهل الضلال والكفران، بالباطل والظلام، ذكر الله تعالى في هذه الآية مصير أهل الحق وأهل الباطل، ومآل السعداء والأشقياء، ترغيبا وترهيبا [(1)].

ثانياً: الإعراب:

{للذين استجابوا لربهم الحسنى}: ففيه وجهان:

الأول: محله الرفع بالابتداء، وللذين خبره.

الثاني: أنه متصل بما قبله، فيكون الحسنى صفة لمصدر محذوف.

معاني الإعراب:

المعنى علي الوجه الأول: أنه تم الكلام عند قوله: كذلك يضرب الله الأمثال ثم استأنف الكلام بقوله: للذين استجابوا لربهم الحسنى

المعنى الثاني: أن يكون التقدير: كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى [(2)].

ثالثاً: البلاغة:

"**{للذين استجابوا}**، **{والذين لم يستجيبوا}**: بينهما طباق السلب" [(3)].

رابعاً: التفسير الإجمالي:

***مآل السعداء والأشقياء:**

{للذين استجابوا لربهم الحسنى}: أي للذين استجابوا لله فأطاعوه، وأطاعوا رسوله، إذا دعاهم إلى الحق بطرق الدعوة المتنوعة، ومن بينها ضرب الأمثال الذي يوصل المعانى إلى القلوب في يسر وسهولة، لما له من تأثير بليغ في النفوس لتصويره

---

(1) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (1159/2).

(2) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (31/19).

(3) صفوة التفاسير، للصابوني (78/2).

المعقول بصورة المحسوس، لهؤلاء المهتدين المثوبة الحسنى، وهي الجنة، كما قال قتادة، وغيره، وعن مجاهد: أنها الحياة الحسنى التي لا يشوبها كدر أصلا، أو هي النصر في الدنيا والنعيم المقيم غدا.

{والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به}: أي أن الذين عاندوا، وأعرضوا عن الحق، مع وضوحه وجلائه، لو أنهم يملكون ما في الأرض جميعا من أصناف الأموال المتنوعة، ويملكون مثل ذلك معه، لقدموه افتداء لأنفسهم، ليتخلصوا مما هم فيه من عذاب ونكال، وفيه من تهويل ما ينزل بهم ما لا يحيط به بيان.

{أولئك لهم سوء الحساب}: فلا تقبل منهم حسنة، ولا يتجاور لهم عن سيئة، ويحاسب كل منهم على ذنبه كله لا يترك منه شيء.

{ومأواهم جهنم وبئس المهاد}: أي أن مقامهم ومسكنهم جهنم يتخذون منها فراشا لهم، وإنه لبئس الفراش الذي أعدوه لأنفسهم، يسيل عليه ما ينساب من جلودهم مما يصلونه من نارها وكلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا أشد العذاب وأقساه [1].

ذكرت الآية الكريمة للذين لم يستجيبوا أنواع أربعة من العذاب والعقوبة:

النوع الأول: قوله: لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به والافتداء جعل أحد الشيئين بدلا من الآخر.

النوع الثاني: من أنواع العذاب الذي أعده الله لهم هو قوله: أولئك لهم سوء الحساب، وذلك لأن كفرهم أحبط أعمالهم.

النوع الثالث: قوله: ومأواهم جهنم، وذلك لأنهم كانوا غافلين عن العبادة، عاكفين على لذات الدنيا، فإذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيحترقون على مفارقتها وليس عندهم شيء آخر يجبر هذه المصيبة.

النوع الرابع: مأواهم جهنم، ثم إنه تعالى وصف هذا المأوى فقال: وبئس المهاد، ولا شك أن الأمر كذلك [2].

خامساً: ما ترشد إليه الآية:

1-تضمنت الآية الكريمة ترغيباً، وترهيباً، ووعداً لمن عمل خيراً، ووعيداً لمن عمل شراً.

---

[1] انظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء (427/5).

[2] انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (32/19).

2-"المحبوب بالذات لكل إنسان هو ذاته، وكل ما سواه فإنما يحبه لكونه وسيلة إلى مصالح ذاته، فإذا كانت النفس في الضرر والألم والتعب، وكان مالكا لما يساوي عالم الأجساد والأرواح فإنه يرضى بأن يجعله فداء لنفسه، لأن المحبوب بالعرض لا بد وأن يكون فداء لما يكون محبوبا بالذات" (1).

3-للطائعين أهل السعادة الذين أجابوا إلى ما دعا الله من التوحيد والنبوات الجزاء الحسن، وهو النصر في الدنيا، والنعيم المقيم غدا في الآخرة، وللعصاة أهل الشقاوة الذين لم يجيبوا إلى الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لا يتمكنون من فداء أنفسهم في الآخرة بملء الأرض ذهبا، ومثله معه، ولهم سوء العذاب، فلا يقبل لهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة، ومسكنهم ومقامهم النار، وبئس الفراش الذي مهدوا لأنفسهم، فهذه أربعة أنواع من العذاب والعقوبة: عدم قبول الفداء، والتعرض لسوء الحساب، ومأواهم جهنم، وبئس المهاد مهادهم أي بئس المستقر هي(2).

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي (31/19).

(2) التفسير المنير، للزحيلي (150/13).

الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: النتائج.

ثانياً: التوصيات.

الخاتمة

بحمد الباري ونعمةٍ منه وفضلٍ ورحمة، أحمده سبحانه وتعالى، الذي أعانني على إتمام هذا البحث العلمي الذي كان رحلة رائعة مع كتاب الله عز وجل فما هذا إلا جهد مقِلٍ، ولا أدعي فيه الكمال، ولكن عذري فاني بذلت فيه قصارى جهدي، فإن اصبت فذاك مرادي بعون الله وتوفيقه، وان أخطأت فمن نفسي، ومن الشيطان، ولي شرف التعلم الذي أعتزُّ به، والذي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبَّله منِّي، وأن ينفعني به والمسلمين، اللَّهُمَّ آمين.

وبعد أن أتيتُ على نهاية الموضوع أسجِّل أهمَّ النتائج التي انتهت إليها الدِّراسة والمقترحات التي توصَّلتُ إليها، حتى يتمكن القارئ من جمع أطراف الموضوع، والوقوف عليه وقفة إجمال.

أولاً: أهم النتائج:

1-إن المقومات العالية من علم، وخلق، وأدب، وحسن تصرف، تبوئ صاحبها المنزلة السامية والمكانة الرفيعة، فمعية الله ونصره وتأييده لعبده ورسوله، واضحة المعالم، كظهور البراءة، واستلام الحكم عند ملك مصر، وفي هذا درس لكل من يؤمن بالله ويعتصم به، ويخلص دينه لله وهو محسن، ففرج الله آتٍ، ونصره قريب.

2-أن الطاعة والإيمان لا يحصلان إلا من الله، وأن انصراف النفس من الشر لا يكون إلا برحمته.

3-فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة ، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

4-الاتكال على الله، والاعتماد عليه والثقة به وحده، لأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى.

5-على المسلم أن يحذر أخاه مما يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة، فإن الدين النصيحة، والمسلم أخو المسلم، وأن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر،

أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

6-ليس من العدل أن يؤخذ شخصٌ ما بجريرة شخصٍ آخر وكيف يقام العدل إذا أُطلق المجرم وأخذ مكانه البريء.

7-ثمرة اليأس المرة، ونتائجه الوخيمة على الفرد خاصة، وعلى الأمة عامة، فاليأس بالنسبة للفرد قطع لأسباب الأمل، وإغلاق لأبواب التوبة في وجهه، أما بالنسبة للأمة فهو هدم لعزتها، وقطع لاتصالها بأسباب التقدم والإبداع.

8-من آذى مسلما في نفسه أو ماله أو غير ذلك ظالما له، فإنه يجب عليه أن يتحلل منه ويطلب صفحة عنه ومسامحته عليه، ويخبره بالمظلمة وقدرها.

9-العدل مطلوب في جميع الأمور الصغار والكبار في معاملة السلطان لرعيته، ومعاملة الوالدين للأولاد، والقيام بحقوق الزوجات، وغير ذلك في المحبة والإيثار ونحوها، وأن القيام بالعدل في ذلك تستقيم الأمور صغارها وكبارها به، ويحصل للعبد ما أحب، وفي الإخلال بذلك تفسد الأحوال، ويحصل للعبد المكروه من حيث لا يشعر.

10-ينبغي للعبد أن يلح دائما على ربه في تثبيت إيمانه، وأن يحسن له الخاتمة، وأن يجعل خير أيامه آخرها، وخير أعماله خواتمها، فإن الله كريم جواد رحيم

12-إن القادرين على الدعوة إلى الله تعالى من علماء المسلمين ينبغي أن يتحملوا نصيبهم فيها، ويقوموا بها خير قيام، كما قام أسلافهم من قبل.

13-الله سبحانه وتعالى واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان لا ثالث لهما: الإيمان بكل ما أوجب الله الإيمان به، والتقوى التي هي امتثال الأوامر الشرعية واجتناب النواهي، وأن خير الآخرة خير من ثواب الدنيا، وملكها، وأنه ينبغي للعبد أن يدعو نفسه ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت لذات الدنيا ورياساتها وهي عاجزة عنها، بل يسليها بالثواب الأخروي ليخفف عليها عدم حصول الدنيا

14-الإنسان الذي منحه الله عز وجل، العقل، وحرية الإرادة والاختيار، والقدرة على التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والاستعداد للخير والهداية، قادر على إدراك وجود الله عز وجل،

من خلال مشاهدته للظواهر الكونية المتعددة، كما أن الإنسان العاقل يستخدم عقله، ويعمل تفكيره فيما حوله من المخلوقات لأجل توظيف العلم في الدعوة إلى الإسلام، لمقارعة الغرب باللغة التي يفهمونها.

15-الدعوة إلى الحق بطرق الدعوة المتنوعة، ومن بينها ضرب الأمثال الذي يوصل المعاني إلى القلوب في يسر وسهولة، لما له من تأثير بليغ في النفوس.

16-عالمية الرسالة المحمدية, وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي وارثة الرسالات جميعاً, وأن الإيمان برسل الله تعالى يعني تشريفهم وتكريمهم وتعظيم شأن رسالاتهم.

ثانياً: التوصيات:

1-حث الطلبة على إكمال المسيرة التعليمية, والخوض في غمار البحث العلمي, وعدم الاقتصار على مرحلة البكالوريوس, فالعلم بحر خضم زاهر واسع لا ينتهي, وفوائده عظيمة.

2-دعوة علماء الأمة وقادتها الصادقين إلى التسلح بالصبر, ومواجهة الفتن بتوظيف الطاقات ، وابتكار أساليب وطرق جديدة من أجل مواجهة طرق الفساد المختلفة, وإخراج الأمة من الظلمات إلى النور، تحت راية الإسلام.

3-أدعو المجتمعات المسلمة إلى الاهتمام بحفظ كتاب الله تعالى وفهم آياته ، والعمل بمقتضاها في مختلف فئاتهم العمرية ، وعدم الاقتصار فقط علي الاهتمام بصغار السنن والشباب، وإنما يجب علينا الاهتمام أيضاً بكبار السن في هذا المجال.

4-دعوة شباب الأمة إلى اتخاذ سيدنا يوسف عليه السلام أسوة حسنة، ونموذج رائع في الصبر على المكاره، والعفة، وضبط النفس من الوقوع في المحرمات.

وهكذا لكل بداية نهاية ، وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنى أن أكون موفقةً في سردي للعناصر السابقة سرداً لا ملل فيه ولا تقصير، وفقني الله وإياكم لما فيه صالحنا جميعاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين, وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العلمية

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات.

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم.

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

{وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} [البقرة: 136]............................122
{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ} [البقرة: 155]..140
{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة:235]................................48
{الم * اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران1-3]..149
{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة:48]..163
{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُون} [الأنعام:84]......................9
{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام:112]..........................88
{المص * كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الأعراف1-2]..........................149
{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف: 33]..........................135
{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأعراف:156]..........................113
{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال:23]..........163
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الانفال:29]..........................113
{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ} [الأنفال: 45]....................................139
{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ} [التوبة:194]...................................35
{الر * تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ} [يونس:1-2]..149
{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس:62-64]..........................112
{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا} [يونس: 87]..........................59
{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} [يونس:99]................................149
{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [يوسف: 1]..13
{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف:3]..13،30
{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف:4]..........................16
{إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف: 23]..................................15
{كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف:24]................52
{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ} [يوسف:26-27]..........................52
{وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف:29]......................................52
{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف:30]......................67
{وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف:32]...52
{أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف:39]..............................29،146

{مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف:50]..............................57
{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} [يوسف:51]..............................52
{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف:53]..............................35،50،52
{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف:54]..............................55،54
{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:55]..............................64
{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:55-57]..............................59
{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [يوسف:58]..............................69
{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ} [يوسف:59،60]..............................70
{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} [يوسف:61]..............................67
{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ } [يوسف:58-63]..............................66
{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا} [يوسف:62-63]..............................71
{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ} [يوسف:65]..............................78
{قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} [يوسف:64-68]......77،79،83،74
{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ} [يوسف69-76]..............................86،84
{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ } [يوسف:77-80]..............................90
{ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} [يوسف:81-86]..............................97
{إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: 87]..............................107
{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} [يوسف87-88]..............................104
{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} [يوسف89-91]............111،109
{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:92-98]..........114
{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ} [يوسف:99-100].......119،16
{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ} [يوسف:102-104]..............................127
{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا} [يوسف:105]..............................29
{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا} [يوسف:105-107]..........146،130
{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [يوسف108-109]..............................133
{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} [يوسف:110]..............................137
{ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [يوسف:111].........29،30،141،146
{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} [الرعد:1]..............................146
{تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} [الرعد:2]..............................29،30
{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ} [الرعد: 3]..............................32

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [الرعد:2-4]........................150
{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ} [الرعد:4]........................157
{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد:5-7]..................159
{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} [الرعد:9-13]..............165
{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ}: [الرعد: 13]..19
{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} [الرعد15-16]..........172
{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ } [الرعد16-17]..............................176
{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى} [الرعد:18]......................................183
{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} [الرعد: 31]..........................20
{وما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [الرعد:38]............................31
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد: 41].........................32
{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد: 43]....................................20،32
{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [إبراهيم:1]..............31
{ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [إبراهيم:11].........................31
{إنّا نَحْنُ نَزّلنا الذِّكرَ وإنّا لهُ لحافظون} [الحجر: 9]................................1
{وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: 56]..........................107
{فاصْفَحْ الْصَفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر:85]..117
{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} [النحل: 9]..35
{وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ} [النحل:81]..137
{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل:128]...........................112
{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 22]............117
{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} [النمل:19]..........................ج
{قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} [النمل:33]........................... 137
{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} [النمل:34].........................58
{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى}[الروم:10].................................48
{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]....................................107
{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ} [لقمان:12]............................. ج
{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان:25]....................131
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ:28]......................169،129
{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر: 23]..............................13

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمر:197]............113
{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر:34]..9
{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: 51]..107
{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ} [الرَّحمن:60]..ج
{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم:32]...64
{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} [الحشر:14]...................137
{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق:2-3]............113
{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق:4]......................................113
{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق:5]........................113
{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} [الجن: 26، 27]................................124
{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: 2]...52
{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر: 27]...52
{وهَذَا ٱلبَلَدُ ٱلأَمِينُ} [التين:3]...55
{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق:5]...79

فهرس الأحاديث والآثار

(أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله)............................107
(إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب...)..........................14
(إن العين تدمع، وإن القلب ليحزن، وما نقول إلا ما يرضي ربنا)..........................103
(إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن...)..............................123
(إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً...)..................181
(ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "يا أمير المؤمنين أجدبت الأرض، وقحط المطر، وقنط الناس، قال: إذن مطرتم...)..101
(الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)...................................123
(كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلكم، قد قد" فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك...)......................................130
(كنت لا أدري ما فاطِرُ السموات حتَّى أتاني أعربيَّانِ يختصِمان في بئر)..................120
(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)...ج
(ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى)..117
(من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم...)..118
(نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم زماناً..... فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ})............13
(نزلت سورة يوسف بمكة)...11

فهرس الأعلام المترجم لهم

ابن الأنباري..127
ابن عاشور 9
الثعلبي...11
الرازي..51

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1-الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك، 1432هـ.

2-الإتباع، عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي (ت 351هـ)، حققه وشرحه وقدم له: عز الدين التنوخي، الناشر: مجمع اللغة العربية، دمشق،1380هـ - 1961م.

3-أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، الدكتور عبد الرازق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب، جامعة حلوان، 1431هـ / 2010م.

4-أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

5-أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ)، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى،1420هـ- 1999م.

6-إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت 535هـ)، تقديم وتوثيق: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1995 م.

7-إعراب القرآن العظيم، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت 926هـ)، حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

8-إعراب القرآن العظيم، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت 926هـ)، حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

9-إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية، سورية، الطبعة الرابعة ، 1415 هـ.

10-الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002 م.

11-أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، 1413 هـ-1991 م.

12-أنواع الصبر ومجالاته، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

13-أهداف التربية الإسلامية، د. ماجد عرسان الكيلاني الأردني، الناشر: دار القلم، الطبعة أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

14-أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م .

15-أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت 1402هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، 1383 هـ.

16-بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ).

17-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.

18-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

19-بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت 1398هـ)، الناشر: مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، 1382 هـ.

20-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

21-تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت637هـ)، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.
22-التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
23-التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
24-التحصين من كيد الشياطين، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي.
25-تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1403هـ.
26-تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول)، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن على بن يوسف اللبلي أبو جعفر الفهري المقري اللغوي المالكي (ت691هـ)، تحقيق: د. عبد الملك بن عيضة الثبيتي، الأستاذ المساعد في كلية المعلمين بمكة المكرمة، 1418هـ - 1997م.
27-تفسير آيات من القرآن الكريم، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت 1206هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
28-تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
29-تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت 204هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)،الناشر: دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1427 - 2006 م.
30-التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430 هـ.

31-تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت 1421هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، 1423 هـ - 2002م.

32-تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

33-تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

34-تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي.

35-تفسير القرآن (اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ- 1996م.

36-التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

37-تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

38-تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

39-تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت (الطبعة الأولى)، 1423هـ.

40-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.

41-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة 1431هـ-2010م

42-التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، 1413 هـ.

43-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

44-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى،1393 هـ -1414 هـ.

45-التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ.

46-التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، (ت 1182هـ)، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، 1432 هـ.

47-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان.

48-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

49-التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت 1233هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

50-التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (ت 1414هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م.

51-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1426هـ-2005م.

52-تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت 1376هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ.

53-جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت 444هـ)، الناشر: جامعة الشارقة، الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

54-الجامع الكبير(سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998 م.

55-الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م.

56-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت 1376هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق، الطبعة الرابعة، 1418 هـ.

57-خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، عبد الغني أحمد جبر مزهر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ.

58-الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحدي عشر من القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة سمية دويدار، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير وعلوم القرآن.

59-دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة.

60-درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1430 هـ.

61-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

62-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر : دار الفكر، بيروت ، 1993م.
63-درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت 516هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998/1418هـ.
64-دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة)، مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، شحاتة محمد صقر، الناشر: دار الفرقان للتراث، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، مصر.
65-رفقاً بالقوارير (نصائح للأزواج)، أمة الله بنت عبد المطلب، موقع مكتبة المسجد النبوي، الكتاب الكتروني لم يطبع بعد.
66-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
67-الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت 328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
68-زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
69-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق، القاهرة، 1285 هـ.
70-سلامة الصدر، وخطر الحقد, والحسد, والتباغض, والشحناء, والهجر، والقطيعة مفهوم، وأسباب، وآداب، وأحكام، وعلاج في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض.
71-سورة يوسف دراسة تحليلية، د.أحمد القطان.
72-شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق ومراجعة وتخريج: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2003 م

73-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت 573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999م.

74-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

75-صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي:حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، الناشر: دار الكتاب، 2009م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي.

76-العتاب بين الأصدقاء، علي بن محمد أبو نصية آل حسين التميمي، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م

77-عقيدة المؤمن, أبو بكر الجزائري, الطبعة الثانية, الناشر: مكتبة الإيمان.

العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي(ت 455هـ)، تحقيق الدكتور زهير زاهد، الدكتور خليل العطية، الناشر: عالم الكتب، بيروت 1405هـ.

78-علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد الله الربيعة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى 1423 هـ-2011 م

79-علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م.

80-عون الكريم في بيان مقاصد سور القرآن الكريم، محمد عبد الهادي المصري.

81-غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني ويعرف بتاج القراء (ت 505هـ)، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

82-غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الطبعة الأولى، 1384هـ - 1964م.

83-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

84-فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ)، تقديم، ومراجعة: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1412 هـ.

85-فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، محمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: 1430هـ)، الناشر: دار البيان العربى، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424 هـ.

86-الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت 1031هـ)، تحقيق: أحمد مجتبى، الناشر: دار العاصمة، الرياض.

87-في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت.

88-فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت1031هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، 1356هـ.

89-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

90-القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة.

91-قصص القرآن دروس وعبر، سعد يوسف أبو عزيز، الناشر: دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1425هـ-2004م.

92-قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، الأردن، الجامعة الأردنية، 1989م.

93-كتاب الرؤيا، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (ت 1413هـ)، الناشر: دار اللواء، الطبعة الأولى، 1412هـ.

94-كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ.

95-كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
96-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت 1067هـ)،الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، تاريخ النشر: 1941م.
97-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.
98-الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
99-الكنز اللغوي في اللَسَن العربي، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ)، تحقيق: أوغست هفنر، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة.
100-لا تحزن، عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.
101-لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
102-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998م
103-اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1403 هـ.
104-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.

105-لطائف الإشارات تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

106-مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، الطبعة الرابعة 1426هـ - 2005م.

107-المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426 هـ.

108-مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

109-مجلة البيان (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

110-مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت 986هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، 1387 هـ - 1967م.

111-مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

112-محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.

113-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

114-المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

115-مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م.

116-المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ -1996م.

117-مدخل إلى مقاصد الشريعة، أ د. أحمد الريسوني، الناشر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 2013.

118-مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت 1414هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، الطبعة الثالثة ،1404 هـ، 1984 م.

119-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

120-مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

121-المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت 709هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى، 1423هـ - 2003 م.

122-معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1991 م.

123-معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.

124-معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 510هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.

125-معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

126-معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت 350هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424هـ - 2003م.
127-معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
128-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
129-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
130-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة،1420 هـ.
131-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
132-المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم ، الناشر:المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، 1994م.
133-مقاصد السّور وأثر ذلك في فهم التفسير، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (شريط مفرّغ).
134-مقاصد وأهداف سورة التوبة، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب حسن الخطيب، الجامعة الإسلامية، غزة قسم التفسير وعلوم القرآن.
135-مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
136-المُنَجَّد في اللغة، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ (كراع النمل)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1988 م
137-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني

الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

138-موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني، عبده علي الكوشك، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، (1411 - 1412 هـ).

139-موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، ياسر عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

140-موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010 م.

141-الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين.

142-النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت 1377هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ- 2005م.

143-نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي.

144-نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1421هـ- 2001م.

145-نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

146-نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1997م.

147-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

148-الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية

الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

149-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم , الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

150-الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، تقديم: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م.

151-شبكة الانترنت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	1
التمهيد **تعريف عام بسورتي يوسف والرعد**	
المبحث الأول **التعريف العام بسورة يوسف**	8
المطلب الأول: أسماء السورة	9
المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية	11
المطلب الثالث: زمن نزول السورة، والجو الذي نزلت فيه	12
المطلب الرابع: سبب نزول السورة	13
المطلب الخامس: فضائل السورة	14
المطلب السادس: المحور الأساسي للسورة	15
المطلب السابع: الأهداف العامة للسورة	17
المبحث الثاني **التعريف العام بسورة الرعد**	18
المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية	19
المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية	20
المطلب الثالث: الزمان والجو الذي نزلت فيه السورة	22
المطلب الرابع: فضائل السورة	23
المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة	23
المطلب السادس: الأهداف العامة للسورة	25
المبحث الثالث **المناسبات في سورتي يوسف والرعد**	27
المطلب الأول: المناسبة في سورة يوسف	28
المطلب الثاني: المناسبة في سورة الرعد	31

الصفحة	الموضوع
34	**المبحث الرابع** **تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها**
35	**المطلب الأول:** تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً
37	**المطلب الثاني:** تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً
39	**المطلب الثالث:** الفرق بين المقاصد والاهداف
40	**المطلب الرابع:** أهمية معرفة المقاصد والأهداف
42	**المبحث الخامس** **التعريف بالدراسة التحليلية**
43	**المطلب الاول:** المقصود بالدراسة التحليلية
45	**المطلب الثاني:** متطلبات الدراسة التحليلية
	الفصل الأول **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية** 53-111
47	**المبحث الأول** **مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية 53-57**
48	**المقطع الأول:** أحوال النفس البشرية
54	**المقطع الثاني:** التمكين ليوسف عليه السلام بعد السجن والاستضعاف
59	**المقطع الثالث:** حنكة يوسف عليه السلام وفطنته وحسن تدبيره
65	**المبحث الثاني** **مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية58-80**
66	**المقطع الأول:** العناية الالهية في لم شمل يوسف عليه السلام بعائلته
74	**المقطع الثاني:** التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب
84	**المقطع الثالث:** استخدام المكيدة غي تحقيق هدف مشروع
89	**المقطع الرابع:** تحمل الأذى وعدم رد الإساءة
96	**المبحث الثالث** **مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية 81-100**
97	**المطلب الأول:** أشد الابتلاءات التي تسبق مرحلة الفرج
104	**المقطع الثاني:** الأمل وعدم القنوط من رحمة الله
109	**المقطع الثالث:** فضيلة التقوى والصبر

الموضوع	الصفحة
المقطع الرابع: الاعتراف بالفضل والعفو عند المقدرة	114
المقطع الخامس: العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية	119
المبحث الرابع **مقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية 102-111**	126
المقطع الأول: من دلائل صدق الوحي والنبوة	127
المقطع الثاني: دعوة الإنسان إلى التفكر والتأمل في ملكوت السموات والأرض	130
المقطع الثالث: الدعوة إلى الله على بصيرة	133
المقطع الرابع: تحقيق النصر عند اشتداد الكرب	137
المقطع الخامس: وجوه الاعتبار بقصة يوسف عليه السلام	141
الفصل الثاني **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية** 1-18	
المبحث الأول **مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية 1-7**	145
المقطع الأول: الثناء على القرآن الكريم والإشارة إلى إعجازه	146
المقطع الثاني: الحث على التأمل في مخلوقات الله	149
المقطع الثالث: أقوال المشركين في شأن البعث والرد عليهم	159
المبحث الثاني **مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية8-15**	164
المقطع الأول: من دلائل علم الله وعظيم سلطانه	165
المقطع الثاني: مصير الدعوات	172
المبحث الثالث **مقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية 16-18**	175
المقطع الأول: ضرب المثل للحق والباطل	176
المقطع الثاني: الترغيب والترهيب	183
الخاتمة	186
قائمة المصادر والمراجع	196
فهرس الموضوعات	210

الملخص

لقد تناول هذا البحث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والعشرين من القرآن الكريم ، ابتداءاً من سورة يوسف الآية (53-111)، وحتى سورة الرعد من الآية (1-18).

فكان الفصل التمهيدي للدراسة بمثابة تعريف عام لسورتي يوسف والرعد، وذكر المناسبات بينهما، والتعريف بالمقاصد والأهداف، وأهميتها، والتعريف بالدراسة التحليلية.

وكان الفصل الأول، دراسةً تحليليةً لمقاصد وأهداف سورة يوسف من الآية (53-111)، وتم تقسيم هذه الآيات إلى مقاطع لتحديد واكتشاف ما احتوته الآيات من مقاصد، وأهداف وتحليلها.

أمَّا الفصل الثاني، فكان دراسةً تحليليةً لمقاصد وأهداف سورة الرعد من الآية (1-18)، وتم تقسيم الآيات إلى مقاطع حسب الطريقة المتبعة في الفصل الأول.

والخاتمة وفيها أهم مل توصلت إليه البحثة من نتائج وتوصيات.

Abstract

This research has addressed analytical study for purposes and objectives of the Twenty-fifth Hizb from Qur'an Karim, starting from Surah Yousof from verse (53-111), to Surah Al-Ra'd from verse (1-18).

So, the introductory chapter of the study was a general definition of Surah Yosof and Al-Ra'd, mentioned events between them, the definition of goals and objectives, its importance, and the definition of analytical study.

The first chapter, an analytical study of the purposes and objectives of Surah Yusuf from verse (53-111), these verses were divided into sections to identify and find out what it contained of the purposes, objectives and then analyzed.

The second chapter, an analytical study of the purposes and objectives of Surah Al-Ra'd from verse (1-18), the verses were divided into sections according to the method used in the first chapter.

The conclusion contains the key findings of the research findings and recommendations.